

مهرجان القراءة للجميع

الأعمال الخاصة

مكتبة
الأسرة
1999

١٩٣٦

١٩٥٢

61 فاروق ملكاً

أحمد بهاء الدين

تقديم: إحسان عبدالقدوس

<http://www.makbtna2211.com/vb>

M
I
D
O



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

منشورات مكتبتنا

MIDO

فاروق ملکا

مکتبنا

فأروق ملكاً

١٩٣٦ - ١٩٥٢

MIDO

أحمد بهاء الدين

تقديم: إحسان عبد القدوس

رشاد كامل



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الخاصة)

فاروق ملكاً

أحمد بهاء الدين

رشاد كامل

تقديم: إحسان عبد القدوس

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

الغلاف

والإشراف الفني:

الفنان: محمود الهندي

المشرف العام:

د. سمير سرحان

مكتبتنا

WWW.MAKTUBATUNNA.COM



فاروق ملكا

قصة كتاب له تاريخ

فى هدوء شديد وصمت أشد فوجئ الناس عامة والمثقفون خاصة بصدور مجلة اسمها «الفصول» فى صيف عام ١٩٤٤ .

كانت المجلة حدثا ثقافيا وأديبا وفكريا بارزا لفت انتباه المثقفين!

كان رئيس تحرير المجلة الشهرية وصاحب امتيازها هو الكاتب الكبير «محمد زكى عبد القادر» صاحب أشهر عمود فى الصحافة المصرية طوال ٤٠ عاما وهو عمود «نحو النور» .

وقبل ذلك كان «محمد زكى عبد القادر» مشغولا مع عدد من رجال الفكر والسياسة والاقتصاد بتكوين وإنشاء «جماعة النهضة القومية» تعنى ببحث مشكلات مصر ودراستها دراسة موضوعية وإصدار كتب أو نشرات عنها كمحاولة لتكوين رأى عام مستنير يتجه إلى الإصلاح بروح فاهمة ودارسة .

واختار أعضاء هذه الجماعة أن يجتمعوا فى مقر مجلة «الفصول» (١٧ ش شريف) وكان من بين الموضوعات التى ناقشوها وسرعان ما وجدت طريقها للنشر فى «الفصول» موضوعات مثل الإصلاح الزراعى والملكية الزراعية والنظام البرلماني والتنمية الاقتصادية

ومن الكتب الهامة والخطيرة التى صدرت عن أعضاء هذه الجماعة «الإصلاح الزراعى» لمريت غالى، و«البنك المركزى» للدكتور أحمد إبراهيم، والوضع القانونى للمسألة المصرية السودانية للدكتور زهير جرانه، ومسألة

فلسطين لجفرى بطرس غالى، والنظام الدولى للدكتور وحيد رأفت وغيرها من الموضوعات الجادة.

باختصار شديد جذبت مقالات ودراسات وأبحاث «الفصول» أغلب شباب مصر الذى كان يبحث عن الجدية والجدة.. كانت مجلة تعبر عن قلق الشباب وهمومه الوطنية فى شكلها العام.. واجتذبت الفصول عشرات الأسماء الشابة فى ذلك الوقت، وكان أحمد بهاء الدين (١٧ سنة) أحد هؤلاء الشباب الجادين!!
عن أحمد بهاء الدين وباقى زملاء جيله الشباب كتب محمد زكى عبدالقادر فى سيرته الذاتية «أقدام على الطريق» يقول:

كانت «الفصول» حينئذ قد بلغت درجة كبيرة من الذيوع والانتشار، وكما كانت مجالا لأقلام الكثيرين من أصحاب الفكر والرأى كانت أيضا مجالا لأصحاب الأقلام من الشبان الجدد.. وكنت أرحب بهم وأعطيتهم فرصا متساوية.. بعضهم بل كلهم تقريبا، لم تكن لى معرفة سابقة بهم، جاءونى على غير معرفة وقدموا إنتاجهم، وكنت أقرأه بإمعان، فإذا أجزته نشرته دون احتفال بما إذا كان الاسم معروفا أو غير معروف.. وجرت أقلام عديدة على صفحات الفصول وأصبح للكثير منها اسم وذكر وتآلق فيما بعد.. عثمان العنتبلى.. سعد رضوان.. حسين القبانى.. موسى صبرى.. أحمد حمروش.. يحيى أبو بكر.. يوسف الشارونى.. عادل ثابت.. أحمد بهاء الدين.. فتحى غانم.. نعمان عاشور.. أنور المشرى..

ويختتم زكى عبد القادر كلامه قائلا: وكان الاستاذ أحمد بهاء الدين أكثرهم مواظبة وتحمسا، وأنست له، وأفسحت له الكثير من الصفحات، ثم حدث أن زادت مشغوليأتى فى «الأهرام» بعد وفاة المرحوم «انطون الجميل باشا» فزادت مسؤولياته فى الفصول إذ أصبح يقوم بأكثر العمل فيها أو كله.

وعن ذكريات هذه المرحلة عامة ومجلة «الفصول» خاصة، قال الاستاذ أحمد بهاء الدين، (ضمن حوار طويل نشر فى مجلة صباح الخير) ما يلى:

كانت «الفصول» مجلة مصرية الطابع والاهتمامات، وقد ظهرت ردا على مجلة المختار (رديز دايجست) وكانت هذه المجلة - أى الفصول - لها طابع فكرى جاد وكنت من قرائها، وأرسلت لها بعض المقالات كقارئ ونشرت لى، وذهبت إلى الأستاذ «محمد زكى عبد القادر» صاحبها ورئيس تحريرها - بدون سابق معرفة - وعرفته بنفسى وقلت له: أننى أحب أن أكتب فى المجلة!

وفى نفس حوارى السابق مع الأستاذ «أحمد بهاء الدين» وعندما أعدت على مسامعه سطور الأستاذ زكى عبد القادر عنه، ظهر التأثير الشديد عليه وقال لى:

«أنا أعتر بهذه الفترة جدا، فقد أصبحت مدير تحرير الفصول وعمري وقتها حوالى ٢١ أو ٢٢ سنة، لأنه واقعا. كان الأستاذ «زكى عبد القادر» قد أصبح رئيسا لتحرير الأهرام، ورغم أن الفصول كانت شهرية ومحدودة الانتشار لكن سرعان ما أصبح لها مركز جذب للمثقفين.

واعتر - أى بهاء - أننى نشرت لأول مرة لعدد من الكتاب الذين أصبحوا فيما بعد من أصحاب الأسماء اللامعة، وكانوا يومها مغمورين، وكتبوا فى «الفصول» لأول مرة بأسمائهم ومنهم فتحى غانم وعبد الرحمن الشرقاوى، وأحمد رشدى صالح، وكان وقتها مختفيا لأنه كان مطلوب القبض عليه ويكتب باسم مستعار، وأيضا نشرت للدكتور على الراعى ويوسف الشارونى ونعمان عاشور وبدر الدين أبو غازى وعدد ملفت آخر غيرهم تجمع فى مكتب الفصول، وسرعان ما تحول ذلك كله إلى نوع من الملتقى».

إنها فترة مهمة جدا وجميلة من حياتى، هكذا قال «أحمد بهاء الدين» عن تجربته فى الفصول،!



وواقع الحال أن «أحمد بهاء الدين» رغم صغر سنه فقد أصبح هو الآخر نقطة جذب للكثير من الشباب المثقف فى ذلك الوقت، كانوا يقرأون

مكتبة

www.egyptianlib.com

بيت الكتب



ليس اسما مستعاراً بل هو اسم حقيقى لمحام شاب يعمل بوزارة المعارف، وقد تبين له هذا من خلال شخص يعرفه على صلة بمحرر مجلة الفصول، قال نعمان إن صديقه الذى يؤكد على حقيقة قوله على استعداد ليأخذنا معا إلى مجلة الفصول ويقدمنا إلى محررها.

وذهبنا إلى المجلة ذات يوم عند الساعة الخامسة بعد الظهر فى مكتب محمد زكى عبد القادر للمحاماة، وفى غرفة صغيرة نظيفة قليلة الضوء مكتب جلس خلفه شاب فى الواحد والعشرين من العمر.

قال لى نعمان عقب هذه الزيارة إن أول انطباع تكون لديه أن «أحمد بهاء الدين» هو صورة «مخلق منطق» للمصرى أفندى كما كان يرسمه «صاروخان» فى مجلة آخر ساعة، كانت هذه الملاحظة فى محلها، وقد تأملت طويلا صدق معناها بعد أن توثقت علاقتنا واتصلت مدى السنين: الذكاء والصوت الهادئ والطبع الدمث، بل أكثر من هذا كله صورة المصرى الوديع الذى يحمل إرادة صلبة ونفسا أبيّة.

بعد زيارة التعارف بدأت أزور بهاء فى مجلة الفصول وأحيانا فى مكتبه اليومى. حيث كان منذ أواخر سنة ١٩٤٧ موظفا فى إدارة التحقيقات بوزارة المعارف، وقد ذكر لى بصوت الفخر والاعتزاز: إنها الإدارة التى كان يرأسها «توفيق الحكيم» فى الماضى القريب.

فى الأسابيع الأولى من معرفتنا أخذت أدرك الجوانب الأصيلة فى شخصية صديقى الجديد، أولها الصدق، والأمانة فى المعرفة الذاتية، وكنت أظن أن تعلمه القانون قد طوع نفسه ليصبح دائما قاضيا يدرك ماله وما عليه، لكننى بعد حين تبين أن هذه خصلة مصرية قد افتقدتها لدى الآخرين، وهى التى تظهر الآن فى شخص بهاء.

قال لى إنه يفكر منذ حين فى إصدار عدد خاص من مجلة «الفصول» ليكون معدا للطبع فى أواخر سنة ١٩٤٩ عن مصر فى النصف الأول من القرن العشرين، وطلب منى أن أفكر فى موضوع أساهم به فى هذا العدد، وقال إن

الغرض ألا يمتدح العدد ما أنجزه المصريون في هذه الفترة لأن هذا شائع بل لينظر إلى مصر من الداخل ويعرف عالم المسؤولية العامة.

وسمعت منه في ذلك الحين قبل أن تطرح مسألة العمل السياسى واختلافها عن الشعارات أن تقبل النقد من الداخل هو أول ما ينبغى أن يتعلمه الناس حتى لا يقع أحد في أحبولة الكذب، وأن الحاكم الذى يصيغ الكلمات لإغراء المحكوم وتغطية عينه بالوهم إنما هو الذى يبسط الطريق إلى الفساد وعباءة العجز...

كتبت لعدد الفصول الخاص مقالاً مطولاً عن الصحافة في مصر في نصف قرن وكان مطابقاً لمعرفتى مصر وتربيتى على أرضها. لأننى بدأتها عن طريق قراءة الصحف، ويظهر أن المقال نال قبول استحسان محمد زكى عبد القادر الذى طلب أن أقابله، وبعد ذلك أصبحت عضواً في أسرة الفصول، أحضر ندوتها مساء كل خميس في منتصف الشهر.

قال لى بهاء بعد أن أصبحت من كتاب المجلة أن أضع في حسابى أنه ليست هناك أجور تدفع للمحررين حتى هو كمستول عن التحرير لا يتقاضى أجراً عن عمله، ولم أناقش هذا الأمر معه كثيراً لأننى اقتنعت برأيه وهو أن المجلة لها سمعة جيدة بين المثقفين والكتابة فيها تتيح مجالاً لتعلم المهنة، ودار في خاطرى أن هذا ما جعل بهاء يعطى جهده ووقته دون أجر، فقد كان دؤوباً في كتابته، ومجداً في إدارة التحرير كى يتعلم المهنة.

لكن هذا لم يرض صديقى نعمان عاشور، وأخذ يسلط نكته لاذعة على المجلة وصاحبها وقد كان فى رأيه أنها مسألة مبدأ، إذ يشترط فى احتراف أية مهنة، أن يدفع أجر للممتهنين.

وعندما كان نعمان عاشور، يحضر ندوة الفصول فى مساء الخميس يكثر من أكل الكنافة التى يأتى بها زكى عبد القادر معتقداً أنه يأخذ شيئاً من حقه لو أكل أكثر من غيره.

ذات يوم سنة ١٩٥١ كنت أنتظر بهاء فى مكتبه فى مجلة الفصول حين جاء الساعى ووراءه رجل طويل القامة بدت عليه مظاهر الجدد، وأشار الساعى

مكتبة

WWW.MAKTABA9999.COM



رجاء في هذا المقال:

كثيرا ما تبدأ الحقائق الكبيرة ببدايات صغيرة، فمن خلال صديق شخصي لي هو «أكرم ميداني»، وزوجته بدا اهتمامي بالقضية العربية، كان ذلك منذ سنوات كنت أكتب في مجلة شهرية هي «الفصول»، وفي ذات يوم زارني شاب سوري قال لي إنه موظف في الجامعة العربية، وأنه قرأ لي بعض ما أكتب فأراد التعرف بي، وفي أسابيع قليلة أصبحنا صديقين، وكأننا تربينا سويا، كنا في أول شبابنا نقرأ بنهم لا مثيل له، ونحمل مشاكل الدنيا كلها على رأسينا، كأننا مكلفان يحملها نيابة عن الناس جميعا.

أما صديقي «أكرم»، فقد كان يملك مكتبة ضخمة في الفن والأدب والسياسة، وكان يمتاز بالامام واسع بحياة البلاد العربية الأخرى وتاريخها وثقافتها وعاداتها.

والآن تبدأ زيارة سريعة إلى اهتمامات وأفكار أحمد بهاء الدين على صفحات مجلة الفصول..

ماذا كان يكتب «بهاء»؟ وأي الأشياء والقضايا كان مهموما بها في تلك الأيام.

هذه عناوين بعض المقالات والدراسات، ومنها نعرف الإجابة على اهتمامات «بهاء» وأفكاره الرئيسية في تلك السن المبكرة من حياته.

* هذه الضرائب التي تدفعها!!

* دعاة النفوذ الأمريكي في مصر وبرنامج النقطة الرابعة!

* تأميم القطن يعود بالفائدة على الدولة والفلاحين.

* قبل إقرار الميزانية الاقتصادية في خدمة السياسة.

* التيارات الخفية وراء المعركة.

* النظم الرجعية في الشرق

* أرحموا الاشتراكية

مكتبتنا

www.maktabatna.com

بيت الكتب

ووسط مشاغل الشاب «أحمد بهاء الدين» (٢٤ سنة) كان يقطع ساعات من وقته ليعكف على تأليف كتاب سيكون له دوى خطير وسط المثقفين فى ذلك الوقت صدر الكتاب فى مايو سنة ١٩٥١ واسمه الاستعمار الجديد أو برنامج النقطة الرابعة، ويقع فى ٩٤ صفحة واللافت للنظر أن «أحمد بهاء الدين» قام بطبع الكتاب على نفقته الخاصة كما اعترف لى،

وبغير لف أو دوران يحدد الكاتب الشاب «أحمد بهاء الدين» الهدف الذى دعاه للكتابة عن «الاستعمار الأمريكى الجديد» فيقول فى مقدمة الكتاب:

«فى هذه الفترة المضطربة من تاريخ العالم التى تعصف فيها التيارات بمصر، عصفها بسائر الشعوب المضطهدة، وإذ تتيقظ حركات التحرير السياسى والاقتصادى، وتتقدم الصفوف طليعة لم تحجب ظلمة الحاضر عن أبصارها بريق المستقبل..

نجد الامبراطوريات القديمة والجديدة تتساند فى مجهود أخير لخلق الحرية، دفاعا عن كيائها المتآكل ولاكتساب الأرض التى فقدتها، مصطنعة فى ذلك حيلة جديدة تخفى عين الشر القديم!

وفى مثل هذه الظروف يصبح فرضا واجبا على كل صاحب رأى أن يتوجه به إلى المثقفين من مواطنيه، ويصبح فرضا واجبا على المثقفين المتيقظين أن ينشروه بأقوى ما فى كيانهم من قوة، وفى أوسع ما يتيح لهم الوعى المتزايد من نطاق فمن أجل ذلك كتبت هذه الصفحات..

بعد ذلك يبدأ أحمد بهاء الدين فى مناقشة برنامج النقطة الرابعة، وتكفى قراءة عناوين فصول الكتاب لتدرك المنهج العلمى والفكر المرتب الذى ساق به «بهاء» عرض موضوعه.

بدأ بهاء بتقديم البرنامج: طبيعته وأغراضه نطاقه وتنفيذه وتمويله، ثم العقبات التى تعترض تنفيذه!

١٥١



ثم قام أحمد بهاء الدين بعرض البرنامج على حقيقته سواء من حيث تصدير رؤوس الأموال الأمريكية، ثم أثر التصدير في البلاد المصدرة والمستوردة، وتجارب الاستعمار السافر، والاستعمار الخفي، كما ناقش مصر وتبعيتها لأمريكا وعلامات الخطر، ووضع اليد على المواد الأولية، والأسباب الاستراتيجية للبرنامج (النقطة الرابعة).

وفي الفصل الأخير من الكتاب الذي عنوانه «الحكومة المصرية.. تقبل، يعرض بهاء لأخطر وأهم النتائج التي تترتب على هذا البرنامج بعد قبول مصر له!!

ورغم مرور ما يقرب على ٤٤ عاما على صدور هذا الكتاب فإن إعادة تقليب صفحاته وقراءتها ثانية وثالثة يصبح لها مذاق مختلف، ويبدو الأمر في النهاية وكأن الدنيا لم تتغير والتاريخ لم يتحرك!!

يشير أحمد بهاء الدين إلى أن الرئيس الأمريكي «ترومان» بعد إعادة انتخابه قال أمام الكونجرس في ٢٠ يناير ١٩٤٩: وفي السنوات القادمة سوف ينطوي برنامجنا للسلام والحرية على أربع نقاط، وكانت النقطة الرابعة في برنامج ترومان هي: «يجب أن ننهض ببرنامج جرىء من مقتضاه أن تتمكن المناطق المتخلفة اقتصاديا من الاستفادة من تقدمنا العلمي والصناعي، ويجب أن يكون هدفنا هو مساعدة الشعوب الحرة في العالم على أن تنتج بجهودها الخاصة - كميات أكبر - من الغذاء والكساء ومواد البناء والقوى الميكانيكية».

وثار جدل عنيف حول النقطة الرابعة لا في أمريكا وحدها بل في العالم الخارجي أيضا.

ولكن أحمد بهاء الدين ببصيرته الواعية يقول: (ص ٢٨) غير إننا إذ ننعم النظر في حقيقة هذا البرنامج، وننحى جانبا هذا «الديكور» الذي أحيط به، نجده لا يعدو أن يكون خطة شاملة لتصدير رؤوس الأموال الأمريكية إلى الخارج، وهو بهذا الوصف مرحلة جديدة من مراحل النظام الرأسمالي العتيق!! واحد فقط هو الذي جهز بالحقيقة هو نابليون الذي أذهل ساسة أوربا في زمنه



بصراحتة المربكة لأنه «محدث، في السياسة، تحدث يوما أمام الملأ بأنه سيخرج الانجليز من الهند وقال «سنهجم عليهم، لصوصا على لصوص أقل جرأة: (ص ٤٩) فقد كانت عملية لصوصية حقًا!!! (ص ٥٠) ومع ذلك فلو أننا أنعمنا النظر في المراكز والأوضاع الاقتصادية «البحثة، التي يحتمها النظام الرأسمالي الاستعماري كما خططه برنامج النقطة الرابعة لوجدناها تتلخص في وضع أمريكا في مركز الممول ورب العمل، والشعوب المختلفة - مصر مثلا - في مركز العمال ليس للعامل أكثر من أجره مهما اختلف هذا الأجر، وللممول فائض الأرباح، وعلى حين يظل العامل أبدا أسير هذا الأجر لا يرتفع إلى ما فوق بمجرد العيش، يزداد الممول ثراء، ويتسع نشاطا وإنتاجا وريحا. (ص ٥٤).

ببساطة أكثر ووضوح لا نظير له يمضي أحمد بهاء الدين شارحا فكرته قائلا: «فإذا افترضنا أن مؤسسة أمريكية في مصر تنتج ما قدره (١٠٠) فإن (٣٠) على الأكثر من هذه المائة سيدفع في مصر أجورا للعمال ونفقات أخرى و (٧٠) تخرج من مصر إلى جيوب أصحاب الأسهم في أمريكا، هذه هي أمريكا وتلك هي مصر (أو أي بلد متخلف يخضع لهذا البرنامج) فالفائدة الاقتصادية لمصر معدومة أو تافهة، ونحن نقصد بمصر الشعب كمجموع، فإن طبقة معينة من المصريين ستفيد بغير شك من هذا البرنامج، هي طبقة الممولين الذين قد تتاح لهم المساهمة بقسط في المؤسسات الأمريكية وطبقة المديرين وأعضاء المجالس والوكلاء وغيرهم ممن يدورون في هذه الحالة بحكم وضعهم - أيضا - في فلك رأس المال الأمريكي ويصبحون وقاء له من غضب الشعب أو سخطه أو انتقاده، والثروة القومية لن تزداد بهذا البرنامج شيئا (ص ٥٥).

ويضرب بهاء مثلا له دلالة بقوله: «استخراج الحديد من أسوان تحت ظل النقطة الرابعة، مثلا لا يؤدي إلى ما يعمر أذهان المصريين من أن تغدو لدينا صناعة قوية تستخرج الحديد وتصنعه سيارات وطائرات وقاطرات ومنتجات مدنية وحربية، تصنعها مصر، وتستعملها وتتاجر فيها مصر، وتحارب بها مصر. إنما يعنى أن يستخرج الحديد في مصر فقط؟ أو أن يصهر وتصنع منه



قضايا الصلب فقط ولكنه يتحول إلى هذه المصنوعات التي أوردناها في الولايات المتحدة (!!) فإذا أقاموا في مصر صناعات ما فهي أيضا صناعات تابعة، كأن يقام في مصر مثلها مصنع لهياكل السيارات فهي صناعة حقا، وهي صناعة يعمل فيها آلاف العمال، ولكن هياكل السيارات بغير المحركات التي تصنع وتستورد من أمريكا لا تساوي شيئا! ولن تصنع المحركات في مصر. طبقا للنقطة الرابعة - أبدا!! وعلى هذا النحو يصبح اقتصادنا فرعيا مكملا للاقتصاد الأمريكي، كما ظل فترة طويلة فرعيا للاقتصاد الانجليزي!! ص ٥٦.

وقرب نهاية الكتاب الصغير الحجم، الكبير القيمة، يؤكد أحمد بهاء الدين وهو يصف حال مصر في منتصف عام ١٩٥١ قائلا:

«إن أحدا لا ينكر ما نحن عليه من تخلف أو لا يستنكره، بل لعل كلمة «تخلف» لا تعدو أن تكون تعبيرا مهذبا عن الحقيقة القاسية، ولا خلاف على أسباب هذا التخلف فهي تتلخص في ضعف الإنتاج!! وسوء التوزيع!! فرجال الأعمال الذين يرون العلاج كل العلاج في زيادة الإنتاج فحسب يتجاهلون أن هذا الزائد من الإنتاج بدوره، لو وزع بالطريقة التي يوزع بها الدخل القومي في الوقت الحاضر لما تغير الوضع بالنسبة للشعب في شيء، فإن زيادة إنتاج أحد المصانع لا يعنى في واقع الأمر زيادة دخل العامل، بقدر زيادة فائض القيمة الذي يحصل عليه رب العمل، وهذا الوضع هو الذي تفرضه علينا النقطة الرابعة!! ص ٨٧.

يضيف بهاء لما سبق قوله: «إن في مصر رؤوس أموال!! ولأن حكومة مصر لم تستنفذ بعد شتى الطرق لتوجيه رؤوس الأموال المحلية وجهة الإنتاج المثمر حتى تذهب فتنتظم طرق تشجيع رؤوس الأموال الأجنبية على الاستثمار في مصر! وقد كنا مستطيعين أن نقول للحكومة في كلمة واحدة إن الطريقة المثلى في الاستفادة من الثراء القومي وتوجيه الإنتاج هي الطريقة الاشتراكية التي تهدف إلى زيادة الإنتاج بما يحقق أكبر خدمات ممكنة، لا

مكتبة

WWW.KUTUBKHANA.COM



أكبر أرباح للمنتج. كما تهدف إلى إقرار العدل الاجتماعي في التوزيع، غير أننا لا نريد أن ندخل الآن (١٩٥١) في جدل مباشر عن النظام الاشتراكي مؤكدين أن الحكومة - لو أرادت - لاستطاعت أن تحقق الكثير من هذه الأغراض في ظل النظام الرأسمالي الذي تتركه به.!

فنحن نعرف أن الأغنياء عندنا مازالوا يحبسون أموالهم في الاستغلال الزراعي وأن إقبالهم على الصناعة أضعف مما يمكن أن يكون. فالغنى الذي يملك آلاف الأفدنة يتبقى لديه كل سنة - بعد الإنفاق والاستهلاك - فائض كبير من الأموال، والحكومة تترك له هذا الفائض سليما تقريبا دون أن تفرض عليه الضرائب المناسبة!! وهو لا يجد بابا يستثمر فيه هذه الأموال غير باب واحد هو: شراء الأرض فمن عنده ألف يريدها ألفين، ومن عنده ألفين يريدها ثلاثة!! (ص ٨٨)، ومساحة الأرض المزروعة عندنا ثابتة لا تزيد تقريبا ولكن المشترين يتزايدون، والفائض من أموالهم يتجدد كل سنة ويتراكم، يزيد الطلب والعرض ثابت، فتكون النتيجة ارتفاع ثمن الأرض ارتفاعا سريعا مضطردا حتى أصبح ثمن الفدان الواحد يصل إلى ٧٠٠ جنيه (سبعمائة جنيه!!).

ويضيف بهاء بقوله: بل إن هذا النطاق الضيق الذي تعمل فيه رؤوس الأموال المصرية لا يشكل «الأرض» بوجه عام، بل الأرض المزروعة الجيدة فحسب، فقلما نجد مالكا مصرية يقدم على استصلاح أرض جديدة. ذلك لأنه لا يفكر في خطط طويلة لتنمية استصلاح أرض جديدة ذلك لأنه لا يفكر في خطط طويلة لتنمية الثروة!! ص ٨٩ إن رؤوس الأموال المصرية مازالت تتميز «بجبن» ملحوظ فهي لا تجسر على اقتحام ميادين الصناعة والاستصلاح وتفضل أن تظل منكشمة في نفس نطاقها القديم:

الأراضي الجيدة والأسواق المعروفة للتصدير!!

بل ونفس المحاصيل أيضا!!

مكتبي

WWW.MAKTABI.COM



ويتساءل أحمد بهاء (صيف ١٩٥١) لماذا لا توقف الحكومة هذا التيار المدمر؟ لماذا لا تضع حداً أعلى للملكية الزراعية، وتقرن ذلك بضريبة تصاعدية باهظة على الأراضي (جرى ذلك بعد الثورة في ٩ سبتمبر ١٩٥٢) ليس في الأمر مصادرة ولا نزاع ملكية ولا إعادة توزيع .. إنه مجرد تحويل لفائض المال الذي يتراكم في الريف ويضيع في المزايدة إلى ميدان الصناعة الرحب !! ص ٩٠ .

ويتساءل بهاء ثانية: ولماذا لا توقف الحكومة في وجه الإسراف والاستهلاك الزائد عن الحاجة بالضرائب والجمارك وغيرها ، هذا الإسراف الذي أدى إليه ما أسلفناه من تراكم الأموال في أيدي قليلة مما أصبح إنفاق المال معه نوعاً من الضياع أو التجميد: من ذلك إنفاق جانب كبير من الأموال في شراء السيارات والفريجيدرات، والعطور، وتجميد مئات الألوف من الجنيهاً في خاتم يتحلى به رجل أو عقد يزين صدر خساء، وثمن حبة واحدة من حبات العقد يفتح أبواب العمل والكسب أمام عشرات المواطنين !!

وبسخرية لاذعة يقول بهاء: «وهذه الحكومة المصرية التي تريد أن تستقدم مختلف أنواع البحوث الفنية لتبحث عن احتمالات الاستثمار وأحسن إمكانياته ونهضة الجولرؤوس الأموال المحلية؟ ولماذا لا تتبنى المشروعات المنتجة فتقترض من السوق المحلي للقيام بها، أو تشارك فيها شركات محلية أو تنفرد بها بوسائلها الخاصة وأهمها الضرائب؟! إن رسم الخطط السليمة لأي ناحية من نواحي الاستثمار كاف لاجتذاب الشركات والمخدرات (ص ٩١) .

ويختتم بهاء كلامه قائلاً: يسأول:

وهل يستعصى على الدولة المصرية بنظمها الحاضرة أن تنهض بمشروع للسنوات الخمس بتنظم كل هذه الجهود لدفع الإنتاج إلى أعلى ، إن هذه الحلول على الأقل تبقى زمام الأمر في أيدينا وتجعل طريق التطور والرقى مفتوحاً أمام الشعوب التي يجب أن يبقى لها الحق في أن تبدل في أشكال المجتمع الذي تعيش فيه في اللحظة التي تختارها: فهل يرى المسئولون فينا والذين يدعون

مكتبة

www.egyptianlib.org



للاستعمار الأمريكى بين ظهرانيها هذا الرأى ؟ أم أنهم يفضلون تسليم البلد لرأس المال الأمريكى والاعتماد على صداقته ؟ ص ٩٢

هذا باختصار شديد ما كان يؤرق بال وفكر عقل الشاب أحمد بهاء الدين فى منتصف عام ١٩٥١ .

هموم وقضايا الوطن من العدل والعدالة إلى الاستعمار والاحتلال كانت هى القضية التى كرس لها قلمه عبر صفحات مجلة «الفصول» !.

ووسط هذه الهموم والمشاكل كان لأحمد بهاء الدين اهتماماته الأدبية وعلى صفحات «الفصول» أيضاً نكتشف معاً هذه المفاجأة الأدبية ..

أحمد بهاء الدين شاعراً!!

نعم على صفحات «الفصول» مارس أحمد بهاء الدين كتابة المقال السياسى والاجتماعى والثقافى لكن اعتبر حقاً - وربما المدهش فى نفس الوقت - أنه جرب كتابة الشعر!! نعم كتب أحمد بهاء الدين القصيدة العمودية التى يلتزم فيها بالوزن والقافية!!

وفى الصفحة الأخيرة من «الفصول» (أغسطس ١٩٤٧) نشرت المجلة قصيدة للأستاذ أحمد بهاء الدين كان عنوانها (والصبر فى يأسه مصرع) تتكون من تسعة أبيات ويقول فيها:

عزيز على الحريا أدمع

يسبل عصيكَ والطبع

وفى القلب - من صبره - فرقة

والصبر - فى يأسه - مصرع

يجالد دهرًا عظيم الأذى

وما عاد فى قوسه منزع

مكتبينا

WWW.MAKTUBINANA.COM

بيت الكتب



يعيش بليل طويل المدى

كأنه نهاره لا يطلع

وانى كالتبر فى منجم

عليه التراب فما يسطم

يداس فكم جاهل فوقه

يدب وكم أحقق يرتع

وانى لكالتور فى كوة

عليها الستائر ما ترفع

فيا قلب رشذك إن الذى

يمثله الظن لا ينفع

ستحيا وتشقى وتشهد ما

يميت النفوس وما يرجع!

كان عمر «أحمد بهاء الدين» وقتها ٢٠ عاماً، عندما تجاسر ونشر هذه القصيدة المغرقة فى حزن رومانسى ووجع عاطفى لا حدود له، وأذكر عندما حاورته فى نوفمبر ١٩٨٠ (بعد ٣٣ عاماً على كتابته الشعر) وذكرته ببعض أبيات قصيدته ضحك طويلاً من أعماق قلبه وقال لى يومها:

من حسن حظ الناس وأيضاً من حسن حظى أننى اعتزلت كتابة الشعر مبكراً جداً، فما كتبته كان رديئاً بشكل لا نظير له وسيئاً بدرجة لا يتصورها أحد.

وأذكر أن الشاعر الكبير الفنان «كامل الشناوى» كان قد عثر على عدد مجلة الفضول المنشور به هذه القصيدة البائسة، ومن حين لآخر كان يهددنى بأنه

مكتبة
www.KitaboSunnat.com



سينشرها في أخبار اليوم التي كنت رأس تحريرها وقتها.. والحمد لله أنه لم يفعلها!!

ويضحك أحمد بهاء الدين وهو يضيف: في فترة من فترات المراهقة ظننت أنني سأكون شاعراً كبيراً.. أحمد شوقي مثلاً.. فقد كنت أعشق وأحفظ معظم القصائد والأشعار الوطنية والسياسية لشوقي وحافظ إبراهيم!

ويروي أحمد بهاء الدين قصة لها مغزاها عندما كان طالباً بكلية الحقوق، وكان له زميل وصديق قريب إلى قلبه هو د. عبدالوهاب العشماوى، يدرس معه بنفس الكلية فيقول (وكنيت أنا وعبد الوهاب نجلس في مدرج كلية الحقوق نستمع إلى محاضرات القانون، فإذا كان الدرس مملاً تبادلنا كتابة الشعر: يبدأ أحدهما كتابة قصيدة ويرسلها للآخر، ليكملها ويعيدها، وهكذا نتبادل مرات في المدرج في هدوء شديد، تحت عين الأستاذ الذي كان يستنتج من استغراقنا في الكتابة أننا تلاميذ نجباء جداً (!!) وكان العشماوى باشا (والد صديق بهاء) إذا أراد أن يرفه عنا من وطأة المذاكرة يقول لنا: هيا أسمعوني النص الكامل لمسرحية «مجنون ليلي لشوقي مثلاً.. فنقرأها من الذاكرة ويصحح لنا ما قاتنا..

وعن هذا الجانب أيضاً وهو جانب الاهتمام بالأدب والشعر يضيف «أكرم ميداتي»: (كان يعرف عن «بهاء» ولعه الشديد بالقراءة، كما بدأت تظهر معالم الأسلوب الرائق في كتابته، وكان يحفظ صفحات من كتب «طه حسين» يرددها بين زملائه من «الأيام» و«دعاء الكروان»).

وصادقة مرة طالب كان يواجه الدراسة بصعوبة فكان يقصد مشورة بهاء بعد كل محاضرة ويسأله أن يشرح له بعضها أو بعض النصوص في الكتب القانونية، ولم يكن بهاء يبخل على أحد بما لديه، غير أن هذا الطالب لزم جانبه زمناً حتى جاءه مرة بطلب غريب، وهو أن يكتب قصيدة ليرسلها باسمه (أي اسم الطالب) إلى فتاة وقع في غرامها ويرغب أن يعبر لها عن حبه.



(فى أول الأمر) اعتذر له بهاء بأنه لم يتقن كتابة الشعر حتى يلبي مثل هذا الطلب لكن العاشق الولهان لم يصدق! هل هذا معقول؟ «أحمد بهاء الدين، لا يقدر على كتابة قصيدة؟! وألح فى طلبه يوما بعد يوم، ولم يستطع بهاء أن يقنعه بأن يتوقف، وأصبح الإلحاح شديدا أكثر من مرة كل يوم حتى قال له بهاء: هذه قصيدتك وهى ليست باللغة الفصحى تماما ولكنها ستصل إلى قلب حبيبتك بدون تعب:

ليه يا بنفسج تبتهج وانت زهر حزين
والعين تتابعك وطبعك محتشم ورزين
ملفوف وزاهى يا ساهى لم تبوح للعين
بكلمة منك كأنك سر بين اثنين
حسنك فى كونك بلونك تبهج المقهور
اللى يزوره سميره فى الظلام مستور
حطوك خميلة جميلة فوق صدور الغير
تسمع وتسرق يا أزرق همسة التنهيد
أسمح وقوللى مين اللى قال معايا آه
بقولها وحدى لوحدى والأسى هواه

وحسب رواية أكرم ميدانى: فقد اختطف العاشق الملح القصيدة وطار بها ولم يعد ليسأل عن قصيدة أخرى.

وكانت هذه آخر تجربة لبهاء فى شخصية «سيرانو» يتوجه بشعره إلى

«روكسان» من خلف القناع، كانت القصيدة كلمات دور البنفسج الشهير لصالح

عبدالحى من شعر «محمود بيرم التونسى»!!

مكتبينا

WWW.MAKTUBINA.COM

بيت القلم



ودلالة هذه القصة ببساطة بالغة أنه لو لم يكن «بهاء» متذوقاً وعاشقاً للفنون لما اهتدى إلى هذه الحيلة الطريفة مع صديقه ليتخلص من المأزق الذي وضعه فيه .

كانت مجلة الفصول «محطة مهمة في مشوار أحمد بهاء الدين، الفكرى والسياسى، ثم جاءت محطة «روز اليوسف» فى حياة أحمد بهاء الدين .
وبنفس الطريقة البسيطة التى كتب بها «بهاء» أول مقالاته فى الفصول تكرر نفس الشيء مع روز اليوسف ..

فى عشرات اللقاءات والحوارات الصحفية روى «بهاء» قصة ذهابه إلى روز اليوسف «وكانت ببساطة وحسب كلامه كما يلى: سنة ١٩٥٢ وقبل قيام ثورة ١٩٥٢ بعدة شهور صدر قانون يسمح بأن تؤسس الشركات المصرية بنسبة ٥١٪ رأسمال أجنبى والباقى رأسمال مصرى، وكنت أعتقد - وقد تحقق اعتقادى - أننا لسنا فى حاجة إلى رؤوس الأموال الأجنبية وأن مدخراتنا المحلية تكفى لتمويل مشروعاتنا وشركاتنا، وأن المسئولين أيامها فتحوا أبواب الدولة أمام رأس المال الأجنبى . وتحمست لكتابة مقال عن الكماليات أهاجم به القانون الجديد، ودرست إحصائيات الواردات والصادرات وكتبت مقالا بالحقائق والأرقام عن الملايين التى نصرفها سنوياً على المجوهرات والويسكى والعطور .. وكانت أرقاماً مخيفة ومذهلة ..

ولكن أين أنشر هذا المقال؟! ولم أجد مجلة أكثر جرأة من روز اليوسف فذهبت إلى هناك وأعطيت المقال للبواب، وطلبت منه توصيله إلى رئيس التحرير الأستاذ إحسان عبدالقدوس!

وبعد أسبوع بالضبط فوجئت بنشر مقالى كاملاً ووقعه باسمى ووضعوا له عناوين مثيرة لافتة للانتباه .

ثم كتبت مقالا آخر وذهبت وسلمته لبواب، روز اليوسف، ثم صدرت المجلة لأجد مقالى منشوراً بنفس الاهتمام أيضاً.

مكتبي

www.maktaba.com

٢٥

مكتبة



وتكرر ذلك الأمر عدة أسابيع، أسلم مقالى للبواب، فأجده منشوراً فى المجلة، فى إحدى المرات طلب منى البواب الانتظار قليلا، ثم أبلغ الأستاذ أحسان عبدالقدوس بوجودى، فطلب أن أذهب إليه.

وهكذا بدأت رحلة «أحمد بهاء الدين» الصحفية فى مدرسة روز اليوسف، مدرسة الهواء الطلق كما يسميها الكاتب الكبير الأستاذ «كامل زهيرى».

كان المقال الأول «لبهاء» فى روز اليوسف خطيراً ولافتاً للانتباه بشكل كبير، لقد نشر على الصفحة العاشرة من المجلة فى عدد ٢١ أبريل ١٩٥٢ بعنوان كبير هو «أموال مصر»!

ثم أربعة عناوين أخرى كانت كما يلى:

١٨ مليون جنيه تنفقها مصر فى شراء الجواهر.

٣ ملايين لشراء السيارات و٣ ملايين لشراء التحف

مليون ونصف ثمن البيرة و١٣٢,٣٩٠ جنيه ثمن الكونياك.

أسعار الأراضى الزراعية أصبحت أثمنا وهمية.

أما مقال «بهاء» نفسه فقد جاء على النحو التالى.

يتم - بعد أيام - تعديل قانون الشركات، فلا تتقيد الشركات بعد ذلك بشرط امتلاك المصريين ٥١٪ من رأس المال الذى تستثمره فى مصر.

وقد بررت وزارة التجارة والصناعة هذا التعديل فى مذكرتها التفسيرية بأن «رؤوس الأموال المحلية وحدها لا تفى بما يتطلبه استغلال مواردنا الاقتصادية كاملة، وتحقيق ما ينقصنا من مشروعات، وعلى الأخص ما اتصل باستخراج الثروة المعدنية وإقامة الأعمال الكبرى التى تتطلب مالا ضخما وفنا حديثا ممتازا».

رؤوس الأموال الوطنية لا تكفى! الحجة الخالدة التى تسوقها اليوم وزارة التجارة بين يدي التعديل الجديد!

مكتبي

WWW.MAKTABI.COM

بيت الكاتب



فهل قدرت وزارة التجارة أبعاد هذه الكلمة الخطيرة قبل أن تسجلها في مذكرتها؟ وهل استنفدت شتى الطرق والوسائل لتشجيع رؤوس الأموال المصرية - بل وإرغامها - على الاستثمار وتوجيهها إلى تبنى المشروعات الكبرى . هل فرغت من كل ذلك؟

إن رؤوس الأموال المصرية - فيما أرى - كافية . وإن ما ينقصنا ليس المال ولكنه التوجيه الجريء .. وليست مصر على أى حال من البلاد القاحلة كاليمين وليبيا حتى يقال إنها تفتقر إلى رؤوس الأموال . وليتفضل وزير التجارة معى فى جولة خاطفة، اثبت له فيها أن المال الفائض عندنا كثير، وأطلععه على بعض ما ننفق فيه - عبثا - هذه الأموال .

هذه - مثلا - أحصاءات الواردات التى تشتريها مصر سنويا من الخارج . منشورة فى التقرير السنوى لاتحاد الصناعات، تظهر لنا الكيفية التى ننفق بها أموالنا، وماذا نشترى من الخارج .

تقول هذه الإحصاءات إننا اشترينا فى سنة ١٩٥٠ من المعادن الثمينة والآلى والأحجار الكريمة ما قيمته ١٨,١١٨,٧٨٠ جنيه! ١٨ مليون جنيه فائضة عن حاجة الذين يملكون المال .. انفقناها فى عقود من اللؤلؤ .. وكل حبة فيها تنشئ مصنعا، أو متجرا، وتفتح أبواب العمل أمام عشرات .

والمصيبة تتجلى بكل «روعنها» بالمقارنة، فهذا باب آخر من أبواب الواردات جعل له اتحاد الصناعات عنوانا هاما هو «مواد أولية ومهمات»، وتحت هذا العنوان يندرج ١٨ صنفاً من المواد الإنتاجية الهامة التى نحتاجها أشد الحاجة مثل «مولدات ومحركات كهربائية، آلات بالبخار والاحتراق، مراجل ومحولات بخارية، إطارات وأنايب هوائية، نحاس خام .. أخشاب للبناء .. سيور للآلات .. ألخ ألخ فبكم اشترينا من كل هذه الآلات والأدوات التى هى عماد التقدم؟ اشترينا منها ما قيمته ١٦,٢٠٣,٠٩٤ جنيه فقط لا غير! .. أى أننا اشترينا من كل الآلات أقل مما اشتريناه من المجوهرات بمليونين من الجنيهات! .

مكتبي

WWW.KUTUBKHANA.COM



ولمست المجوهرات هي الترف الوحيد أو البئر الوحيد الذي نقذف فيه سنويا بهذه الملايين: فالبيرة دفعنا فيها ١,٤٠٧,٩٠٤ جنيهات، والكونياك ١٣٢,٣٩٠ جنيه، وسائر الخمر ٢١٥,٤٧٧ .. والمجموع يقترب من المليونين!.

والسيارات الخاصة اشترينا منها بحوالى ثلاثة ملايين، والمصنوعات المعدنية والزجاجية والخزفية بـ ٣,٣٢٣,٨٠٧ جنيهات! .. وغير ذلك كثير..

وباب آخر لهذا الاستهلاك، بل الاستنزاف الرهيب.. ما نعرفه عن عشرات الملايين التى كان يخرج بها المصريون من وطنهم - رغم أنف القانون - كلما كان صيف، ينفقونها فى أغراض التصريف.

وباب ثالث لعله يفوق ما أسلفناه خطرا.. هو تلك الظاهرة المتفشية بين أصحاب المال المصريين، من اتجاههم إلى استثمار أموالهم فى شراء الأرض، ولا شىء غير الأرض، فكل سنة تأتيتهم بفائض جديد، يشترون به أرضا جديدة .. ولكن الأرض فى مجموعها هي نفس الأرض لا تكاد تزيد، فانقلب الأمر إلى مزايده متصلة الارتفاع على نفس المساحة من الأرض، حتى وصل متوسط سعر الفدان إلى ١٢٠٠ جنيه! وكل الاقتصاديين يعرفون أن هذا السعر سعر وهمى، أى أنه لا يوازى القيمة الإنتاجية الحقيقية للأرض.

وأنه سعر لم يوجد إلا التنافس على الشراء، وتدفق الذهب على هذا الطين، فإذا كان ثمن الفدان كما يجب أن يكون وفقا لإنتاجيته هو ٥٠٠ جنيه مثلا، ولكنه يباع فعلا بـ ١٢٠٠ جنيه، فمعنى ذلك أن الـ ٧٠٠ جنيه الفرق تنفق فى الهواء.

وما أكثرها، الملايين التى تصب فى هذا الهواء!

وبعد.. فأى عبرة نخرج بها من هذه الجولة؟

العبرة هي أن الأموال فى مصر متوفرة إلى حد بعيد، وإن أصحابها

ينفقونها فى سفه شديد!

مكتبينا

WWW.MAKTABIYAT.COM

بيت الكوفي

وكل الشرائع السماوية والأرضية تجيز «الحجر» على السفية، لإرغامه على تقليل نفقاته، واستثمار أمواله استثمارا بصيرا، وليس في «الحجر» شيء من المصادرة أو الاشتراكية أو غيرها من المبادئ المنطرفة.. إنما هي إجراء بسيط.. بسيط جدا.. تمارسه كل الدول تقريبا.

وانجلترا نفسها - وعلى عهد المحافظين من غلاة الرجعيين - مازالت تحدد الأموال التي يحملها المسافر إلى الخارج، وتضبط المصروفات، وتخفيض الواردات من الضروريات بعد أن استغنت تقريبا عن الكماليات، بل وتحرم على نفسها بعض ما تنتجه سواعد بنيتها من سلع فتخصصها كلها للتصدير إلى الخارج، وليست هذه الإجراءات إلا بعض صور «الحجر» الذي تستطيع الحكومة لو أرادت أن تمارسه.. برقابة تفرضها على طريقة انفاق الأموال، ووجوه استثمارها.. فتغلق في وجهها أبوابا من الاستهلاك السفية، والاستثمار الذي لا غناء فيه، وتفتح لها بشتى صور التشجيع أبوابا أخرى من الاستثمار المنتج المفيد.

فهل نظرت وزارة التجارة إلى ذلك كله قبل أن تسجل على نفسها تلك الكلمة الخطيرة: إن رؤوس الأموال المصرية لا تكفى؟ وهل بذلت وسعها كله في تشجيع الأموال المصرية على الإنتاج والاستثمار، وأظن أن هذه هي وظيفتها التي أنشئت من أجلها.

إن تدخل الحكومة بالحد من شراء الأرض، واستيراد الثوافة، والاتفاق الضائع، وتدخلها ببحث أبواب الإنتاج الجديدة، وتشجيع المصريين على ولوجها كل ذلك أصبح واجبا عليها لا مفر منه.

أما أن تظل مصر كالوارث السفية، تنفق على زينتها وبهرجها.. فإنها الكارثة!



أما المقال الثاني «الأحمد بهاء الدين» فقد نشر في ٢٨ أبريل ١٩٥٢ بعنوان «كيف تولد الأحزاب» وجاء كما يلي:

مكتبي



تنفرد مصر - دون سائر بلاد الأرض - الديمقراطية - بطريقة فذة في تكوين الأحزاب ..

فالطريقة المألوفة في العالم أجمع أن يخرج الزعيم من صفوف الشعب، ينشئ حزبه ويجمع حول دعوته الجماهير، ويظل يكافح على رأس حزبه حيث يصل إلى الحكم .. أما في مصر، فالزعيم يصل أولاً إلى الحكم، ثم ينشئ لنفسه بعد ذلك حزبا!

وكثيرة في مصر الأحزاب التي ولدت هذه الولادة غير الطبيعية، منها التي ماتت ومنها التي ما تزال تعيش .

فما مغزى هذا الوضع المقلوب؟ مغزاه أن هذه الأحزاب لا تظهر نتيجة للأسباب الطبيعية التي تملئ وجود الأحزاب .. كمصلحة مشتركة ومستقبل واحد يجمع بين جماهير معينة ويدعوها إلى التكتل في حزب يعبر عن رأيها .. أى أن هذه الأحزاب ليس لها مفهوم اجتماعي أو اقتصادي يربط به الناس وليست لها رسالة دائمة يمكن أن تعيش عليها زمنها المقدور .. إنما هي محاولات فردية لقوم منعزلين فعلا عن الجماهير، منقطعين: عن فهم حركة تطور التاريخ، تخدعهم كفاياتهم الذاتية والظروف الوقتية التي دفعت بهم إلى السطح، فهم يتخذون الأحزاب لا لشيء إلا لكسب الصفة «التمثيلية» التي لا بد منها في نظام «برلماني»!

وطبيعى جدا أن تموت هذه الأحزاب بأسرع مما يقدر أصحابها، ولنضرب مثلا بحزبى الاتحاد والشعب: انشئ الأول بتشجيع من وزارة زيور، وأنشأ الثانى إسماعيل صدقى وهو فى الحكم، وزاد صدقى فأنشأ لحزبه دستورا، وصنع بدستوره برلمانا، وظن أن التجربة يمكن أن تعيش ..

ولكن .. مات الحزبان، وزعماؤهما على قيد الحياة!

خاتمة هي مصير كل حزب .. لم يخرج من صفوف الناس ولكنه هبط عليهم! فيظل دائما غريبا عنهم، ليس لحياته مظهر إلا الاجتماع بين جدران

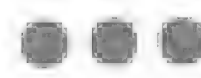
ناد أنيق فى أحد شوارع القاهرة الراقية، والوثوب إلى مقاعد الحكم فى بعض الظروف.. وبفضل الظروف لا بفضل تأييد التابعين!..

فما أخرى من يريد أن ينشئ فى هذا البلد حزبا أن يسأل نفسه قبل أن يقدم هؤلاء الملتفون حوله.. هل يلتفون حول فكرة راسخة أم حول سلطان؟ هل لهذا الحزب مذهب يمكن أن يكون عقيدة للملايين؟ هل له رأى كامل واضح فى تنظيم شامل للمجتمع أم أنه يحقق حاجة وقتية، جزئية، فحسب؟ هل له خطة مستقبلية يمكن أن يعيش عليها سنوات لا يقاس إليها عمر الزعيم مهما يكن مديدا؟ وأى فئات الشعب تلك التى يمكن أن تلتف حوله؟

ثم ليأخذ، من يريد أن ينشئ فى هذا البلد حزبا، هذا الدرس البسيط على الطبيعة: إن الشجرة الراسخة الوارفة لم تهبط على الأرض ولكنها كانت بذرة خرجت من باطنها!

وان حزبا بلا جذور، تودى به أى ريح.

إنتهى المقال



ثم جاء المقال الثالث بتاريخ ٥ مايو ١٩٥٢ بعنوان مثير «من هو الزعيم؟» وفيه كتب بهاء يقول:

لم ير الناس أعجب من الأسباب التى ساقها سعادة حافظ رمضان باشا، مبررا بها اعتزاله السياسة..

وقد وجد الباشا ما جعله يشعر «بالفساد ينتاب كل نواحي الحياة السياسية فى البلد، وأن الوسائل المشروعة والمنطق المعقول والقيم الأخلاقية لم تعد مجدية فى هذا المضمار، وقد تردد فى فكرة الاعتزال حيناً، ولكنه ما وجد إلا «أمعانا فى الفساد وتوغلا فى الانحلال، والحياة كلها تضليل وأباطيل!!».

وتحن نويد الباشا فى أن كل القيم والمقدسات فى هذا البلد تجتاز محنة رهيبة، ولكن.. إذا كان الزعيم ينسحب إبان المحنة، فمتى يتقدم إذا؟

أ يكون ذلك إذا صلحت الأحوال واستقرت الأمور واختفى الفساد وتحسرت البلاد؟.

لقد كان الشاعر العربى القديم يصف البطل بأنه الذى «يغشى الوغى ويعف عند المغنم»! أى يظهر وقت الشدة ويختفى وقت الرخاء.. وليس العكس!.

وقد علمنا التاريخ أن الزعيم لا تتمخض عنه إلا محنة أو شدة، وأن نجمة لا يلمع إلا فى الظلام: فنحن لا يمكن أن نفهم دور ديفاليرا ما لم نعرف مدى سطوة الإنجليز على إيرلندا وعنق قبضتهم عليها.. ونحن لا نفهم دور غاندى إلا إذا عرفنا أية هوة سحيقة كان شعب الهند مترديا فيها، وأية أمراض اجتماعية واقتصادية وأخلاقية قاتلة كانت تنهش فى كيانه حين تصدى غاندى للزعامة.. بل إننا لن نفهم دور مصطفى كامل - الزعيم الأول للحزب الوطنى - إلا إذا ذكرنا أى نوم كان يغط فيه المصريون، وأى تحلل كان يسودهم، وأى استبداد كان يركبهم.. ولم يجد مصطفى كامل فى كل هذه المحن إلا أسبابا لمضاعفة الكفاح.

ثم.. أهى وسائل الجهاد المشروعة، تلك التى جربها الباشا، واستنفدها ويئس منها؟ إنه يقول فى بيانه: «إن الذين يسرون إليه بأخلاصهم للبلاد منصرفون فى أوان الجد إلى مصالحهم الذاتية وحدها.. وإنه كتب شخصيا إلى كثيرين من هؤلاء فكان كلهم بين مهرب ومتردد»..

أجهاد بالمراسلة؟ وخطابات لبعض الأصدقاء وحملة الألقاب وذوى الأسماء المطروقة؟

إن الخطاب فى هذا العصر لا يوجه إلا إلى الشعوب، والتأييد لا يطلب إلا عند الجماهير! ولكن الظاهر أن الباشا - وقد علت به السن - أصبح رقيق المزاج.. فهو يريد أن يكون الاشتغال بالسياسة كالاشتراك فى ناد أو ممارسة لعبة رياضية.. والسياسة - مع الأسف - ليست نزهة رياضية فى طريق ممهد، والزعامة ليست بطولة فى التنس مثلا.. إنما هى أن تفتح منطقة الولاء متعرضا لجراثيمها، وتغرس قدميك فى الطين، وتصارع حتى تلهث، وتمد يدك الخشنة إلى الشعب الغارق فى الأحوال..

مكتبينا

www.maktabatunabla.com

من فرط اكتنازها!! كانت هذه المرأة «محترمة» جداً، بل كانت المثل الأعلى..
إذ استوفت كل حاجة الجنس من اللحم والشحم والكسل الذى يغرى بالخدر
والاستسلام والانصراف عن عجلة الحياة.

ولكننا اليوم نرى هذا المثل الأعلى صورة بشعة!.. والشاب النابه المتقدم
اليوم لا تطوف بمخيلته مثل هذه الصور.. إنما هو يريد أن تكون زميلته
وشريكته خفيفة الحركة، مشرقة الذهن، واسعة الأفق.. يريد زوجة تفهم
رسالته وأما مستنيرة.

فالمراة إذا قد فقدت «احترام» الجارية أو المتاع، لتكسب احترام الزميلة
والشريكة على قدم المساواة.

ولم يشأ علماء الأزهر أن يطالبوا صراحة بحرمان الفتاة من التعليم الجامعى
فطالبوا بفصلها عن الفتى، وهم يعلمون أنهم يطلبون المستحيل.. فلو جاربناهم
فى منطقهم لكان واجبا - ومن باب أولى - أن نخصص للنساء دورا للسينما
ومركبات للترام ومحلات للشراء.. أى أن يصبحن منبوذات.. كالزئوج فى
الولايات المتحدة مثلا!

وبعد.. فإن خروج المرأة إلى الحياة العامة واختلاطها شىء، والأخطاء التى
قد تشوب ذلك شىء آخر.. وعلماء الأزهر يعرفون أن من مبادئ أصول الفقه
أن «العرض لا يؤثر على جوهر القضية».. فاستخدام السيارات مثلا يؤدى إلى
كثرة الحوادث.. كذلك اختلاط المرأة ومساواتها للرجل يجب أن نسلم به،
ولنبحث لكل عيب يظهر بعد ذلك عن علاج..

●●●

ثم يأتى المقال الخامس وعنوانه «أحلام أمريكية»، وعندما نقرأ هذا المقال

المنشور فى ١٩ مايو ١٩٥٢ ستندھش مثلى تماما، فقد بدا وكأنه مكتوب هذه
الأيام، يقول بهاء فى مقاله المهم:

مكتوبنا

WWW.MAKTUBANA.COM

ما أكثر ما تجرى صحافتنا المصرية مع الأحلام، وما أكثر ما تترك قراءها يلهثون خلف السراب..

وكان حلم الأيام الماضية هو أمريكا، وتدخلها الموعد لزجر الإنجليز، وإقرار العدل والحرية في ربوع وادي النيل! ومضت الصحف وراء الحلم الذي صنعه لنفسها شوطا بعيدا: تؤكد هذا التدخل، وتروی تفاصيله وتعلق عليه الآمال. وها هو وكيل الخارجية الأمريكي والسفير الأمريكي ينشط، وينشط، وزميله الإنجليزي يرتعد من هذا النشاط فرقا.. ثم يطلع الصبح، وينتهي الحلم، ويتبين أن: السفير الأمريكي لم يصفع زميله الإنجليزي، بل كان يربت على كتفه ويشجعه! ويستيقظ البعض على الحقيقة القاسية، ويظل الآخرون غارقين في وهمه، يبدئون في الحلم ويعيدون!

وأكثر ما يلهب مخيلة هؤلاء الحالمين وينشط أحلامهم، ما يقرأونه عن الخلافات بين انجلترا وأميركا، وهنا ينبغي أن نقف ونفهم: ما حقيقة هذه الخلافات؟

نعم.. إن الخلاف بين الدولتين موجود.. ولكنه خلاف الأخوين يتنازعان على «التركة»، ولكنهما يتحدان في وجه الغريب، فهو ليس خلافا أساسيا بين دولة تريد أن تحتفظ بنفوذها ودولة تريد أن تحرر الناس من كل نفوذ.. إنما هو خلاف بين نفوذين وبين سيطرتين.. فإذا هبت ريح من الوطنية الخالصة تريد أن تقنع كل أشكال النفوذ، فهذا يتحد أصحاب النفوذ المتنافسون أمريكيان أو إنجليترا وفرنسيون.. يتحدون في وجه الحرية الزاحفة الخطرة عليهم أجمعين!

ألم يعكر على هؤلاء الحالمين صفو أحلامهم، ما صنعتها أمريكا في قضايا المغرب من أسابيع؟.. كانت الصحف الأمريكية تندد بالاستعمار الفرنسي، والمسؤولون الأمريكيون يصرحون بالنصح لفرنسا أن تحقق مطالب المغرب الوطنية. ولكن القول شيء والفعل شيء آخر.. فحين ذهب وزراء تونس يعرضون قضيتهم على مجلس الأمن، منعتهم أمريكا من دخول أرضها، وأقنعت مجلس الأمن أن يرفض نظر القضية.. أقنعت القاضي أن يغلق عينيه

.. ويغلق أذنيه فلا يسمع صراخهم، ويغلق فمه فلا ينطق بكلمة حق واحدة..
وهكذا حتى هدأت العاصفة أو كادت، وعاد الاستعمار الفرنسي يرفع رأسه من
جديد، كما عادت الصحف الأمريكية - أيضاً - تتحدث عن الحرية.

ولست أرى سببا يعطف قلب أميركا على المصريين، كما لم يعطفه على
المغاربة!

إن الخلاف بيننا وبين هؤلاء الحالمين بسيط.. بسيط ولكنه أساسي، هم
يرون حل القضية الوطنية لا يأتي إلا من الخارج، من قوة أجنبية ما. ونحن
لأننا نأمن أبدأ من الغير.. لا من الشرق ولا من الغرب.. إنما الحل هذا في
مصر وفي قلب كل مصري..



ثم يأتي المقال السادس وعنوانه «الحذاء الحديدي»، ويتناقص فيه ميزانية
الحكومة والإيرادات والمصروفات وكأنه يكتب أيضا لقارئ هذه الأيام، يقول
بهاء في مقاله المنشور بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٥٢ .

ليس فينا من يكره للميزانية أن تتوازن، وإن تجئ الإيرادات كالثوب
المحبوك على «قذ» المصروفات! ولكننا نكره أن توضع الميزانية وضعا تعسفيا
في قالب ضيق، كذلك الحذاء الحديدي الذي كانت تلبسه الفتيات في الصين
القديمة، فيمنع أقدامهن من النمو، ولا يلبث أن يمتد إليها الشلل والعجز.

إننا لا نتصور أن نأخذ في هذه الفترة بالذات بسياسة انكماشية، ونحن نشكو
مر الشكوى من ضعف الإنتاج وعدم مسايرة المشروعات الإنتاجية لازدياد
السكان وانتشار الوعي. ولا نعتقد أنه من المستطاع حقا اختزال حوالي أربعين
مليوناً من الجنيهات من بند المصروفات، ما لم تقتل المشروعات الإنتاجية
القليلة الهزيلة، التي تنطوي عليها الميزانيات المصرية عادة.

ومن أي اليقود يكون الخصم إن لم يكن بند الأعمال الجديدة؟ إننا لم نسمع
حتى الآن إلا عن بلد الموظفين، وقد قررت الحكومة بشأنه إيقاف التعيينات.

مكتبي

01111111111111111111

فكم يوفر لنا هذا الإجراء؟ وكم يوفر إلغاء السيارات الحكومية ونقل كميات الورق والأقلام التي يستهلكها الموظفون، والتليفونات التي يستعملونها؟.. مليون؟ مليونان؟ ليس أربعين مليوناً على أي حال!

ومع ذلك فإن إيقاف التعيينات يبدو لنا مستحيلاً تقريباً: فمع العام الجديد سوف تحتاج المدارس الجديدة إلى مدرسين، والمراكز الاجتماعية المعطلة إلى أطباء، والمشروعات العمرانية إلى مهندسين، سوف تضطر الحكومة إلى فتح أبواب التوظيف أمامهم أجمعين.. لأن تعليم الشعب وعلاجه ومده بمياه الشرب ليست من الكماليات التي يمكن حذفها.

ولسنا بذلك نعارض في ضغط المصروفات. إنه من الضروري بغير شك أن نحذف كل مصروف لا لزوم له، وكل عمل له طابع الزخرف أو البهرج، وعدم الجدوى.. ولكن الذي نريد أن نؤكد أنه من ضغط الميزانية ليس بالحل الكامل لاختلالها، اللهم إلا إذا كان ضغطاً عالياً يزهد أنفاسها، ويتركها جثة هامدة لا حياة فيها.. أي لا مشروعات.

فلا مقر للحكومة إذا من أن تفكر في زيادة إيراداتها. وليس لها أن تفرع من تلك الصيحات التي تتنادى بأن الضرائب الحالية باهظة! وأن فرض ضرائب جديدة خطر خطير وشر مستطير على الاقتصاد القومي والإنتاج الوطني. فالواقع أن الضرائب الجديدة ليست خطراً إلا على دخول الصائحين.. وإن الضرائب في مصر عازلت تافهة في نواح كثيرة.. وما زالت هناك أكثر من أرض صالحة لفرض ضرائب جديدة لا تتعارض مع تشجيع الإنتاج.

فالحكومة تستطيع أن تفرض ضريبة تصاعديّة جدية على الملكية الزراعية دون أن تخشى على الإنتاج من شيء.. لأن الضريبة لن تقلل حصة الفدان، ولأن الملكية الزراعية - على أية حال - ليست في حاجة إلى تشجيع!

والحكومة تستطيع أن تجعل لضريبة التركات وجوداً حقيقياً بدلاً من الوجود الشاحب الهزيل.

مكثفنا

٣٧ WWW.MAKTHAFNA.COM

بيت الكوفي

والحكومة تستطيع أن تفرض «ضريبة مشتريات» على الكماليات التي تغرق السوق، وتستغرق الأموال، والتي نستورد منها سنويا مايزيد على ٣٠ مليون جنيه.

وهذا بعض من كثير.

في ذلك الوقت - يونيو ١٩٥٢ - كانت مصر تغلي وتفور بالغضب والغليان، إلى حد أن يكتب أحسان عبدالقدوس في روز اليوسف بتاريخ ٢ يونيو ١٩٥٢ مقالا ساخنا قال فيه «خير لمصر أن يديرها رجل يسرق النصف ويعطيها النصف بدلا من أن تتعامل مع شريف لا يسرق ولا يعطيها».

وفي نفس العدد يكتب بهاء عن «الإنجليز في بلادنا»!



أما في عدد ٩ يونيو فيكتب بهاء عن «السلطة المطلقة» فيقول:
يعجب معالي وزير الدولة للضجة القائمة حول المعتقلين والاعتقال؛ مع أن الحكومة أفرجت عن المعتقلين جميعا؛ فلم يبق منهم في الاعتقال إلا أربعين . فقط لا غير..

والواقع أن تمسك الحكومة بهذا العدد الضئيل هو الذي يدعو إلى أعجب العجب : فمن هم ياترى هؤلاء الأربعون من المردة الشياطين، الذين تصر الحكومة على وضعهم في قمم الاعتقال؟ أهم خطرون على كيان المجتمع حقا إلى هذا الحد؟ أهم الصفوة المختارة من الأشرار العتاة في هذا البلد؟.. أمن أجل هؤلاء الأربعين فقط تحتفظ الحكومة بالاحكام العرفية؟.. أم أنها تتخذهم ذريعة تتعل بها في استبقاء هذه الأحكام العرفية؟

وما أكثر الأسئلة التي تغلي في الصدور!

نعم، إنهم أربعون فقط.. ولكن كل واحد منهم ليس إلا مواطنا كالأخرين له بيت وأسرة ورزق وأحلام.. وحياة كاملة يريد أن يحيها. ومع ذلك فنحن لا نطلب إطلاق سراح المعتقلين بل نطالب بإلغاء الاحكام العرفية من أساسها

مكتبي

www.maktabi.com

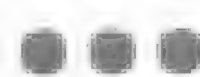


فليس يكفي الغاء الاعتقال بالنسبة لواحد من الناس أو ألف.. إنما المطلوب هو الغاء سلطة الاعتقال التي ترفرف بأجنحتها على كل الرؤوس .. حتى أصبح الناس من خوف الاعتقال في اعتقال! وليس يقنعنا أن تنكس الحكومة سيف الاعتقال المشهور في يدها، بل إنه لابد من تجريد الحكومة من هذا السلاح الخطر.. من هذه السلطة المطلقة التي لا يخولها لها الدستور إلا في حالات نادرة.. ليست منها حالتنا الراهنة، وما أظن المعتقلين أنفسهم يفرحون بالإفراج عنهم في ظل الحكم العرفي، فيخرجون من سجن محدود إلى سجن بلا حدود كما يفرحون بالغاء الحكم العرقي ذاته.

فالقضية إذاً هي قضية الحرية كحق كفله الدستور ونظام لا يقبل أى شعب متحضر نظاماً غيره ولن توجد الحرية أبداً، ولو خرج جميع المعتقلين، ما بقيت سلطة الحكم العرفى المطلقة، خصوصاً بعد أن زودت هذه السلطة نفسها بتشريع يمنع حق سماع الدعوى عن أى تصرف يأتيه الحاكم العسكرى.

وقد كان هارولد لاسكى، يقول إن «أول شرط للحرية هو تقييد السلطة السياسية بحيث توجد سلطة مطلقة تنعدم الحرية، ذلك أن السلطة المطلقة تغرى أصحابها بالشر ولو كانوا أخطارا، وتجعلهم يتوهمون أن سلامة الدولة تقتضى استمرار سلطتهم.. فى حين أننا فى ظل الحرية نستطيع أن نحاسب السلطة السياسية فى كل وقت!..»

وما أشد حاجة الناس إلى محاسبة السلطة السياسية في هذا الوقت حيث لا يوجد برلمان .. وما أشد حاجة الناس إلى حريتهم في هذه الوقت حيث لا يوجد برلمان .. وما أشد حاجة الناس إلى حريتهم في هذه الظروف بالذات، التي توضع فيها كل مقدساتهم موضع البحث والتجربة والشك.



ويتناول «بهاء» في مقاله بتاريخ ١٦ يونيو ١٩٥٢ «قصة القاضي»، ثم يناقش في الأسبوع الذي يليه (٢٣ يونيو) موضوع «الطبقة المثقفة»، ومقالاً هاماً شمل صفحة ونصف صفحة عنوانه «الصحافة الأمريكية في مصر».

وفي ٣٠ يونيو يكتب بهاء مقاله القنبلة تحت عنوان «اقتراح بسيط، فيقول:

ليت معالي وزير المالية يقرأ كلمتي هذه وهو في طريقه إلى مجلس الوزراء يعرض عليه الميزانية الجديدة. فإني أريد أن أدله على طريقة يوازن بها الميزانية ويسد العجز. أهون وأبسط من ذبح المشروعات الجديدة أو غير ذلك مما تفيض به الصحف.

وأعترف لمعاليه أنني احتجت إلى الكثير من أطراف شجاعتى لكي أكتب هذه الكلمة.. إذ إنى أعلم مقدما كم ستثير من السخط وإن كنت أعلم أيضا أن الكثيرين من الذين سيسخطون يؤمنون - في قرارة نفوسهم - بما أقول!

إننى أقترح - ببساطة - أن يخصم العجز كله أو معظمه من البند الوحيد الذى لم تمتد إليه يد الضغط وهو بند التسليح!.. فالواقع أن ظروفنا المحلية والدولية كلها تنصح لنا بالفريث فى الانفاق على شراء الأسلحة وعدم المغالاة فيه. فمن الناحية المحلية نرى أن للجيش وظيفة أولى - أوحيدة - هى المحافظة على استقلال الوطن ووطننا ليس لديه استقلال يمكن أن ندافع عنه!.. وقد يكون من واجب الرجل الحر أن يحصن بيته حتى لا يسرقه أحد.. أما السجين فإن أحدا لا يفكر فى سرقته.. إلا السجن نفسه.. وهذا هو حالنا مع الانجليز.. فنحن سجناء استعمارهم وهم يقفون بأبوابنا ويستأثرون بسرقتنا فليس لنا الآن عدو واضح غيرهم.

ومن الناحية الدولية أيضا نرى أن خطر إسرائيل علينا خطر موهوم لن يكون حقيقيا قبل أن نحمل تبعات الاستقلال لأن الإنجليز يستعمروننا لحساب أنفسهم لا لحساب إسرائيل. أما عن خطر الحرب الثالثة فإن تشويها لا يعيننا ونحن فى وضعنا الراهن. لأننا لن ننضم لأحد الفريقين وإرادتنا مسلوبة، ولن نستطيع أن نمنع أن تكون بلادنا ميدان قتال ما دام الإنجليز فعلا فى بلادنا!

وليس معنى هذا إهمال العناية بالجيش والاستعداد لليوم الذى نستقل فيه ونسترد حرية إرادتنا.. ولكن الأصوب فى مثل ظروفنا أن تكون سياستنا

مكي

www.egyptianpress.com

العسكرية سياسة «تدريبية» لا تسليحية.. بمعنى أن تنصرف جهودنا الآن إلى تدريب أكبر عدد ممكن من الرجال على حمل السلاح.. حتى إذا جاء يوم الاستقلال وجدنا الاكتاف القوية التي نضع عليها البنادق؛ وهي سياسة زهيدة النفقات جدا إذا قيسَت بشراء الأسلحة الباهظة الثمن والتي يتغير طرازها كل يوم.

ولست في حاجة إلى بيان الآثار التي تترتب على التوسع في السلاح، وما نحن نرى التضخم يزحف على أمريكا والجوع يعض بنايه انجلترا من جراء السلاح. حتى أن المعارضة في السلاح لتشتد وتقوى هناك كل يوم فما بالنا نحن.. واقتصادنا ضيق لايقاس إلى موارد هذه الإمبراطوريات؟



ونصل إلى شهر يوليو.. الأزمة السياسية تكاد تخلق الجميع، كان الملك فاروق قد أقال وزارة «نجيب الهلالي باشا» وتشكلت وزارة جديدة يرأسها.. «حسين سرى باشا» وكتب إحسان عبدالقدوس مقالا نارياً تحت عنوان. خطاب إلى رفعة حسين سرى باشا: «من أنت، وقال فيه:

من أنت حتى أكتب عنك؟! إما هي مبادئك السياسية العامة حتى أؤيدها أو أعارضها؟! ما هي أهدافك حتى أسعى معك إليها أو أسعى ضدك؟! أنت لا شيء سوى قلع مركب يدفعه الهواء كما شاء محرك الأهواء ويطوى ويفرد كلما طوى أو فرد؟!!

وكتب بهاء.. مقاله بعنوان «بائعة اللبن» قال فيه:

كنت قد كتبت مرة أعترض على تفكير الهلالي باشا في تكوين حزب وهو رئيس للوزارة، وقلت إن الطريق الطبيعي لتكوين الأحزاب هو أن يخرج الزعيم من صفوف الشعب، ينشئ حزبه ويجمع حول دعوته الجماهير، ويظل يكافح حتى يصل بحزبه إلى الحكم. لا أن يصل الزعيم إلى الحكم أولاً ثم ينشئ

لنفسه بعد ذلك حزبا!.. وقلت أيضا إن الأحزاب التي تولد في قاعة مجلس الوزراء تكون ولادتها غير طبيعية فلا تلبث أن تموت.. لأنها لا تمثل جماهير معينة من الناس، إنما هي محاولات فردية لقوم منعزلين فعلا عن الجماهير، تخذعهم كفاياتهم الذاتية والظروف الوقتية التي دفعت بهم إلى السطح، فهم يتخذون الأحزاب لكسب الشكل، الديموقراطي لا غير..

واليوم وقد خرج دولة الهلالي باشا من رئاسة الوزارة، وعاد إلى صفوف
الناس نراه قد سكنت عن حديث الحزب الموعود. فلماذا؟..

إن تفكير دولته في تأليف حزب وهو في كرسى الرئاسة، معناه أنه كان قد اعتنق مبادئ يريد أن يقوم الحزب عليها ويكافح من أجلها.. مبادئ عمرها أطول من عمر الوزارة حتى أراد أن ينشئ لها حزبا.. والمفروض أن دولته كان يرى هذه المبادئ خليفة أن تظفر بأعجاب الناس.. وأنه كان يعتمد في كسب تأييد الجماهير على هذه المبادئ وحدها، لا على سيف المعز وذهبه، اللذين يملآن كف كل رئيس للوزارة..

فلماذا إذن ييأس دولته من هذه المبادئ السامية.. لمجرد خروجه من الوزارة؟

لماذا لا يجرب حظه الآن؟.. فيعلن عن تكوين الحزب، وينشر مبادئه المطوية على الناس، وينزل إلى الشارع داعياً الناس - وهو الأديب الفصيح - للانضمام إليه.. ثم يرى كيف يستقبله الناس؟

ولأن يكون حديث دولته عن هذه المبادئ كلاماً نظرياً فحسب؛ فأمام الناس تجربة عملية.. جربوا فيها طراز حكمه، وخبروا ميوله واتجاهاته عملياً.. وما دام الهلالى باشا راضياً عن مبادئ حزيه، وراضياً عن طريقة حكمه، فحري به أن يحاول أن يكسب رضا الناس.

ولكن.. يبدو أن هناك أسبابا لانعريفها تصرفه عن تأليف الحزب.. فهل نراه عاد يعتزل السياسة مثلا، لمجرد أنه اعتزل الحكم؟

أم أن الأخيار، قد انفصوا من حوله حين ذهب السلطان، وليس هذا من شيم الأخيار؟

أم حديث دولته عن الحزب وهو جالس على مقعد الرئاسة الوثير.. كان كحديث الريفية بائعة اللبن.... إذ مضت وهي ذاهبة إلى السوق وائاء اللبن على رأسها، تحدث نفسها بأنها سوف تبيع اللبن وتشتري به دجاجا وحين يتكاثر الدجاج تبيعه وتشتري به عجولا.. وحين تكبر العجول تبيعه وتشتري بها عذبة واسعة.. فلما زلت قدمها، وانكسر إناؤها.. تنبهت من أحلام يقظتها على منظر اللبن السائل على الأرض!؟



وفي ١٤ يوليو ١٩٥٢ يكتب بهاء تحت عنوان «وزراء لا موظفون»، فيقول: «أريد أن ألفت الانظار إلى هذه الظاهرة الغريبة.. فقد أصبح معظم الذين يصلون إلى كرسى الوزارة في الشهور الأخيرة من كبار الموظفين، الذين شقوا طريق حياتهم في وظائف الحكومة، ولو أحصينا الوزراء في الوزارات الثلاث الأخيرة مثلا لوجدنا أن أكبر نسبة فيهم كانت لوكلاء الوزارات، أو المستشارين أو أعضاء هيئات التدريس في الجامعات وغير ذلك من طوائف كبار الموظفين».

وأنا أقول إن هذه الظاهرة غريبة... لأنك لن تجدها في أي بلد ديمقراطي، برلماني.. حيث منصب الوزير منصب سياسي قبل كل شيء، لا يصل إليه إلا من شق طريق حياته في حقل الكفاح السياسي الحر، عن طريق الأحزاب والهيئات، وفي معارك الانتخابات، ومقاعد البرلمان، وصفحات الجرائد، مرتبطاً خلال هذا الكفاح كله ببرنامج معين: واتجاه سياسي واضح، تعرفه به الجماهير، ويحاسبه الرأي العام على تنفيذه حين يصبح وزيرا.

ولكن هذا الوضع يخفى عندنا أحيانا أو يشحب.. وقد ارتفعت نسبة كبار الموظفين في مقاعد الوزراء حتى كاد منصب الوزير أن يصبح درجة في

مكتبة

www.KitaboSunnat.com

بيت الكتب

كادر الموظفين يرقى إليها وكيل الوزارة أو المستشار أو غيرهما.. بل لقد قطع هذا الاتجاه في المدة الأخيرة خطوة خطيرة. إذ اشترط بعض الوزراء الاحتفاظ لهم بوظائفهم ليعودوا إليها، ولتبقى مصلحة ضخمة بدون مدير حتى يعود إليها مديرها الذي أصبح وزيراً.. وليبقى كرسي الأستاذية في الجامعة شاغراً حتى يعود إليه الأستاذ!

والحجة التي تساق دفاعاً عن هذا الوضع عادة، هي كفاءة هؤلاء الموظفين الكبار وخبرتهم الفنية الواسعة في شئون وزاراتهم، ولذا على هذه ردان:

الأول: أن هؤلاء الخبراء لا يوضعون دائماً في مواضع خبراتهم، فالقاضي قد يصبح وزيراً للتجارة، وكيل العدل وزيراً للمعارف، فضلاً عن أن كفايات هؤلاء الرجال - وهي كفايات معترف بامتيازها سبب آخر للتمسك بهم في وظائفهم لأن منصب الوزارة دوار: ومن يتترك وظيفته يفقدها - أو تفقده - عادة إلى الأبد..

والرد الثاني - وهو الأهم - أن منصب الوزير في نظام ديمقراطي لم يخلق أبداً للخبراء الفنيين، فالوزير شخص سياسي بحث، بنفذ سياسة ارتبط بها أمام الأصوات التي حملته إلى كرسي الوزارة.. أما الخبير فيجب أن يبقى خبيراً، يكرس خبرته «التنفيذية» لتنفيذ السياسة التي يرسمها الوزير..

والملاحظة الأخيرة في الموضوع.. أن الوزراء غير السياسيين يغلب طابعهم على الوزارات غير الحزبية، فهو وضع مؤقت فحسب: وسيزول حتماً، يوم يعود لمصر من الدستور روحه ومعناه....



وصباح ٢١ يوليو ١٩٥٢ تصدر «روز اليوسف» - أي قبل ٤٨ ساعة من قيام الثورة - كتب «احسان عبدالقدوس» واحداً من أخطر وأجراً مقالاته السياسية بعنوان «الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الزعماء» جاء فيه ما يلي:

مكتبي

www.egyptianpress.com

«لم تجد مصر رجلاً له من الجرأة: والقوة ما يؤهله لأن يصارحها بأنها ستحكم حكماً فردياً ديكتاتورياً فترة ما ليصلح من شأنها ويقوم ما أفسده منها المفسدون.. ولم تجد رجلاً يقول لها: إنه سيؤجل حل القضية المصرية إلى أن ينظم البيت ويجمع الصفوف ويرمم الجدران المنهارة.. ولم تجد رجلاً يصارحها بأنه في حاجة إلى الأحكام العرفية، وأنه سيحفظ بها إلى أن يقضى الله فيه أمراً كان مفعولاً.

كلهم ضعاف مخادعون، لا يؤمنون بالديمقراطية ولكنهم يدعونها! ولا يؤمنون بالشعب ولكنهم يتملقونه ويخدعون، يظهرون له غير ما يظنون ويلبسون وجوهاً غير وجوههم، وتنطق ألسنتهم بغير ما تؤمن به قلوبهم.

وعاشت مصر تحكم بلا مبادئ محددة صريحة... وتولى حكامها الحكم، لأن الفرصة قد ولتهم لا.. لأن لهم سياسة مرسومة أو مبدأ معيناً... وأخيراً يقول إحسان: ولن تحظر مصر إلى الأمام إلا إذا حكمتها المبادئ، مبادئ يراها الشعب ويلبسها ويفهمها.. مبادئ تختار على أساسها الحكام، ومبادئ تحكم بها على الرجال، ومبادئ ترشدنا إلى الخير والشر، ومبادئ تحميها من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الزعماء..

وفي نفس العدد كتب «بهاء» مقالاً جريئاً ومثيراً للدهشة أيضاً بعنوان «المصباح الأحمر» يقول المقال:

سوف تلغى الأحكام العرفية بمجرد زوال الأسباب الموجبة لبقائها!!.. سمعنا هذه الكلمة من كل حاكم عسكري تقلد سيف الأحكام العرفية.. ولكننا لم نسمع منهم سبباً واحداً من هذه الأسباب الموجبة لبقائها حتى نستطيع أن نناقشه.. وأنا لننظر إلى استتباب الأمن، وهدوء الحالة والركود الشامل... فلا نجد إلا أسباباً موجبة لزوالها.

وفي الأسبوع الماضي أدلى رفعة حسين سري باشا بحديث لمراسل اليونيتد برس أذيع في جميع أنحاء العالم؛ صرح فيه رفعتنه بأنه يستيقظ الأحكام

مكتسبات

العرفية لمنع كل احتكاك داخلي،.. وهو الحديث الذي نستأذن رفعة سري باشا
في التعليق عليه تعليقا هادئا..

فالظاهر أن الحكومة قد تأثرت بالتجربة الناجحة التي طبقها قلم المرور في شوارع القاهرة.. إذ رأى كثرة حوادث تصادم السيارات واحتكاكها وشكوى الناس من ابواق السيارات المزعجة؛ فالزم السيارات في بعض شوارع القاهرة بالسير في اتجاه واحد ومنعها من استعمال آلات التنبيه منعاً باتاً.. حتى لا تخرج احداً من راحته، أو توقظ نائماً من غفوته! وارايت الحكومة أن تستفيد من هذه التجربة في تنظيم الحياة السياسية في مصر.. فهي تستبقى الاحكام العرفية حتى لا ترتفع اصوات الصحف والاقلام كما ترتفع الات التنبيه وهي تمنع الاحتكاك بأن جعلت الناس يسيرون في اتجاه واحد.. وراء الحكومة طبعاً!!

ولكن الذين قرأوا الحديث في الخارج يجهلون هذه القصة.. وسوف يتساءلون حتما عن نوع الاحتكاك المراد منه.. فإذا كان يقصد به الى خلافات الاحزاب، وتعدد الآراء وحدة الجدل بين التأييد والمعارضة.. فإن الحياة الديمقراطية لا تستقيم بغير هذا الاحتكاك.. ولا يتصور أن يقوم نظام على تعدد الاحزاب واختلاف وجهات الرأي، ثم لا يسمح للاحزاب بأن تختلف وللآراء أن تحتك وتصطدم!

وقد قال رفعة سري باشا أيضاً : إن من أخص أهداف وزارته إعادة
الطمأنينة والهدوء إلى جميع المواطنين .. وهذا بغیر شك هدف ضروري
ومشكور ! ولكنني أؤكد لرفعته أن الطمأنينة قد عادت فعلاً إلى كل قلب ولو أنه
استفتى الناس لقالوا إنهم مطمئنون تماماً .. وإن لا شيء يخيفهم الآن .. إلا سلطة
الحاكم العسكري ! ..

فالأحكام العرفية التي تقاوم الخوف تنشر جوا من الخوف.. وقد أصبح وجودها يذكرنا بقصة الرجل الذي وضع في وسط الطريق كومة من الحجارة، غرس فوقها مصباحا احمر وسأله الناس: لماذا تضع هذا المصباح الأحمر؟

فقال: لكى انبه الناس الى كومة الحجارة.. فعادوا يسألونه: ولماذا وضعت كومة الحجارة؟.. فقال لكى أغرس فوقها المصباح الأحمر!

وفى نفس العدد كتب بهاء تحت عنوان: «الذين يؤخرون مصر، يقول:

قد لا تجد عظيما واحدا ترضى عنه تماما، ولكنك تستطيع أن تسمى فى أى وقت عشرات من الذين تسخط عليهم.. والواقع أنه إذا كان من السهل أن تعدد أسماء من تسخط عليهم إلا أنه من اصعب الصعب أن تتحدث عنهم دون أن تجرح، أو تسيل دما.

ولكل واحد من الناس عقيدة ما، ينظر من خلالها إلى الحوادث والأشخاص، وقد حاولت هنا أن أختار ستة من كبرائنا البارزين اعتقد - من وجهة نظرى الخاصة - أنهم يؤخرون مصر ويعرقلون تطورها. ولم اختر هؤلاء الستة بالذات لأنى أشد سخطا عليهم من سواهم. ولكننى اخترتهم لأنى وجدت فى كل واحد منهم «نموذجا» واضح الملامح قوى التعبير يمثل طرازا من الناس لا أوافق - بحكم ما اعتقد - على موقفهم - وإن كان فى الناس طبعاً من سيخالفوننى الرأى.

أحمد خشبة باشا

وأول من اخترته فى ميدان السياسة - سعادة أحمد خشبة باشا وخشبة باشا كما يعرفه الناس.. رجل شديد الهدوء طويل البال، بعيد الاناة وقد اخترته لأن له رأيا معلنا صريحا فى موقف مصر الدولى وقضيتها الوطنية. فهو يرى أن انضمامها إلى المعسكر الغربى مسألة مفروغ منها لا تستدعى المناقشة أو البحث أو حتى التفكير فى الثمن! وهو يعتقد أيضاً أن انجلترا ما تزال أقوى قوة فى الأرض، وأننا لا يمكن أن نأخذ منها شيئا إلا ما ترضاه لنا، بالمفاوضة والمساومة والرجاء والالحاف... لأن أى شعب صغير كمصر ليست لديه أى فرصة للتحرر الكامل؛ إنما عليه أن يختار من بين أنواع الاستعمار أهونها.. كالطفل الذى يجب أن يجد حجرا يجلس عليه أو ذبلا يتعلق به! وقد أدلى مرة بتصريح اثار عليه الناس قال فيه: إن الإنجليز خير الظالمين! وهو لا

يؤمن أبدأ بقيمة الحركات الشعبية أو الرأي العام.. فبالرغم أنه زعيم كبير في حزب رئيسي، ووزير خارجية سابق؛ نراه لم يتوجه مرة واحدة إلى الشعب ببيان أو يلقي فيه خطاباً، أو يدلي بحديث حماسي مهما كانت الظروف والأحوال.. فهو يدير ظهره تماماً للناس ولا يتحرك أبداً إلا إذا كان في الحكم.. فعندئذ يقاوض الإنجليز.

وليس خشية باشا وحيد هذه المدرسة. ولكننا اخترناه لأنه واضح؛ وكانت لديه دائماً الرجولة الكافية لكي يعترف بعقيدته هذه.. بعكس الكثيرين من أبناء مدرسته، الذين يظهرون غير ما يطمنون ويفاوضون وهم يلعنون المفاوضين. والقراء يشاطرونني ولا شك الرأي في أن مدرسة المفاوضات هذه تعرقل كل كفاح جدي للتحرر.. فما دامت هذه المدرسة مفتوحة أبوابها فستجد من يلتحق بها، وسيبقى الإنجليز في ظلها!

محمود محمد محمود

يقول عنه أصدقاؤه: إنه كفاية ممتازة وقلب نظيف، وقدرة واسعة على الانتاج ..

وقد كتبت : «يقول عنه أصدقاؤه، عامداً لأننا لا نعرف عنه شيئاً واضحاً مباشراً.. فهذه الصفات التي يقول بها أصدقاؤه ، ترقد في جسد رقيق، ووجه حالم، ولا تتعدى كيان صاحبها أبداً إلى ساحة العمل الإيجابي والانتاج النافع.

وهذه الكفاية - التي يتحدث بها أصدقاؤه - وأسرته الكبيرة، واسم أبيه .. كلها اتاحت له أن يقفز إلى السطح، وأن يرشح لكثير من المناصب الكبرى .. ولكنه كان كلما عرض عليه منصب اعتذر، وقال أصدقاؤه إنه زاهد في المناصب! وفي المرة الوحيدة التي قبل فيها، وتولى رئاسة ديوان المحاسبة لم يصمد أكثر من شهر، ثم رأى ما لم يعجبه فاستقال وانسحب! وتحدث كل الناس عن أسباب الاستقالة.. ما عدا صاحبها! فلا هو نفع الناس باستمراره في

مكتبة

WWW.ASTADPEDIA.COM

الميدان ولا أضواء لهم الموقف باستقالته! و ضرب بذلك مثلاً رائعاً للسلبية..
 وشحه لأن أتخذ منه في هذا المقال نموذجاً بديعاً للسليبيين في مصر.

والواقع اننى لا أفهم معنى الزهد فى المنصب، أوقى العمل السياسى فترك العمل بدعوى الزهد لا يصدر الا عن رجل يحسب العمل ربحاً ومنفعة فيقول إنه زاهد فى الربح والمنفعة... فالعمل السياسى بذل وتضحية... والزهد فيهما ليس قطعاً من خلال الحميدة!..

والرجل السلبى - من طراز محمود محمد محمود - يشترك فى تأخير مصر وعرقلة تطورها.. سواء كان ينظوى على كفاءة حقيقية.. أو على فراغ!

فإذا كان ينطوي على كفاءة فليس من حقه أن يسلب يده هذه الكفاءة التي
توفرت له بحكم التربية والثقافة التي اكتسبها على حساب هذا البلد فيجب أن
تكون لحسابه ..

أما إذا كان ينطوي على فراغ فإنه يؤخر مصر أيضا.. إذ يجعل الناس يتعلقون بأسطورة وهمية، ويضيعون وقتهم جريا وراء سراب يحسبونه ماء فإذا خبروه لم يجدوه شيئا!

البدراوى عاشور ياشا

وفي ميدان الحياة الاقتصادية اختار سعادة اليدراوى باشا، كنموذج للقوى التي تعطل تقدم مصر الاقتصادي.

وأنا لا أتعرض للبائسا هنا بسبب ما يذاع عن بخله أو صنفه بالتبرع فهذه أشياء متعلقة بشخصه ولا حسدا لغناه الواسع.. ولكننى أتعرض فقط لطريقته فى استثمار امواله.. بوصفها الطريقة الأكثر شيوعا فى مصر..

فالبدرأوى باشا مالك زراعى كبير. جدا.. وهو يكسب من الزراعة مئات الآلاف يتبقى لديه منها فى آخر كل سنة بعد كل المصروفات فائض كبير.

ففى أى شئ يستغل هذا الفائض ، . فى شراء أرض زراعية جديدة!



وهنا موضع الاعتراض . فهذا النوع من الاستثمار لا ينفع الاقتصاد القومي ابداً، بل إنه يضر به . فالإقتصاد القومي لا يستفيد شيئاً من انتقال ملكية الأرض من هذا المالك الى ذاك .

لان انتقالها لا يزيد الانتاج حبة قمح واحدة . ولكنه يضار من هذا الشراء المتصل للأرض .. لأن في البلد عشرات كالبدراوى، يتسابقون على شراء الأرض، نفس الأرض؛ فترتفع اسعارها ولا تزيد مساحتها، حتى انقلب الأمر الى مزايده متصلة على نفس الأرض؛ وزاد ثمن الفدان على ١٢٠٠ جنيه؛ وهو ثمن وهمى لا يمثل القيمة الانتاجية الحقيقية للفدان، إنما يمثل مدى تلهف الاغنياء على شراء الأرض .

ولو ان امثال البدراوى يكتفون من الضياع بما يملكون ويوجهون كل الفائض من أموالهم الى الاستثمار الصناعى ل زاد الانتاج القومى زيادة كبيرة ولاندفع التطور فى مصر عشرات السنين؛ بل لتغير الموقف تماماً !

ولكن الملاك الزراعيين من أشباه البدراوى يصممون على استثمار الذهب فى الطين، ويركنون الى الزراعة لا نها أكثر ضماناً وراحة وما تعرفه خير مما لا تعرفه ..

والدولة لا تتحرك ازاء استحكام الازمة لضعف الانتاج وسوء التوزيع . وهى الحالة التى تزعج كل عاقل .. وتعرقل كل تطور .. وقد لاحظها مستر جورج ماكجى وكيل الخارجية الامريكية السابق حين كان يزور مصر . إذ عاد يقول : « ان الثروة فى البلاد المتخلفة قد اصبحت تقليدية لا تزيد وأرباحها تنفق فى شراء الأرض وتكوين الاقطاعيات أو اقتناء الذهب والاحجار الكريمة . فالشراء هناك يكتسب بأخذه من الآخرين لا بالبحث عن انتاج جديد فى

ميادين جديدة » .

مكتبيتنا

www.maktabatunab.com

الشيخ حسنين مخلوف

وأنا أذكر فضيلته، كمثل للسلطة الدينية التي فهمت الدين - والدنيا - فهماً معيئاً، مستمداً من كتب الأولين، ثم هي لا تعترف بشئ جديد جاء بعد هؤلاء الأقدمين .. لأن كل جديد بدعه وكل بدعه ضلالة . وكل ضلالة في النار !

وأظنني لست في حاجة إلى بيان كثير، وأحاديث الشيخ وفتاويه الأخيرة مازالت تتحدث عن نفسها.

ورجال الدين كسائر البشر يجوز عليهم الخطأ، ويجوز عليهم الهوى، ولكنهم يحاولون دائما أن ينشروا اعتقادا عاما بأنهم هم الدين نفسه.. والمؤمنون بغير تفكير كثيرون؛ وهؤلاء هم الضحايا لكل أخطاء رجال الدين!

وأخطر من ذلك أن يخرج الدين - أو رجال الدين - عن حدودهم، ويجعلوا أنفسهم قضاة كل قضية، وقضاة لا يجوز عليهم الاستئناف أو النقض، فيحكمون بكفر وزير، وبحرمان المرأة حقوقها، وتحليل هذا وتحريم ذاك!

الأستاذ عباس محمود العقاد

وأخيراً في ميدان الأدب.. اختار الأستاذ عباس محمود العقاد.. والأستاذ العقاد كاتب كبير، له مؤلفات كثيرة واسعة لانتشار، وتأثيره لاشك عظيم على عدد كبير من القراء، ولكني أعتقد أن تأثير العقاد على قرائه تأثير ضار؛ لأن موقفه رجعي بصفة عامة.

ففى السياسة نراه يربط قلمه بحكومات وأحزاب بعينها. وليس هذا عيباً من حيث المبدأ، ولكن العيب الذى يؤخذ على الكاتب، أن يذهب فى تأييد أصحابه إلى غير حد، وفى كل قضية. فليست أنسى مثلاً أنه كتب يوماً يتهم الكتاب الذين يشنون حملة للإفراج عن المعتقلين السياسيين فى بعض العهود كتب يتهمهم بالشيوعية.. مرة واحدة، وتوجيه هذه التهمة بالذات إلى بعض الكتاب الأحرار فيه معنى استعداد السلطات عليهم.. وهذا أبشع ما يمكن أن يتورط فيه صاحب قلم..

وفي المسائل الاجتماعية.. نراه يسبح في آرائه ضد تيارات التقدم جميعا.. فهو ينتقد نشر التعليم على نطاق واسع، ويحذر من كثرة عدد المتعلمين وقد شبه التعليم مرة بأنه كماء النهر إذا زاد أصبح فيضانا خطيرا يفرق البلاد!!

وهذا رأى يقول به «كاتب»، عمله أن «يقراء» له الناس.. المتعلمون طبعاً وهو أيضاً يعارض في مساواة المرأة بالرجل.. ومن آرائه العزيزة عليه؛ أن المرأة مخلوق متخلف عن الرجل في كل شيء.. لا في الحياة العامة والوظائف فحسب، بل حتى في المهن التي تخصصت بها المرأة كالطهي مثلاً.. بدليل أن الطهارة من الرجال أمهر من الطاهيات وهو يرى هذا النقص شيء طبيعي فيهن لا مجرد نتيجة لظروف تاريخية يمكن أن تتغير!

ونتيجة هذا الرأى طبعاً.. أن تبقى المرأة تابعة.. وأن يكون في المجتمع نصف ممتاز - هو الرجل - ونصف وضعيع هو المرأة.. والأستاذ العقاد مغرم دائماً بتقسيم الناس إلى ممتازين وحقراء بالطبع!

من أجل ذلك كله أرى أن الأستاذ العقاد يساهم في تأخير مصر.. لأنه ينشئ في مجتمعنا المصري آفا من الناس يخافون الإفراج عن المعتقلين؛

ويحتقرون المرأة ويفرقون من نشر التعليم!!

السيدة فاطمة نعمت راشد

وإذا كان لابد من اختيار شخصية نسائية؛ فإننى اختار السيدة فاطمة هانم نعمت راشداً

والسيدة فاطمة هانم هي التي انشأت أول حزب نسائى فى مصر، يطالب للمرأة بحقوقها السياسية ومنح المرأة حقوقها السياسية - فى رأى - خطوة الى الإمام كان المفروض ان اصنع السيدة فاطمة هانم بين الذين يدفعون مصر إلى الأمام ولا يؤخرونها الى الخلف.

لولا أن الطريقة التي قادت بها الهانم الحركة حولت مطالبة المرأة بحقوقها من قضية جدية خطيرة الى عنصر من عناصر التسلية والترفيه وأصبحت

مكتبة

011437126000333

اجتماعات المرأة وبياناتها ومقالاتها لا تحمل على التفكير بل على الابتسام
فنحن لا نرى حول الزعيمة فاطمة هاتم سيدة واحدة مثقفة أو خطيبة أو كاتبة
أو امرأة لها ماضٍ في النشاط الاجتماعي أو السياسي لأنها لم تستطع أن تتفق
إلا مع بعض السيدات والأنسات من اللواتي يطلق عليهن اسم زهرات
المجتمع في صفحات الطبقة الراقية واللواتي يلهثن خلف حب الظهور ونشر
صورهن والحديث عن أزيائهن على صفحات الجرائد ولو سألت واحدة منهن
في السياسة أو عن مغزى مساواة المرأة والرجل، لما سمعت منهن كلاماً أرفع
من كلام بطلات السينما في الأفلام المصرية!

ولست اتسى اننى تلقيت يوما دعوة كريمة من الحزب النسائى الى مؤتمر يعقبه او يسبقه تناول الشاي، وذهبت الى مقر الحزب لأول مرة فى شقته الانيقة ورأيت المدعوين القليلين محاصرين بجيش معطر رشيق من النساء .. ووقفت الزعيمة تلقى علينا باللغة الفرنسية قرار الحزب الخطير الا وهو المطالبة بحق المرأة فى دخول الكلية الحربية لتصبح ضابطة كالرجل سواء بسواء !!

وكنتم الحاضرون ابتهاماتهم، وبدأوا يسألون هل قصد الزعيمة تجنيد المرأة كالرجل سواء بسواء؟ فأجابت باللغة العربية هذه المرة! أن لا. وقالت إنها كما تطالب بالحقوق السياسية للمرأة المثقفة فقط فهي أيضاً تطالب حق التجنيد للمرأة المثقفة فقط.. أي أن المرأة تكون ضابطة فحسب...

وسألها آخر: وهل تقود الضابطة جنودا من الرجال؟..

ولست أذكر بأي شيء أجابت الزعيمة فقد انقلبت المسرحية الى كوميديا ..
ولكني تلفت حولى اتأمل السيدات والأنسات الرشيفات يلمعن اناقة وجمالا
ويعبقن المكان بعطرهن، وينحنين علينا بصوانى الجاتوه وتساءلت: هل جئن
حقا يطالبن بحمل السلاح أم يسلين أنفسهن بالظهور فى المجتمع وإقامة
الحفلات ..

لعل السيدة فاطمة هانم تسلى نفسها ولكننى أؤكد لها أنها تسلية تدفع ثمنها من تأخرتنا، وإن الزعيمة لا تقبل وقتها فحسب بل تقبل وقت مصر كلها الوقت

الذى يضيق والمرأة محرومة من حقها السياسى لأن حقوق المرأة السياسية أصبحت لهرا ولعبا!

وبعد...

قلعتى وفقت أن أكون موضوعيا وأنا اتحدث عن هذه النماذج الستة ولعل هذه النماذج لا تعدم ناسا يدافعون عنها فما رأى الناس؟..

انتهى ما كتبه أحمد بهاء الدين بكل ما تحمله سطور المقال الساخر من دلالات لا تخفى على ذكاء القارئ!

وبعد ٤٨ ساعة بالضبط قامت ثورة يوليو ١٩٥٢، وبعدها بثلاثة أيام غادر الملك فاروق مصر إلى الأبد!!

وتغيرت الدنيا، ولم تعد مصر هى نفس مصر أيام الملك فاروق.

وفى ٤ أغسطس ١٩٥٢ كتب أحمد بهاء الدين مقالا عنوانه «خارق القانون» قال فيه ما يلى:

كان غاندى يقود ثورة الهند.. وكان أحب الهتاف إلى قلبه ذلك الهتاف الذى اطلقته صديقتة الشاعرة «ساروجينى نايدو» وسرعان ما رده الهنود كلما رأوا زعيمهم صاحرا به : يا خارق القانون!

كلما تأملت تلك الأيام القليلة البيضاء التى قام فيها الجيش بخلع الملك السابق - عادت الذاكرة الى سنة مضت حين تقدم نفر من الشباب والكتاب المجاهدين تقدموا يخرقون القانون!

وكانت القوانين الكثيرة تحمى الملك وتمنع التعرض له او لحاشيته او حتى لطرف حذائه بأهون سوء.. كقوانين الجعيات والاجتماعات وانباء القصر وشتى قيود الرأى.. وكان الذين يقفون وراء هذه القوانين كثيرين؛ وأقوياء: الوزراء والبوليس والمحاكم والسجون!

ولكن الأحرار تقدموا بالرغم من ذلك متعرضين للنار؛ يحصبون بقذائفهم الجالس على العرش.. تظاهر الطلبة فى الشوارع هاتفين بسقوط الملك، وشن

مكتبي

www.maktaba.net

الكتاب الاحرار حملاتهم عليه وعلى حاشية السوء من حوله .. وهطلت عليهم الاتهامات كالمطر :فهذا شيوعى وذاك ارهابى وثالث مخرب ورابع خطر على الأمن .. الى آخر تلك الأوصاف التى تدرجهم تحت اسم المجرمين السياسيين، ولم يغن ذلك كله عن الملك السابق شيئا .. فقد تصدعت اركان النصوص ولم ينل السجن والتشهير والمصادرة والتعطيل من الأحرار الذين حققوا أول النصر. إذا نشرنا ذلك الاقتناع العام، العميق، بأن الملك السابق عقبة حقيقية فى طريق هذا البلد!

ولجأ الملك السابق الى حصنه الأخير ففرض الاحكام العرفية؛ وبسط جوا من الارهاب المسلح .. وبالسلاح دخل الجيش ساحة المعركة، وكسب الجولة الأخيرة - باسم الشعب - فى أربعة أيام، انتهت بمشهد الملك الذاهب والشمس الغاربة! ..

واتكشف الأمر للناس عن حقيقة كبيرة: ان هؤلاء الذين خرقوا القوانين وشردهم الاضطهاد ودمغهم الحكام بأنهم «مجرمون سياسيون»، انما كانوا يجاهدون من أجل قوانين اسمى وارفع. من العدل والحرية والمساواة وان السادة الكبار المحترمين، ذوى الاسماء الالامعة والمرتبئات الضخمة والمناصب المرموقة، الذين ادعوا محاربة الجريمة متحصنين فى نصوص عتيقة إنما كانوا يسترون العفونة الكبرى التى قاحت منها كل روائح الاجرام. من قتل وسرقة وهناك واغتصاب!

فماذا علينا أن نفعل بعد أن كسبنا المعركة؟

علينا أولا أن نذكر هؤلاء الأبطال الذين ذهبوا بغير سلاح يفتحون الشقة الحرام .. يفجرون الالغام باجسادهم ويقطعون الأسلاك الشائكة بأيديهم العارية حتى طهروا للجيش ارضا من التأييد الكامل يمر عليها! علينا أن نذكر فى ساعة النصر هؤلاء الفدائيين بأن نمسح جراحهم ونرفع عنهم كل آثار

مكتبينا

المعركة .. كالأحكام التي صدرت ضدهم، وصفة الإجرام التي الصقت بهم،
مهما اختلفت اتهاماتهم .. فقد كانوا جميعاً يزحفون إلى حصن الفساد ليدكوه
.. وإن سلك كل واحد منهم طريقاً.

وعلياً بعد ذلك واجب أهم .. أن نطهر الأرض من الشراك والاسلاك التي
اقتنصتهم من القوانين التي كان لهم شرف خرقها، لأنها تقيد حريات الرأي
جميعاً! .. فما زالت أمامنا معارك كثيرة مقبلة، وسوف نحتاج - لكي نكسبها
- إلى أرض نظيفة !

وفي نفس العدد كتب «أحمد بهاء الدين» أخطر مقال له وكان بعنوان
«الدستور بين العرش والشعب» وجاء في هذا المقال :

في سنة ١٩٢٤ ولما تمضى على مولد الدستور شهر؛ وقع أول خلاف على
تفسيره بين سعد زغلول والملك فؤاد.

واحتكم الاثنان إلى عالم بلجيكي - البارون فان بوش - الذي كتب فيما
بعد يصف اجتماعه بالخصمين المتنازعين:

«... دخلت إلى مكتب الملك في قصر عابدين .. وكان الملك يداعب
مسطرة صغيرة لقطع الورق ، وكل حركاته تدل على التأثر، أما زغلول باشا
فكان جالساً أمامه متمالكا أعصابه يتحدث في هدوء .. وأدركت في الحال
خطورة الموقف، فهذا ملك ربي حسب التقاليد الشرقية وما تمتاز به من صفات
الحكم المطلق، يحاول المحافظة على البقية الباقية من السلطة، وأمامه رئيس
وزراء يتمسك تمسكاً شديداً بالحقوق التي يخولها له الدستور .. وكلما اشتدت
المناقشة قال : إذا استشر الشعب ...! »

ذلك هو الموقف منذ ثمانية وعشرين سنة حين بدأ الدستور يطبق .. ودخل
على الملك في حجرة مكتبة رجل صلب العود، قادم من صميم الفلاحين
يقول له باسم الشعب : لا ! ..

مكتبتنا

www.maktabatna.com

ولم يكن الملك فؤاد حين وقع مرسوم إصدار الدستور يؤمن بكلمة واحدة مما جاء فيه .. أو على الأقل بمادته الثالثة والعشرين التي تقول في بساطة قاطعه : إن جميع السلطات مصدرها الأمة ! .. لم يكن فؤاد يتصور أبداً أنه بهذا الدستور يتخلى عن جميع السلطات لهذه الأمة .. أمة الفلاحين والعمال والأقندية ، وسائر الملايين المهلهلة التي تنتخب هؤلاء النواب الثرثارين ، الذين يصدعون رأسه بالكلام عن الحرية وحقوق الشعب وما إلى ذلك !

ولم يكن ذلك غريباً على ملك ورث عن آيائه سلطة استبدادية مطلقة ، واستقر في ذهنه أن الحكم يجب أن يدار لمصلحته ومصلحة أسرته .. وأن انتقال السلطة إلى الشعب معناه أن يدار الحكم لمصلحة الشعب .. ولو تم ذلك لأصبح - هو الملك سليل الملوك - عاطلاً من السلطة ؛ ومن الثروة ، ومن الرؤوس الذليلة التي تنحني له أينما اتجه ! .. وهكذا حل فؤاد أول برلمان بعد تسعة شهور .. وحل ثاني برلمان بعد مولده بتسع ساعات ! .. فقد افتتح البرلمان في عهد زيور سنة ١٩٢٥ - في الساعة الحادية عشرة صباحاً .. وأصدر مرسوماً بحله في الساعة الثامنة من مساء نفس اليوم ! .. وكان الذنب الذي ارتكبه النواب أنهم انتخبوا سعد زغلول رئيساً للمجلس ! ..

وحاول أن تقلب صفحات تاريخنا منذ عرفنا الدستور .. فستجد أن فؤاداً وفاروقاً لم يتركاً برلماناً واحداً يتم مدته الدستورية !!

ولم يكن حل البرلمان أسوأ ما لقيه الدستور على يد فؤاد وفاروق .. فقد كانا يعمدان أحياناً إلى إلغاء الدستور كله ، أو إيقافه .. وقد فعلاها - في خلال ٢٨ سنة - أربع مرات !

وكان كل واحد منهما يجد دائماً رؤساء الوزارات والوزراء الذين يضعون أنفسهم في خدمته ، ويعطلون له الدستور ، ضد مصلحة الشعب . جرياً وراء عرض حقير من المنافع الزائلة ..

ففي أول تجربة ، وجد فؤاد - زيور باشا ؛ الذي أخذ على عاتقه حل البرلمان بعد تسع ساعات من انعقاده ، ولم يقل إنه قرر تعطيل الدستور - الذي

لم يحف مداده بعد ١ - بل زعم أنه يعدل قانون الانتخاب ليتلافى العيوب التي ظهرت فيه ... وأنه سوف يجرى الانتخابات بمجرد فراغه من التعديل .

ولكن الشعب بزعامة سعد قاوم هذا العبث مقاومة باسلة ، حتى أضرب العمدة للمرة الوحيدة في تاريخ مصر ، وامتنعوا عن تنفيذ قانون الانتخاب ، وأصدر أمراء الأسرة المالكة أنفسهم بياناً يطالبون فيه بعودة الدستور .. حتى الأحرار الدستوريون ، والذين وصف كبيرهم عبدالعزيز فهمي الدستور بأنه ثوب فضفاض .. عادوا وانضموا إلى صفوف المعارضين الشعبية ؛ حين وجدوا كبيرهم هذا بعينه يطرده فؤاد من الوزارة شرطردة لأنه رفض أن يفصل الشيخ على عبدالرازق من القضاء الشرعي .. ووجد عبدالعزيز فهمي أن التمكين للمستبد لا يزيده إلا استبداداً ، فخرج صائحاً : إن البرلمان والوزارة البرلمانية هما الأداة الوحيدة للدفاع عن قضيتنا والوصول إلى استكمال حقنا ؛ ولما وجد الشعب اصرار الحكومة على تعطيل الدستور ، قرروا أن يجتمع البرلمان المنحل رغم أنف الحكومة .. وأسرع زيور يحيط البرلمان بالبوليس المسلح والمدافع الرشاشة ، فاجتمع النواب في فندق الكونتنتال .. ووقف سعد يخطب في النواب المحتشدين من جميع الأحزاب ويقول : يجب أن نقسم جميعاً أن لا تترك الدستور لعبة في يد المستبدين ، وأن يضحي كل واحد منا بحياته في هذا السبيل .. ويقف النواب جميعاً ، ويرددون في صوت واحد : كالصلاة ، أقسم بالله العظيم .. أن أضحي بحياتي ومالي في هذا السبيل .

ورأى الملك أن المعارضة تشتد وتنذر بالخطر .. وإن الكراهية له تزداد ، والاقتراحات العنيفة تتطاير كالشرر .. فأذعن وأعاد الدستور ! ...

وفي سنة ١٩٢٨ ، كان تعطيل الدستور بناء على رغبة الانجليز .. فقد أراد الانجليز إيجاد حكومة متساهلة تقبل شروطهم في عقد معاهدة .. ولم يكن ممكناً أن تأتي هذه الحكومة المتساهلة ، عن طريق الشعب ؛ فأشاروا إلى الملك ، الذي أسرع يقبل وزارة النحاس سنة ١٩٢٨ ، ويحل البرلمان ، ويكلف محمد

محمود بتأليف وزارة جديدة، وأعلن محمد محمود تعطيل الدستور لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد!.. ثم ذهب إلى لندن يفاوض الانجليز..

واندلعت الثورة فى شوارع القاهرة، واحتشدت الميادين بالأيدى التى تلوح؛ والحناجر التى تهتف.. واجتمع البرلمان المنحل رغم أنف الحكومة فى أماكن متفرقة، وكانت قرارات البرلمان الشرعى توزع فى منشورات سرية.. وأخذ النواب والشيخ يذهبون إلى ساحة عابدين على رأس وفود من أقاليمهم رافعين الصوت. طالبين إعادة الدستور.. وقابلت الحكومة هذه الحركة بأعنف العنف.. فكان الضابط «محمد حيدر» يصول على جواده فى عابدين، وينقض بجنوده على النواب والشيخ والأعيان والشعب كله بالضرب المبرح؛ قبل أن يبلغوا أسوار القصر.. الذى تدبر فيه الجريمة. وكانت الصحف تعطل بالعشرات.. وقد كان من نصيب «روز اليوسف» أن عطلت أربعة شهور.. وطار ويصا واصف ومكرم عبيد وصبرى أبو علم إلى أوروبا، يستصعدرون من المؤتمر البرلماني الدولي قرارا بعدم شرعية الحكم الاستبدادي فى مصر..

وعاد محمد محمود بمشروع معاهدة... وأعلن الشعب إنه لن ينظرها إلا تحت قبة برلمان حر.. وتحرك الانجليز ثانية يأمرؤن الملك فؤاد باعادة الحياة الدستورية.. وتحرك الملك فؤاد لتنفيذ الأوامر.. بسرعة!

ولكن البرلمان الجديد لم يدم أكثر من شهور.. فقد رفض الشعب مشروع المعاهدة.. ورفض الاقرار بشرعية الاحتلال الانجليزى فى مصر... ومرة ثانية اتحدت مصلحة الانجليز والملك وبعض الأذئاب فى القضاء على الحياة الدستورية.. فكلف فؤاد صدقى باشا بتشكيل الوزارة فى يونيو ١٩٣٠.. ليبدأ تجربة ثالثة..

وكانت محاولة صدقى أشد قسوة وفجورا من سابقتها، إذ طلب منه إلغاء الدستور كله، لا إيقافه ولا تعطيله، وكانت مقاومة الشعب للمحاولة الاجرامية أيضا أكثر بسالة وقوة.

فهذه المنصورة يسقط فيها سبعة من القتلى، و ١٤٥ من الجرحى، وطنطا يسقط فيها ٧٤، والاسكندرية يزيد قتلها على العشرين وجرحاها على خمسمائة.. والاسماعيلية والسويس وبور سعيد وبني سويف وسائر بلاد القطر يخصب شوارعها الدم..

والعمد والمشايخ يستقيلون فتتفكك أداة الحكم، وعمال العنابر فى بولاق يقتلون ويدفنون فى عنابرهم، بين زملائهم، والمحاولات لاغتيال صدقى وأعوانه تنوالى، والارهاب يمتد الى صميم الريف.. حيث ينكل البوليس وجنود الهجانة بزعماء المقاومة فيقتل ماشيتهم ويجاد فلاحيتهم ويحبس الماء عن زرعهم ويشعل النار فى أجرانهم.. كان هذا الخراب يحل بكل من يرفض اعلان الولاء لحزب الشعب.. أو بالآخرى لحزب القصر! وقد بلغ عدد القتلى فى شهر يونيو ١٩٣١ فقط اكثر من مائة قتيل والجرحى ١٧٥.. وفقا لاحصاء الحكومة! وحكمت محكمة النقض برئاسة عبد العزيز باشا فهمى بأن تصرفات الحكومة كانت اجراما فى اجرام، وأن رجالها لجأوا فى قمع المقاومة الى هتاك الاعراض وغيره من أشد المخازى اثاره للنفوس!..

وحين اضطر صدقى الى الاستقالة، تحت ضغط هذه الدماء الجارية، لم ينس الملك فؤاد أن يعبر عن تقديره لرجله الذى أذل له الشعب، فكتب يقول له فى كتاب قبول الاستقالة «وانا لشاكرين لدولتكم، ولحضرات زملائكم الوزراء ما قدمتم للبلاد من اعمال مجيدة وخدمات جليلة!!»

.. وعاد الدستور.. الى أن عطل أخيرا للمرة الرابعة.

وكان فاروق قد أنفق سنوات حكمه قبل ذلك يعتدى على الدستور، ويتلاعب به، وينتهك حدوده دون أن يضطر الى ايقافه صراحة، حتى اخففت مسئولية الوزارات تقريبا وأصبح الملك يملك ويحكم فى كل كبيرة وصغيرة..

واستطاع بذلك أن يحقق كل أغراضه من الاستبداد بالناس، وانتهاك الثروات، وحماية المجرمين من خصاصه.. وكان السخط الشعبى على هذه التصرفات يتزايد مع ارتفاع موجة الشعور الوطنى.. وألغيت معاهدة ١٩٣٦،

وانطلقت الصحافة التي حصلت على حريتها تحارب الانجليز والقصر معا.. وانطلق الفدائيون يزلزلون قواعد الانجليز في القنال.. وكان لا بد للانجليز والقصر من ضربة حاسمة يردون بها هذه الوجة.. وقد أيقن الإنجليز أن فاروقا هو عميلهم الأول في مصر، وأيقن فاروق أن الانجليز هم حرسه الحقيقي.. فكان أن عين حافظ عفيفي رئيسا للديوان، والياس اندراوس مستشارا اقتصاديا وعبد الفتاح عمرر مستشارا للشئون الخارجية، واعلنت الاحكام العرفية وانفتحت ابواب المعتقلات للكتاب والاحرار والفدائيين..

ولكن على ماهر الذي جاء رئيسا للوزارة رفض أن يحل البرلمان ويعطل الدستور فأخرج بمؤامرة من الحكم..

وكان التناقض بين مصلحة الشعب ومصلحة الملك هذه المرة عنيفا حاسما.. وأصبح الاحساس عميقا بأنه من المستحيل أن يعيش الاثنان بعد اليوم جنباً الى جنب.. فاما أن يذهب الدستور، واما أن يذهب الملك..

وذهب الملك!

باختصار شديد أصبح مايكتبه الشاب اللامع المقتدر، أحمد بهاء الدين، على صفحات «روز اليوسف» محل تقدير وحفاوة القارئ والمثقف سواء في مصر أو العالم العربي.

ولم يكن هناك أحد يتصور أن كاتب هذه المقالات الشديدة التعقل والبالغة الرصانة مجرد شاب كان عمره وقتها حوالي خمسة وعشرين عاماً!!

ثم جاءت المحطة المهمة الثانية لأحمد بهاء الدين مع الكتب، عندما طلب منه الكاتب الكبير، احسان عبدالقدوس، رئيس تحرير روز اليوسف أن يكتب كتابا عن سقوط الملكية، وعن هذه التجربة قال «بهاء» فيما بعد:

امتلأت السوق بكتب عن العهد الملكي، إنما كلها عن الفضائح والخمر والقهر وكذا وكذا... وأنا أيضا كنت مستغزاً جداً أن تكون دي هي القضية.. طبعاً هذه الاشياء مرفوضة لكن تحويل القضية السياسية الأساسية إلى مادة وكأنها

فضيحة في هوليود أو أشياء من هذا القبيل اعتبرت أن ده نوع من التضييل،
تضييل المواطن. لأن مش دى القضية!! فإحسان قال لى اكتب عن «فاروق»
(الملك) بشرط أن يتم فى شهر قلت له: بس أنا هكتب كتاب سياسى، وفى أربع
أسابيع سلمت له كتاب «فاروق ملكا، وأظن وقتها عمل أرقام توزيع بمقاييس
هذا الوقت تعتبر هائلة. وكتب إحسان مقدمة لهذا الكتاب!

وفي ٢٥ أغسطس ١٩٥٢ ظهر إعلان شغل مساحة نصف صفحة بالطول في روز اليوسف، يقول:

الكتاب الذي تنظره مصر

احسان عبد القدوس يقدم

فاروق ملكا ۱۹۳۶ - ۱۹۵۲

أَعْلَى الدِّينِ

يَصْدُرُ عَنْ دَارِ رِوَايَةِ الْيُوسُفِ.

ونفذ الكتاب تماماً ، وأصبح مرجعاً مهماً وأساسياً في مئات الكتب التاريخية والسياسية التي صدرت بعد ذلك، كما اعتبره اساتذة التاريخ أحد الوثائق المهمة التي لا غنى عنها للباحث التاريخي:

ونقد الكتاب تماما من الاسواق.

وبعد ٤٧ عاماً على صدوره، يتحمس د. سمير سرحان، لإصدار طبعة جديدة منه، باقتراح أن يصاحب الكتاب الأصلي مقدمة تكون بمثابة إضاءة لعالم أحمد بهاء الدين الصحفي قبل أن يصبح ذلك الكاتب الكبير والمفكر النابه.

فكانت هذه المقدمة - التي طالت قليلا - والآن اتركك مع تحفة أحمد بهاء الدين الرائعة .

رشاد کامل

الزعم الاول

في الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٤ يوليو ، دق جرس التليفون في منزلي ،
وسمعت احد اصدقائي الضباط ، يقول في لهجة حاسمة :
- لقد احتلنا القاهرة ..

وابتسمت وانا في طريقى الى مركز القيادة ..
ابتسمت لاني تذكرت ، انه منذ يومين فقط ، اى في يوم الاحد ٢١ يوليو
كنت في الاسكندرية ، وكانت وزارة حسين سرى تعاني النزاع الاخير بسبب
الازمة التي كان يشيرها الجيش في ذلك الوقت .. واتصلت يومها ببعض رجال
حاشية فاروق ، وحاولت ان اقنعهم بان الازمة يجب ان تحل بما يحقق مطالب
محمد نجيب ، الذي كان معروفا انه على رأس الضباط الثائرين .. وكنت
احاول ان اقنعهم ، واحاول ان احذرهم .. ولكنهم لم يقتنعوا ، ولم يخافوا
التحذير .. واتهموني بالمبالغة .. وقال قائلهم : اتظن ان ستة ضباط يطبعون
المنشورات ، ويسمون انفسهم بالضباط الاحرار .. يستطيعون ان يفعلوا
شيئا .. دول عايزين واحد شديد يليهم طرح !!

ثم بدأوا يحاولون - كما حاولوا كثيرا - ان « يصلحوني مع السراى » ..
على حد تعبيرهم :

واجبت بما اعتدت ان اجيبهم به ، بانى لست مختلفا مع السراى خلافا
شخصيا ، ولكنى صاحب رأى سياسى ، يتناقض مع رأى السراى .. ولن
نصطليح سويا ، الا اذا تنازل احدهنا عن رايه .. وانا لست مستعدا للتنازل عن
رايى ، كما انى اعتقد ان السراى ليست مستعدة للتنازل عن رايها ، لان معنى
ذلك انها تتنازل عن نفوذها ، وعن سطوتها ، وعن رجالها ، وعن مصالحها
الشخصية التي اصبحت مدار تصرفاتها !

وتركتهم .. وانا اقرا في عيونهم ، رايهم فى ، وهو راي ينحصر فى انى شاب
مغفل .. وانى سأغير عندما تتقدم بى السن واجد اننى لم اصل الى شىء ،
ولم اجن شيئا من « تفغلى » فالجا الى حظيرتهم التمس النفع .. او على الاقل
التمس الرضاء السامى !

وكانت ثقتهم بانى مغفل ، وانى لا اسمى لنفع شخصى ، وانى لا اخدم بمواقفى
جهة معينة ، وانى لن اتحمل الفقر والضنك طويلا .. كان كل ذلك هو عذرى
لديهم .. عذر جعلهم يغفلون عنى كثيرا .. ويعفوننى من مضاعفة الاضطهاد
والظلم ، الذى كانوا يوقعونه بى !!

تركتهم .. وعدت الى القاهرة !

وكنت اعلم ان شيئا سيحدث .. ولكنى لم اكن كبير الامل فى حدوثه ..

كانت الايام قد عودتني الا اتفاعل كثيرا . وكنت اكثر تشاؤما من ناحية الجيش .. فقد سبق أن أعدنا العدة لمثل هذه الحركة منذ سنوات ، عندما أثرت قضية الاسلحة الفاسدة ، وكان الراى العام كله وراء هذه القضية ، وكنت أعتقد أن أى تدخل فيها سيثير الضباط - وكنا نسميهم يومها الضباط الصغار - وكنت اجتمع ببعض منهم ونرتب ما يمكن حدوثه اذا ما غلبتنا قوى الشر ، وغلبت العدالة .

وقد حدث التدخل

وتعطلت قضية الاسلحة الفاسدة .

ولم يتحرك الضباط الصغار .

وضاعت جميع التهديدات القوية التى كنت اوجهها الى السراى على صفحات « روز اليوسف » . حتى كنت اتفادى مقابلة رجال الحاشية كى لا التقى بنظرات السماتة التى يوجهونها الى ..

ومنذ تخرجت فى كلية الحقوق عام ١٩٤٢ ، وأنا احاول ان اشغل فى مصر

نارا تطهرها من ادرانها واقذارها . وفى سبيل ذلك اشتركت فى جميع

الحركات الشعبية التى مرت بمصر من ذلك الحين . وعملت مع جميع

الهيئات ، بالقدر الذى استطعته .. ايدت الشيوعيين ولم اكن شيوعيا ،

وايدت الاخوان ولم اكن من الاخوان ، وايدت الوفديين ، ولم اكن وفديا ،

وايدت هيئات مستقلة كثيرة لم اكن اؤمن بمبادئها، ولكن كنت اؤمن بمساعيها

الى الثورة . حتى احتار الناس ، من اكون ، ولمن اعمل ؟! ولم اكن اعمل لاحد،

ولم اكن شيئا ، الا طالبا للثورة . فقد آمنت بان الثورة يجب ان تسبق كل

اصلاح ، واننا لن نستطيع ان نبني الجديد الا اذا هدمنا القديم .

- وقد خاب مسعاى خلال عشر سنوات

لم ينجح تدبير اشركت فيه ، ولم تنجح هيئة من الهيئات التى اعتمدت

عليها ..

ولذلك .. وحتى بعد ان رايت القاهرة وقد احتلها الجيش ، وبعد ان

اصبحت فى مركز قيادة الثورة .. لم اكن متفائلا !!

واختلبت بمحمد نجيب فى احدى حجرات القيادة، ومعنا بعض الضباط،

وسأله :

- ماذا تريد ؟

قال :

- الدستور .. والاصلاح !

قلت :

- هذا كلام عام .. انى اسالك ، ماذا تريد فى هذه اللحظة ليتحقق فى هذه

اللحظة !

قال :

— ماذا تعنى ؟

— قلت :

— ان لك مطالب .. من سيقوم على تنفيذ هذه المطالب .. هل ستتولى الحكم بنفسك ، ام ستعهد بمطالبك لوزارة الهلالى ، ام تريد وزارة جديدة !!
قال :

— انى لا اريد ان احكم .. الدستور لا يتيح لى ان احكم !
وكان يتكلم فى هدوء عجيب وهو يشد انفاسه من غليونه ، وكاد هدوءه ان يثيرنى .

كنت انصور قائد الثورة فى مثل هذا اليوم ، صاخبا عصبيا ، يلقي اوامره باستمرار ، وتلتف من حوله الجموع ليخطب فيها ويحركها
ولكن هذا الرجل كان هادئا ، وكأنه لم يفعل شيئا . وكان عنقه ليست فى حيل المشنقة

ثم بدات استريح الى هذا الهدوء .. وبدات اعصابى تسكن . واصبحت كانى فى جلسة عائلية تبحث مشكلة طارئة !

وعدت اسأل محمد نجيب :

— اذن من تريده ان يتولى الحكم !

قال :

— اظن من الاوفق ان ندعو البرلمان السابق ، باعتباره آخر حلقة من حلقات الدستور ..

قلت :

— ان البرلمان السابق يحتاج الى تطهير ، ثم ان الحركة يجب ألا تتهم بالحزبية والبرلمان السابق كان حزبيا !

قال فى هدوئه العجيب :

— هذا صحيح .. ولكن الهلالى ايضا يصطبغ بصبغة حزبية ..

قلت :

— بلانس الهلالى ..

قال :

— من ترشح ؟

ومرت بى ثلاث دقائق استعرضت فيها جميع الاسماء والوجوه .. اسماء ووجوه الشبان والشيوخ .. فلم اجد احدا يصلح - فى اعتقادى - للموقف .. بكل أسف !!

وعاد محمد نجيب يقول :

— ما رأيك فى بهى الدين بركات .. انه رجل محايد !

قلت بصراحة :
- انه أضعف من الموقف !

قال :

- على ماهر ؟!

وصرخت فرحا :

- انه رجل كل أزمة .. اعتقد انه يصلح

وقال محمد نجيب :

- والضباط يعتقدون ذلك ايضا !!

ونظرت الى محمد نجيب في عينيه الهادتين المتسمتين دائما ، وتساءلت

بينى وبين نفسى : هل كان يريد على ماهر من مبدأ الامر .. وكل ما هنالك

انه اراد ان يقف على رايي ، قبل ان يقول رايه !!

من يدرى !

وعاد محمد نجيب يقول :

- ولكن ، هل يقبل على ماهر ؟

قلت :

- نساله .. ولكن هل يقبل الملك ؟!

وانطلق صوت من جانبي يقول :

- الملك مالوش دعوة .. لماذا لانعزل الملك ؟

وصمت برهة .. وتساءلت : نعم .. لماذا لانعزل الملك ؟

وعرفت لأول مرة الهدف البعيد لحركة الجيش .. الهدف الذى فكرنا فيه

مرارا ، ولم نحاول تنفيذه ابدا ، الا في مرة واحدة ، اجتمع فيها فريق من

الضباط في منزلى ، وقرروا اغتيال الملك .. وعارضت الفكرة ، لان اغتيال

الملك في ذلك الوقت لم يكن يؤدى الى شيء .. ولان الانجليز كانوا يستطيعون

يومها ، ان يضعوا الامير محمد على في مكانه !!

وغير اللواء محمد نجيب ، مجرى الحديث بسرعة ، قائلا لى :

- تولى انت سؤال على ماهر .. هل يقبل تولى الوزارة ام لا ؟

قلت :

- سادعوه الى هنا لمقابلتك .

- يبقى عال .

وتركنى محمد نجيب ، وذهب الى حجرة اخرى ليجتمع بالاستاذ مصطفى

الصادق ، عم الملكة ناريمان ، الذى تطوع يومها ليكون رسول سلام بين الجيش

والملك .

وكان مصطفى الصادق يحمل الى محمد نجيب في كل عشر دقائق عرضا

جديد ..

عرض عليه ان يجيب الملك جميع مطالب الجيش ، بشرط ان يتوجه بها
محمد نجيب الى الملك ملتصقا - كتابته - ان يتعطف جلالة الملك ويوليها
اهتمامه ..

ورفض محمد نجيب ذكر اسم الملك في بيان الجيش ..
وعاد مصطفى الصادق يقول ان الملك قبل مطالب الجيش ، دون ذكر اسمه
في البيان ..
ورفض محمد نجيب ان يجيب الملك مطالب الجيش الا بعد ان تتغير
الوزارة ..
وجاء مصطفى الصادق يقول، ان الملك يرجو ان تمنحوه فرصة للتفاهم على
ما تريدون ..
واجاب محمد نجيب : انا عند موقفنا .. وستفاهم في حدود الاجراءات
العسكرية التي اتخذناها ..
... الخ !

ولكى تبدو الجراة العنيفة التي كان محمد نجيب يتولى بها ادارة الحركة ،
يكفى انؤكد ان فرق الجيش المرابطة في الاسكندرية لم يكن قد تحدد موقفها
بعد .. وانه كان من المحتمل جدا - في هذه الساعة المبكرة من الصباح - الا
تنضم للحركة ..

وتركت محمد نجيب ، وبدأت ابحث عن علي ماهر ..
واتصلت بخمسين نمر تليفونية خاصة بعلي ماهر ، فلم اعثر عليه ..
واتصلت برئيس حركة التليفونات ، وطلبت منه باسم القيادة العامة ، ان
يصلني بالقصر الأخضر .. فاوصلني به مباشرة ، ولم اجد فيه علي ماهر ..
واخيرا اتصلت بالاستاذ ابراهيم عبد الوهاب ، وابلغته في اختصار خطورة
الحالة ، وطلبت منه ان يسرع الى بيت علي ماهر ، ويطلبني من هناك في
تليفون القيادة العامة .

وذهب ابراهيم عبد الوهاب فعلا الى بيت علي ماهر ..
وثبتت مرت نصف ساعة ولم يتصل بي ..
واتصلت مرة ثانية بحرم الاستاذ ابراهيم عبد الوهاب ، واستطعت ان
احصل منها على رقم التليفون الذي استطيع ان احادث فيه علي ماهر ..
ورد علي ماهر اخيرا ..

ولم اقل له من انا ..
انما قلت : هنا القيادة العامة .. اللواء محمد نجيب يريد من رفعتك ان تأتي
الى القيادة لامر هام .. فاذا وافقت فسنرسل لك حراسة تصحبك الى هنا.
وسكت علي ماهر قليلا ، ثم قال :
- الباشا في الحمام .. استنى شويه لما يبلغه !!

وغاب رفعتة قليلا ، ثم عاد يقول ، وبنفس الصوت :
- انا على ماهر .. انى لا استطيع ان احضر الى القيادة قبل ان افهم
الموضوع .. ارسلا لى مندوبين عنكم لانقاذهم معهم ..
قلت :

- سيصلك المندوب بعد دقائق ..
وحيلة « الباشا فى الحمام » حيلة قديمة عرف بها على ماهر ، حتى اشتهرت
عنه ، واصبحنا - نحن الصحفيون - نتحملها صابرين .. وكأنا مغفلين !
واخذت معى اثنين من ضباط القيادة ، وركبنا سيارة احدهما ، وتبعتنا
سيارة جيب تحمل جنودا مسلحين بالتومى جن ، لحراستنا ..
وفى الطريق اتفقت مع صديقى ، على الا نتكلم مع على ماهر بشأن الملك ،
او مصره ، او ان الحركة موجهة ضده مباشرة ، انما نكتفى بالحديث عن الفساد
والتنظيف ، والاصلاح ..
كنت اخاف ان يعارض على ماهر فى عزل الملك ، او يتراجع عندما يقف على
الهدف البعيد للحركة ..

واستقبلنا على ماهر فى الدور العلوى من داره فى الجيزة ..
وبدا الكلام اخذ الضباط ..
وتحمس فى عرض اهداف حركة الجيش ، حتى بدأ يتحدث عن مصر
الملك ، فمددت قدمى وضغطت بها على حذاءه من تحت المائدة ، حتى يخفف
من حماسه ..

ثم رجوت على ماهر بان يسمح لى ان اشرح له الموضوع ، بوصفى رسولا
لواء محمد نجيب ..

ولم اقل له ان الجيش يريدك رئيسا للوزارة ..
ولكن قلت ان الجيش يريدك ان تكون مستشارا ..
ثم بدأت اعرض مطالب الجيش الخاصة بالتنظيف والدستور ، وفهم على
ماهر ان معنى استشارته هو ان يكون رئيسا للوزارة ..
وفى هذه الاثناء دخل الاستاذ حسن ماهر ، وقال ان الاستاذ اذجار جلال
موجود فى غرفة اخرى ويريد ان ينضم الى اجتماعنا ..

ونظر على ماهر الينا ..
فاجاب الضباط : لا .. لن نتكلم اذا جلس معنا اذجار جلال ..
وقال على ماهر ، ان اذجار جلال موجود معه من الصباح ، وانه يتولى
الاتصال بالسراى فى الاسكندرية ..

وعدنا الى حديثنا ..
وقال على ماهر انه يقبل ان يتقيد بالمبادئ الدستورية ، ومبادئ التنظيف
التي قررها الجيش ، ولكن لن يستطيع الان ان يتقيد بأية تفصيل !!

وابلغناه ان القيادة في انتظار حضور الاستاذ مرتضى المراغى مندوبا عن الوزارة . . .

فقال على ماهر انه يفضل ان ينتظر حتى تنتهى مقابلة مرتضى المراغى ، واللواء محمد نجيب ، ثم بعدها يحدد موقفه . .

ثم قال :

- اننى لن أستطيع ان اتخذ اى خطوة الا بعد ان يكلفنى الملك باتخاذها . .

واسمحوا لى ان اصرح لكم بانى سابلغ الحديث الذى دار بينى وبينكم للسراى فى الاسكندرية حالا ، وسيقوم جلاد (باشا) بتبليغه . .

قلت :

- ارجو ان تترك مهمة تبليغ هذا الحديث لنا . .

قال :

- لا . . ان واجب الامانة يدعونى ان ابلغه ، وان اصارحكم بانى سابلغه . .

وقمنا بالانصراف . .

وعند باب المصعد ، انتحى بى على ماهر ، وسألنى عن اسمى الضابطين اللذين كانا معنا . .

وقلت له الاسماء كاملة . .

وعدنا الى محمد نجيب ، وابلقته رآى على ماهر ، وقلت له انه قبل تشكيل الوزارة ، اذا عهد اليه الملك بتشكيلها . .

وقال محمد نجيب :

- عال . . ولقد ابلغت فريد زعلوك الذى كان يخاطبني من الاسكندرية الان بان الجيش يريد على ماهر . .

وقد ادلى محمد نجيب بعد ذلك بحديث لوكالات الانباء قال فيه ان الجيش يريد على ماهر رئيسا للوزارة .

واتصلت بعلى ماهر ، وابلقته هذه الانباء . .

وبقيت القيادة في انتظار وصول الاستاذ مرتضى المراغى . . ثم ابلغت بوصول الى المطار فأرسلت القيادة سيارات حربية لحراسته حتى مقر القيادة ، ولكن مرتضى لم يكن فى المطار ، وقيل انه فى وزارة الداخلية ، فأرسلت سيارات الحراسة الى هناك ، ولكن مرتضى لم يكن هناك أيضا . .

كان من المؤكد ان مرتضى وصل الى القاهرة . .

ولكن اين هو ؟ . .

لقد بقى ضباط الحراسة فى انتظاره بمكتب مدير الامن العام ما يقرب من ساعة ، ولكنه لم يظهر ، ولم يستطع مدير الامن العام ان يقول اين هو ، فغضب الضباط ، وعادوا الى مركز القيادة . .

وفي هذه الاثناء - واحب ان اتكلم بصراحة - بدأت اعصابى تخوننى ..
لقد توهمت ان شيئاً يدبر للحركة فى الخفاء ..
وتوقفت الاحداث ، توقفاً مريباً زاد من شكوكى .. فالاسكندرية لم تعد
تتصل بنا ، ومرتضى المراغى لم يظهر بعد ، والمندوبين بين الجيش والسراى
قد كفوا عن نشاطهم ..

لا بد انهم يتخللوا تدبيراً ما .. ولا بد انه تدبير خطير !
و كنت قد اتصلت بمكتب « روز اليوسف » فى الاسكندرية ، فأبلغونى ان
نجيب الهلالى قد صرح لوزرائه ، باننى مشترك فى حركة الجيش واننى ذهبت
الى على ماهر اطلب منه تشكيل الوزارة .. الى آخر القصة التى لم يكن قد
انقضى رعلى حدوثها ساعات .

واحيست بحيل المشنقة حول عنقى ..
و كنت التفت الى الطائرات التى تحلق فى السماء ، خشية ان تكون طائرات
انجليزية ارسلها الملك فاروق للسيطرة على القاهرة والقبض علينا .. رغم ان
الانجليز والامريكان اكدوا فى الصباح الباكر انهم لن يتدخلوا مادامت ارواح
الاجانب فى سلام ، ومادامت الحركة ليست موجهة الى القوات البريطانية فى
القنال ..

وكان كل من فى القيادة يحس بما احس به .. يحس بحبل المشنقة ..
ويحس ان حياته - وربما حياة عائلته - معلقة بنجاح الحركة ، ولكنى كنت
الوحيد فيهم الذى اتكلم عن شكوكى ومخاوفى .. اما هم فكانوا فى برودة الثلج
حتى ان محمد نجيب وجد فى اعصابه القدرة ليقابل على ايوب مدى ساعة
ونصف ليتذاكر معه ذكريات الصداقة ..
وقلت اعصابى منى فى اللحظات الاخيرة ..

وطلبت من احد الضباط ان يقطع حديث محمد نجيب وعلى ايوب، ويدعوه
لقى اليه بمخاوفى ..
وجاء محمد نجيب هادئاً ، ثابتاً ، ينفث دخان غليونه .. وكان الدنيا كلها
من حوله امان ..
قلت له :

- ان هذا الصمت الذى يحيط بنا لا يريحنى .. لا بد انهم يدبرون شيئاً !!
قال :

- وماذا تقترح ؟

قلت :

- اى شيء .. لتحرك الجيوش .. لنسبقهم الى عمل شيء .. اى شيء ..
انت ادرى .. انت القائد !

وقال صوت بجانب محمد نجيب :

— كل شيء أعدت له عدته .. اطمئن !
وتركنا محمد نجيب وعاد الى حديثه الممتع مع علي ايوب !
وفي الساعة الثالثة بعد الظهر ، ذق جرس التليفون في احدى حجرات القيادة ، وقال المتكلم :
— لقد استقالت وزارة الهلالى ، وعهد الملك الى علي ماهر بتشكيل الوزارة وعادت الحياة تنشط من جديد بين الحجرات ..
ولم اشترك في هذا النشاط ..
ركبت سيارتى ، وعدت الى بيتى ، لارى السيدة الكريمة التى اتخلع قلبها على ، خلال هذه الساعات الطوال ..
وارتميت على سريرى لانام ، ولا ادرى كم نمت ، فقد كنت كمن قضى عشر سنوات واقفا على اعصابه ، وآن له ان يستريح ..
وفي المساء عدت الى علي ماهر فى منزله ، وتناولت معه طعاما العشاء برفقة فريق من وزرائه ، ثم اختلفت به بعد العشاء ، لاروى له قصة الازمة كاملة ، ثم قلت :

— ان مطالب الجيش ابعد مما تصور !!
قال :

— ماذا يطلبون مثلا :

ولم اقل شيئا عن الملك ، بل قلت :

— انهم يطلبون الغاء البوليس السياسى مثلا ..
واجاب :

— خسارة .. دى اداة نافعة جدا ..
وقلت :

— ان طلباتهم من هذا النوع كثيرة .. وارجو ان تختار وزراءك من الشبان المعروفين بكفاءتهم ، وقوة وطنيتهم ، حتى يساعدوك على تلقى هذه المطالب واستدركت قائلا :

— انى كاتب عبرت دائما عن افكار ضباط هذه الحركة .. وسأظل دائما كاتباً ، ولا اريد الا ان اكون كاتباً .. ولذلك فانى استطيع ان ارى اكثر مما يراه غيرى .

وقلت هذا لانفى اشاعة ذاعت يومها ، عن انى مرشح للوزارة .. وخفت ان تكون هذه الاشاعة قد طرات على ذهن علي ماهر ، وانا انصح به بان يختار وزرائه من الشبان الوطنيين ..
وتركت علي ماهر ..

ولم يقتنع معاليه — يومها — بمبدأ الاستعانة بوزراء شبان وطنيين خرجت من عنده ، وكل ما فى رأسى ان الملك قد هزم فى الموقعة الاولى ..

وكانت الهزيمة الثانية للملك في اليوم التالي ، عندما قبل مطالب الجيش كاملة رغم تطرفها ..

وكانت هزيمته الأخيرة يوم وقع وثيقة التنازل في اليوم الثالث . .

ولكن لماذا تقرر التخلص من الملك ..

ولماذا هزم بهذه السهولة . .

هذا هو ما سجله هذا الكتاب . .

انه كتاب لم يسجل تصرفات الملك الشخصية الخليفة ، ولا نزوانه الشاذة

القاضية، ولكنه سجل ما هو أهم ..

سجل قضية مصر بهذا الملك ..

أحيان عبد القدوس

مقدمة

« ... وكان وراءهم ملك ، يأخذ
كل سفينة غصبا ! »
« قرآن كريم »

مكتبة

أيها القارئ !

ليس هذا الكتاب الذي تقدمه لك عن الملك السابق فاروق إلا بداية . فلا شك أن فاروقا سينال من المؤرخين في السنوات الآتية عناية كبيرة . ولا شك أن كتباً كثيرة سوف تصدر متناولة كل ناحية من مأساته ، ومأساة شعبه معه . بل أن كتباً كثيرة سوف توضع عن كل فرد من أفراد حاشيته التي صنعت مصر سيدها ، ودور كل واحد فيهم . . من أحمد حسنين إلى كريم ثابت والياس اندراوس وأنطون بوللي وناهد رشاد !
أما الضرورة التي دعت إلى الإسراع في إصدار هذا الكتاب ، ولما يمضي على خلع الملك السابق شهر ، فواضح . . ففي هذا الخضم الهائل من القصص والروايات ، والحقائق والكاذيب ، والكلام المغرض والكلام البريء . . شعر الناس ولا شك بالحاجة إلى كلمة حق واضحة ، كاملة ، لا تجهض في خبر أو مقال .

نعم . . . فإن الأكاذيب التي نشرت كثيرة وأكثر منها الحقائق التي رويت بطريقة معينة ، يراد بها الباطل !
وقد قرأنا الكتاب الكبار يتبارون في تفسير المأساة . . فيقول واحد أن فاروقا مجنون . ويقول آخر أنه كان يعاني من نقص جسدي أو عقدة نفسية . . ويقول ثالث أن ظروفه العائلية هي التي أدت به إلى هذه النهاية فاعلم أيها القارئ أن هذا الكلام - برغم ما فيه من جوانب الصحة - ليس إلا دفاعاً عن الملك السابق ! كما يدافع المحامي عن موكله القاتل بأنه مجنون ، لينقذ عنقه من حبل المشنقة . . .
فالذي أطاح بالملك السابق ليس مجرد جنونه وحماقته وعقده النفسية . إنما أطاح به أنه حاكم مستبد . ونحن اليوم في حاجة لا إلى أن نكره شخص فاروق فحسب ، بل وأن نكره أيضاً الأوضاع التي صنعت فاروقا ، واتاحت له أن يكون مستبداً . . . وهي أوضاع يمكن أن تصنع مستبدين آخرين غير فاروق ، وأسوأ من فاروق .
وانت - أيها القارئ - تفهم ما أريد . . .

فلو كان فاروق مجنوناً وطائشاً وزير نساء ، ولكنه كان ملتزماً بقواعد الدستور ، لما طار من على عرشه ، في هذا الوقت على الأقل . لأن جنونه وفساده كانا سيقيان في هذه الحالة وفقاً عليه في حياته الخاصة . . . ولن يضر الناس أن يحطم أثاث قصره ، ويقذف الأكواب في وجوه أصحابه وأهله . فهذا شيء يخصه ويخصهم . ولكن الذي أطاح به أنه كان يحطم الوزارات ، ويدوس القوانين ، ويقذف بالاقذار في وجه الشعب ، ويتدخل بحماقته وجنونه في شئون الحكم والجيش والقضاء .
والمجنون لا خطر منه على الإطلاق إذا قيد وربط ووضع في حجرة مغلقة

أو في مستشفى المجاذيب .. لكنه يصبح خطرا إذا أطلق على الناس واتيح له أن يصنع بهم ما يشاء
والدستور هو القيد الذي كان يجب أن يقيد به الملك السابق بالقصص الذي كان يجب أن يوضع فيه ... ولكننا أطلقناه من قيد الدستور ، وعلمناه أن كل شيء رهن اشارته ... فطفي وبغى ومسق وهتك ، وقال الناس أنه مجنون !

والقول بأنه مجنون فحسب ، أن كان يفسر ماساته هو فانه لا يفسر ماساتنا نحن ... وان لم يكن هذا دفاعا عنه ... فهو على الاقل دفاع عن الاستبداد ... ومحاولة لاقناع الناس بأن فاروقا كان مستبدا مجنونا ... لهيئة اذهانهم لقبول اسطورة المستبد العاقل .

والمستبد العاقل والمستبد المجنون .. كلاهما مستبد ! بل ان المستبد المجنون خطبه أهون وأيسر ، لان استبداده اقصر

وهل كان قياصرة الروس وملوك الفرنسيين كلهم مجانين . لان شعوبهم كرهتهم ولطخت تاريخهم ثم عزلتهم . كلا ، ولكنهم كانوا جميعا مستبدين . لا يعرفون الا حقوقهم وسيادتهم وان الناس كلهم خدام لهم

وما الذي يمنع الناس في المجتمع من أن يكونوا لصوصا وقتلة ومجرمين ؟ انها القوانين المرصوعة والقيود الاجتماعية التي تجعل السرقة والغصب والانهاك أشياء محرمة علينا .

والدستور هو القانون الذي يحدد مكان الملك ، وينظم قيوده . واسأل علماء التربية يقولون لك : أن الطفل الذي يعلمه أهله من صغره الاداب المرعية والقيود الاجتماعية ، ولقنونه مايجوز له وما لا يجوز ، ينشأ طفلا عاقلا مهذبنا ناجحا . . وان الطفل الذي بدله أهله تدليلا جاهلا ، فيتركونه يصنع ما يشاء ، ويحصل على كل شيء . . يصغع أباه فيضحك له ، ويبصق على الجيران فيشجع ، ويكرس الاثاث الثمين فيقال له فداك ! . هذا الطفل يصبح حين يكبر ولدا عاقا شرما عنيدا ، سرعانا ما تنمو في صدره الرذائل ، وتزداد في طبعه الشراسة كلما اصطدم بشيء لا يجوز له وهو الذي تعود أن كل شيء مباح . . حتى يصبح آخر الأمر مجرما عاتيا ، أو طريدا من طريدي المجتمع ! .

وهذا هو ما فعلوه بالملك السابق تماما . . اذحرروه من كل قيد أو دستور أو قانون . . واقنعوه أنه صاحب الارادة الاولى ، والكلمة العليا . . الذي لا يحطى . . فأصبح وحشا ضاريا . . ككل مستبد سبقه في التاريخ .

ألم يكن يقدف الماء في وجه كريم ثابت تعبيرا عن رضاه السامى ؟ .

ألم تكن يقتل ويحرض على القتل ؟

ألم يكن يغتصب الاموال والاعراض ؟

ألم يكن ينهر رؤساء الوزارات الكبار ؟
لماذا ؟...

لأنه كان يعرف أن رئيس الوزارة لو غضب لكرامته ومضى فسوف يجد
بدلاً منه عشرة رؤساء وزارات ولأنه كان يعرف أنه سيجد الفقهاء والاساندة
الذين يثبتون للناس أن تصرفاته دستورية وأعماله سليمة ...
فالبداية الحقيقية في مأساة فاروق : أنه لم يلتزم الدستور !. أما جنونه
وطيشه وفسقه فكلها نتائج لهذا التحلل من كل قيد .

وعلى ضوء هذه البداية نستطيع أن نحدد المسئولين ... انهم كل من
قرطوا في الدستور ، وزينوا له أن يخرقه ، وافتوا له بأن سلوكه صواب ،
وزعموا للناس بأن جنونه في مصلحة الوطن ... وكل من أحاط به صديقا
أو ناصحا أو أمينا ...

أما ما تقراه - أيها القارئ - الآن من أن ناهد رشاد كانت تريد ترك
الحاشية ، وأن حسن يوسف كان يعارض تصرفات الملك ، وأن حافظ عفيفي
كان لا يؤخذ برأيه ، وأن اندراوس طالما نصحه فلم ينتصح ... فلا تصدقه ..
لأنه كذب صريح

فما الذي منع كل واحد من هؤلاء السادة أن يقول : لا .. ويمضي !.
انهم إما كانوا يوافقون على تصرفاته عن اقتناع ، وإما كانوا يسايرونها
لمنفعة ... وكلا الموقفين جريمة !

وكل ما تنشره الصحف دفاعا عنهم إنما يراد به هؤلاء الناس فرصة
أخرى لارتكاب جرائم جديدة !.
وبعد ...

فهذه هي الحقائق الكبيرة التي يريد هذا الكتاب السريع أن يثبتها ...
وأن يسجلها في ذاكرتك - أيها القارئ - بأحرف من نار ...
لكي لا تنسى !

فصل واحد .. سعيد !

ان الانسان لا يعرف اهو شقى
ام سعيد حتى ينزل الى القبر !
ارسطو

MIDO



٦ مايو ١٩٣٦

وعلى رصيف قصر رأس التين ، نزل الملك فاروق قادما من إنجلترا ليجلس على العرش . وراه الناس ياقعا في السادسة عشرة من عمره نحيفا ، طويلا ، يعلو وجهه الوديع مزيج من البشاشة والحزن . وعلى الرصيف وقف رجال القصر القدامى يستقبلون سيدهم الجديد . . وعلى رأسهم رجل قصير القامة ، قد استبد به التأثر . . ولكنه ظل كما عرفه الناس . . بالجراحة التي تلمع في عينيه ، والعزم المتجهد في ذقنه ، والمزاج العصبي المرتعش في أنفه الكبير . . ذلك كبير وزراء الملك الجديد ، والرجل الذي سيصبح رائده الأول في السياسة المصرية : على ماهر !

وخارج أسوار القصر كان الناس يهتفون بجنون . . ولم تنقطع التهافتات طيلة رحلة الملك الى القاهرة . . وقد وقف الملك الجديد في إحدى نوافذ القطار يحيى المواكب التي لا تنقطع ، وترقرق الدموع في عينيه وهو يرى رعاياه بشبابهم المهلهلة وأيديهم الخشنة . . يتعلقون بقطاره الأبيض ، متعرضين لخطر الموت ، من أجل نظرة يخطفونها الى طلعه . . وكبير وزرائه خلفه يحدق فيه ، يحدب الرجل على ابن صاحب له مات . . وتكرر المشهد في القاهرة ، حتى دخل الى هذه القاعة الكبيرة ، واستوى على العرش

وكانت كل الأسباب تدعو هذه الملايين الطيبة الى فرحتها الطاغية فبعد قليل عاد الى الناس دستورهم بعد معركة قاسية مع الملك فؤاد . . وقد أجريت الانتخابات حرة هادئة معبرة عن ارادة الشعب والمفاوضات مع إنجلترا تلوح عليها هذه المرة علامات التوفيق ، كما يؤكد لهم الزعماء . . والطيبة الساذجة في قلوب المصريين تعطفهم على هذا اليافع الذي فقد أباه في غربته ، وجاء من بلاد بعيدة ليجلس على عرش اجداده . . كحكايات الامهات الطيبات . . والقصص التي تنشرها الصحف عن الملك الجديد لا تدع في نفوس الناس مجالا للشك في أنهم مقبلون على عهد جديد

فهذا هو رائده أحمد حسين ، ينشر على مندوبي الصحف جمعية مليئة بالقصص عن ديمقراطية فاروق - قصص سنعلم نباها بعد حين - وهذا هو فاروق - بالاتفاق مع الملكة والدته - يظهر القصر من حاشية فؤاد : فالإبراشي ناظر الخاصة العتيد يستقبل . . والسيدة التي عرفت باسم « الخازندارة » والتي كانت صاحبة الكلمة النافذة في القصر والمكانة الأولى عند رب القصر . . والتي تعدى نفوذها حياة فؤاد الخاصة الى كتابة التقارير . هذه « الخازندارة » تطرد من القصر على أن لا تعود . . وتطرد معها الجارية الشهيرة « فردوس » وأربع جوار أخريات من قولة ، وبعض السفرجية ، ورئيس الخدم الذي كان يدعى « أحمد الكردي » . . وكلها أسماء كان الناس يلوكونها . . ساخطين ، خائفين !

واقبل المصريون الذين نشأوا على ناليه السادة يلتهمون ما تنشره الصحف عن ذكاء فاروق ، ورقة قلبه ، وسرعة خاطره ، وسعة اطلاعه ، وتخصيصه في الانار القديمة . ومدرسوه القدامى يؤكدون ذلك كله في احاديثهم . . حتى مرضعته ، تلك التركية العجوز « عائشة جلشان » لا تنساها الصحف ، فهي تدلى بحديث عن العبقرية التي لاحفلتها على الطفل الصغير ، وهو ما يزال على صدرها رضيعا . . .

ومرت الشهور الباقية على تولى الملك سلطته الدستورية بسرعة . . وكان على ماهر قد استقال وخلفه النحاس بوصفه زعيما للأغلبية . واستمرت المفاوضات مع انجلترا . . ونبتت محاولات كثيرة لرفع سن الرشد التي يتولى فيها الملك سلطته الدستورية . ورفض النحاس يؤيده الرأي العام . . فقد كان الناس يتلهفون على تولى الملك الجديد سلطته الدستورية ، ويتوهمون انه لن يصنع بحقوقهم ما صنعه فؤاد ، وانه سيكون خيرا من مجلس الوصاية المكون من الامير محمد على وشريف صبرى وعزيز عزت . . والناس يتناقلون قصة اعضاء مجلس الشيوخ حين ذهبوا لمقابلة مجلس الوصاية . . اذ استبدت الحماسة برئيسهم محمود بسيونى فألقي خطبة ختمها بالدعاء للامة ان تفوز بالحرية والاستقلال التام . . فقاطعه الامير محمد على ، قائلا : الاستقلال التام ؟ علشان تتجننوا زياده ؟

ورد محمود بسيونى ذاهلا : نتجنن ازاي يا افتدينا ؟ . . وكان شريف صبرى جالسا ، فأسرع ينقد الموقف ويحول مجرى الحديث وسافر فاروق في رحلة الى اوروبا مع أسرته ، وأعلنت خطوبته لفتاة لها ابتسامه عذبة ونظرات طيبة ، هي صافيناز ذو الفقار ، ومضى الناس يتحدثون عن فرح الملك المرتقب ، وجهاز العروس ، والام التي رأت ليلة القدر . . حتى جاء يوم ٢٩ يوليو ١٩٢٧ ، وسار الملك في موكب التنويع الى البرلمان ، تحلق فوقه حمامات بيض اطلقها الناس ، ووقف امام النواب الذين انتخبهم الشعب ، يؤدى اليمين الذى لم يحرض عليه قط . « احلف بالله العظيم . . انى احترم الدستور ، وقوانين الامة المصرية ، واحافظ على استقلال الوطن وسلامة ارضيه ! » . وعاد فاروق الى القصر ملكا متوجا

هل كان فاروق حقا على هذه الصورة التي رآها الناس ؟ وديعا رقيقا ، طاهر الذيل ، معترفا بحق الشعب ، عازما على احترام الدستور ؟ كلا على الاطلاق . . ولنرجع قليلا الى الوراء . كانت تربية فاروق الاولى تحت اشراف ابيه الملك فؤاد . ولم يكن الملك فؤاد من الديمقراطيه فى شيء ! فقد عرف عنه انه صارم مخيف فى حياته الخاصة ،

وأنه يعامل موظفيه معاملة ارهابية تجعلهم يرتعدون امامه .. حتى قال المرحوم محمود شوقي باشا سكرتيره الخاص مرة : كنا امام الناس باشاوات ، اما معه قلن تكن الا خدما !

وكان شديدا في رقابته على فاروق . فلم يسمح بان يكون له اصدقاء من اولاد الامراء مثلا او الباشوات . بل احاطه بطائفة من الخدم .. فشعب فاروق دون ان يعرف صداقات الند للند ومجالسة الذين يخدمون انفسهم .. بل اعتاد ان يجالس الخدم الذين يتسابقون الى ارضائه باى ثمن !!

وكان فؤاد يكره الدستور والكلام الذى جاء فيه عن حقوق الشعب . وانه مصدر السلطات وما الى ذلك ، حتى ان الدستور المهور بامضائه لم يطبق طيلة حكمه سنين تعد على اصابع اليد الواحدة . وكذلك كان يكره سعد زغلول ثم مصطفى النحاس .. وقد ذاعت عنه قصة شهيرة تصور عواطفه نحو سعد تلخص في انه لما سمع بان شخصا ، اطلق على سعد النار واصابه استدعى كبير الامناء وقال له : اذهب لزيارة سعد فاذا كانت اصابته قاتلة فلا تلقى التشريفات ، اما اذا كانت غير قاتلة فالفها !

اى اذا كان سعد سيموت فليذهب الى الشيطان . اما اذا كان سينجو ، فلا مفر من مجاملته ، واطهار الحزن بالفاء التشريفات !! ..

وحتى اذا لم تصح هذه القصة .. فلا شك ان الملك فؤادا لم يكن ينسى ان الانجليز ساوموا سعدا في سيشل على عرش مصر ، وان الخديو عباس عرض عليه مساعدة الوفد ماليا على ان يكون من مطالبه اعادته الى العرش .. والعروش عند الملوك اغلى من اى شئ في الوجود .. ولم يكن يرى بنفسه راضية هذا الفلاح يدخل مكتبه ويقول له : لا .. ويقول له : باسم الشعب .. فلا يملك الا ان يكرهه كراهية حقيقية ، اذ يراه خطرا عليه .

وكان فؤاد الى ذلك شحيحا ، وراة سنوات من الفقر الشديد قبل ان يصعد الى العرش .. وامامه سعى دائم لتكوين ثروة طائلة .. حتى مات عن تركة تبلغ ٤٩٣٠٠ فدان ، وام يكن ساعة تولى العرش يملك شيئا .

ونيس معقولا بعد ذلك ان تنصور ان الملك فؤادا كان يربى ابنه تربية ديمقراطية ، وانه نشأه على احترام ارادة الناس ، والتزام حدود الدستور ، والاعتراف بكرامة المواطنين .. اما ارادله ان يشبوهه مثل سطوته وشدته حتى تغنو له الجباه .. وقبل ان يموت ترك لابنه مذكرات وتعليقات .. فيها خلاصة وافية لنصائحه ، وتجاربه ، وآرائه في السياسة والاحداث .. مكف فاروق بعد عودته على قراءتها مع رائدة احمد حسين .. فكانت درسا لا ينسى ..

وتلك هى التأثيرات الاولى في تكوين فاروق .. وقرر فؤاد ان يرسل ابنه الى انجلترا فاختر له بعثة تتكون عدا الخدم

من ثلاثة : احمد حسنين وعزيز المصري وعمر فتحي ...
وكان عمر فتحي مجرد حارس خاص .. اما احمد حسنين وعزيز المصري ،
فاى تناقض ؟



عزیز المصرى

عزیز المصرى .. الثائر القديم ،
المتعصب لوطنه ودينه ، الذى يكره
الانجليز بالذات كراهة خاصة ..
واحمد حسنين .. ذو الثقافة
الانجليزية ، والعادات الانجليزية ..
ولاعب الشيش الانيق ، الذى يعرف
كيف يظهر بمظهر « الجنلمان » فى
احاديثه ، ومناوراته !

وكان لابد ان يختلف الرجلان ..
فعزیز المصرى بطبيعته الحارة
وتاريخه الذى يفخر به ، لا يمكن ان
يقبل رئاسة حسنين رجل البلاط ،

البارد الاعصاب .. وعزیز المصرى يريد ان ينشئ فاروقا تنشئة عسكرية
خشنة .. وان يحدثه عن جده ابراهيم بالذات ، وعن عراقة الشعب المصرى
وكفاحه وابطل الحرية فى تاريخ الشرق ..

اما حسنين ، وهو رجل طموح ، فقد ادرك بذكاء الانتهازى ان مستقبله
معلق باقدام سيده ، فعمل على ان يرضيه ليستحوذ عليه .
وعرف فاروق على يد حسنين .. معامرات الليل ! ..

وكان حسنين وفاروق يداوران عزيز المصرى ويتركانه ينام ثم يخرجان الى
الليل والمدينة .. وضبطهما عزيز مرارا ، وكان يثور ، ويهدد بشكواهما ، ثم
يهدأ ...

وتشاجر عزيز المصرى مرة مع حسنين على المائدة امام فاروق .. حين
قادهما الحديث الى احمد عرابى وسعد زغلول . كان عزيز المصرى يريد ان
يلقن فاروقا انهما رجلاان وطنيان حاولا ان يؤديا لوطنهما خدمات جليلة .. اما
حسينن فلا يلفت نظر فاروق الا الى ان عرابى اراد خلع توفيق ، والى ان سعد
زغلول هو عدو ابيه ..

وكان فاروق فى اخطر سنى المراهقة ، فمال الى حسنين .. بحكم طبيعته
المدللة التى تلبى ان تتعلم او يفرض عليها راي او يشعر بتوجيه .. ونفر من
عزیز المصرى الذى كان يريد ان يوجهه قسرا ..

وذهب عزيز المصرى .. وبقي معه حسنين ...

وعاد حسنين فى ركاب سيده ، مستحوذا عليه ، وبدا ينشر خيوط طموحه ،

قصصا عن ديمقراطية الملك ورقة قلبه وسمو مشاعره ..
وغطت فرحة الناس على كل شيء ... وكانت آمالهم كبيرة ، فلم يعرفوا
شيئا الا بعد ان اصبح ملكا متوجا ، وحمل مسؤولية الحكم !

MIDO

تخطيط الدستور

MIDO

الطائفة .. هو الحاكم الذي لا يعرف من
القانون إلا هواه
فولتير

أمراب الملك

هذا هو الفتى الذى اجلسوه وهو فى الثامنة عشرة من عمره على عرش مصر!..
فماذا حدث!..

فى ليلة توليه سلطته الدستورية ، وقعت اول أزمة بين القصر والوزارة
الوقدية ، وكانت أزمة عميقة الدلالة ، بعيدة المعنى ، حول اليمين الذى يحلفه
الجيش فى احتفالات التتويج .

كان القصر يريد ان يحلف الضباط .. «ان تكون مخلصين اوفياء للملك
مطيعين لاوامره الكريمة» .. ورات الوزارة ان تغير القسم بحيث يصبح
«مخلصين للملك ، **مطيعين للدستور**»

وثار رجال القصر . فما معنى اصرار الوزارة على ان يقسم الجيش بيمين
الولاء للدستور ايضا فى يوم تتويج الملك!.. ولماذا لا يكون الولاء للملك فقط!..
ولماذا تعهدت الوزارة ان يكون «الاخلاص» للملك و «الطاعة» للدستور!..
والطاعة كلمة واضحة لها معنى محدد ، يعكس كلمة «الاخلاص» العامة .

وما نحسب ان الفتى القادم من انجلترا ، عديم الثقافة ، كان يعرف فى ذلك
الوقت كل هذا الكلام . ولكنهم الناصحون والمستشارون ورجال البلاط ..
بدأوا يعلمونه انه هو كل شيء ، وان الجيش جيشه لا جيش الشعب ، وان
الولاء يجب ان يكون له لا للدستور!.. وليس عجيبا ان نرى الفريق ابراهيم
مطال الله - بعد عشر سنين تقرصا - يقف فى نادى ضباط الجيش خطيبا ..
ويعلن انه قد تقرر تغيير شعار الجيش من «الله ، الوطن ، الملك» الى «الله ،
الملك ، الوطن» .. ووجم الضباط يومها ، ورددوا الهتاف بصوت خافت
هزيل ..

ولكن هذه القاعدة كانت قد تقرر منذ وقت طويل . ولو قد طال بهم
الزمن وقتا آخر لقدموا الملك على الله ايضا!..

وقعت هذه الأزمة يوم تولى فاروق سلطته الدستورية ، فكانت اذارا
بالمستقبل الرهيب .. ولا بد لنا من دراسة هذه الفترة البالغة الاهمية التى
تحطم فيها الدستور ، وانفتحت فيها النفرة لكل ما اعقب ذلك من فساد ..

وكان الموقف السياسى ينقسم الى معسكرين : الوفد فى ناحية .. والاحزاب
المعادية فى ناحية اخرى ..

اما الوفد ، فقد أصبح بعد عقد معاهدة ١٩٣٦ والغاء الامتيازات الاجنبية
صاحب النفوذ الشعبى الاكبر والاغلبية البرلمانية المطلقة. وظن الوفد ان القضية

الوطنية التي نشأ من أجلها قد انتهت بعقد معاهدة ١٩٣٦ ، واطمان الى انه سيحكم هذه المرة مدة طويلة بعد ان خرج الانجليز من الموقف كما توهم - فاسترخت عضلاته ، وانطلق يحكم ويتعثر ويخطئ . . . وبدأت المحسوبيات والاستثناءات المعتادة تكاثر في افقه ، والاتهامات المتعلقة بالنزاهة تعلق بشباب قاده ووزرائه . وراى الوفد ان حزب مصر الفتاة الفاشي النزعة قد انشأ فرقا عسكرية باسم فرق القمصان الخضراء . فلم يبادر الوفد الى حلها لانها مخالفة للقوانين ، بل انشأ لنفسه فرقا باسم القمصان الزرقاء . . . اصطدمت بالفرق



محمد محمود

الخضراء حتى اختل جبل النظام في ظروف كثيرة . . . وفي الجانب الآخر كانت المعارضة . . .

تتكون من حزب رئيسي هو حزب الأحرار الدستوريون برئاسة محمد محمود ، ثم حزبين صوريين هما حزب الشعب برئاسة اسماعيل صدقي وحزب الاتحاد برئاسة حلمي عيسى . . . وجمعية مصر الفتاة . . . وبعض الشخصيات المستقلة مثل على ماهر ولطفى السيد وعبد الفتاح يحيى

وكانت المعارضة تعتنق الكلمة الشهيرة التي أطلقها محمد محمود في ذلك الوقت قائلا : ان مهمة الاغلبية قد انتهت !!

وتفسير ذلك ان الانجليز سمحوا بسهولة الاغلبية الى الحكم حتى يوقعوا معها المعاهدة التي يريدون . . . والان وقد وافق الوفد على المعاهدة ، ولم يعد قادرا على سحب امضائه ، لم تعد للانجليز مصلحة في بقاء الوفد في الحكم . . . فعلى الاقلية اذا ان تسعى للوصول اليه !

وكانت احزاب المعارضة اكثر رجعية من الوفد ، فقيرة الى التأييد الشعبي ، لما لها من سوابق كثيرة في الطغيان وتعطيل الدستور او الفائه . ولم تكن المعارضة - وهي على هذه الحال - مستعدة ابدا لان تتجه بمعارضتها الى الناس ، وان تجاهد لكي تحول تيار الراى العام عن الوفد تدريجيا ، عن طريق تبصير الناس بأخطائه ورسم برنامج جديد لهم . . . لم تكن المعارضة اهلا لشيء من ذلك ، ولم تفكر لحظة واحدة في ان تسلك للوصول الى الحكم هذا الطريق الطويل الشاق . . . ولما كان مستحيلا على هذه الاحزاب ان تتحد بمصلحتها مع مصلحة الشعب ، فلم يعد امامها الا ان ترتبط بمصلحة الملك . . . سياسيا

واقتصاديا واجتماعيا .. وهكذا أصبح ههنا ان تقوى سلطة الملك وتدعم نفوذه .. فكنت ترى هذه المعارضة بدلا من ان تقول ان الوفد ينتعد عن مطالب الشعب ويستغل تأييده .. تحاول ان تقنع الملك بان الوفد يعتدى على حقوقه ويغتصب نفوذه .. حتى يدعوهم الملك الى الحكم ، بوصفهم أوفى واخلص ! .. وبدأت الحملة ..

واخذت المعارضة بصحفيها ، واتصالاتها ، ورجال البلاط بمناوراتهم ودسائسهم .. بدأوا جميعا يعملون بنشاط .. لاغراء الملك على تمزيق الدستور .. وكانت البداية ببعض القصص النافهة .

قررت الوزارة اصلاح الحرمين الشريفين على حساب الحكومة ، ونشر ذلك في الصحف . وقرا الملك النبا فاهتم بالموضوع وطلب تقريرا عنه .. والتقطت المعارضة هذه الواقعة البسيطة .. واستنتجت منها ان الوزارة اتخذت هذا القرار وشرعت في تنفيذه دون ان تحيط الملك علما .. ومضت تندد بالوزارة التى لاتعمل للملك حسابا ، والتى لا تحيطه مقدما بمثل هذا الموضوع الخطير !!

تلقت الوزارة دعوة لحضور مؤتمر بيون الذى عقد بمدينة نيون الفرنسية . وقبلت الوزارة الدعوة ، وعينت اسماء المندوبين وارسلت اليهم التعليمات ..

وعلمت صحف المعارضة ان الوزارة لم تأخذ رأى الملك : الوزارة اذا تتجاهل الملك ! .. يجب اقالة الوزارة التى تتجاهل الملك الى هذا الحد !

الصحف تنشر صورة للملك وهو خارج من احد المساجد عقب صلاة الجمعة وبجواره وقف مصطفى النحاس ، وقد عقد يديه خلف ظهره .. وتثور المعارضة لكرامة الملك ، وتصيب جام غضبها على رئيس الوزراء الذى يسيء الادب امام سيد البلاد ، ويستهين بالملك الشاب ، ويظن نفسه اعلى منه مقاماً حتى انه ليعقد يديه خلف ظهره وهو واقف بجواره ...

والملك الذى لاتزيد منه على ١٨ سنة - هجرية لم يرى كل ذلك ، ويسمع الذين يفزعونه بدعوى الخطر المهدق به ... واعتداء الوزارة على حقوقه ، فى حين يجب ان يكون هو المعتدى على حقوق الوزارة ... ثم يرى تعلق الجماهير بالوفد ، ونصائح ابيه التى تحذره من هذا الحزب وهذه الجماهير ، فتتعقد نفسه وتمنئ بالحق والكرامية ... ويحدث مرة ان يكون خارجا من مسجد السيدة زينب بعد صلاة الجمعة وخلفه الناس ، وتدوى فى اذنه هتافات الجماهير فى الميدان بحياة النحاس ، فينظر الى رئيس وزرائه ساخرا ، ويقول له : - ما تفضل قدامى .. الناس عايزاك !!



ويرتبك النحاس ، فلا يسعفه الكلام
وفي هذا الجو ، يقع أول صدام حقيقي ..

الملك يريد ان يعين مهندسا انجليزيا
في الباخرة «المحروسة» .. وكان على
ماهر في وزارته السابقة قد اصدر
قانونا ينظم قواعد استخدام الموظفين
الاجانب . ولما علمت الوزارة برغبة
الملك ارادت ان تطبق القانون على هذا
المهندس الانجليزى .. ولكن الملك رفض
ان تتدخل الوزارة في شئون موظفى
القصر .

مصطفى النحاس

وتمسك كل من الطرفين برأيه

ووصل الامر الى صفحات الجرائد

الصحف الوفدية تشد ازر الحكومة وتدافع عن حقها في التدخل وضرورة
تطبيق قوانين الدولة على موظفى القصر كغيرهم من الموظفين .. والصحف
المعارضة تسمى تصرف الوزارة اعتداء على حقوق الملك .. وتشن « السياسة
الاسبوعية » حملة عنيفة دفاعا عن حقوق الملك التى يعتدى عليها الوفد، قائلة
ان الوفد يستأنف محاولاته القديمة لانتقاص سلطة سيد البلاد !

كان حزب الاحرار الدستوريين يرى ان انتقاص حقوق الملك شئ يعاب !
واراد النحاس ان ينهى الازمة ويتعرف ماوراءها .. فذهب لمقابلة الملك، وقال له:
انا يا مولاي احرص الناس على حقوق جلالكم .. ولكن هناك قانون على ماهر
لا بد ان يطبق .

ويرد الملك قائلا : انا سألت على ماهر فقال لى انه حين اصدر هذا القانون
لم يخطر بباله موظفو السرايات .

ويدرك النحاس بصفة قاطعة ماكان يشك فيه : ان على ماهر في الموقف !

وينتهى الحوار باقتراح الملك احالة الامر الى لجنة المستشارين الملكيين .

ويقابل القصر هذا « الاعتداء » على حقوق الملك بالتصرفات الصغيرة التى
يلجأ اليها عادة لاشعار رئيس الوزارة بأنه ليس محل الرضاء السامى ..
فالنحاس يريد ان يقيم حفلة ابتهاجا بخطبة الملك ولكن الملك يرفض . والملك
يقيم مأدبة تكريم لوزير البحرية البريطانية ، ويدعى النحاس ولايدعى كرم

عبيد وزير الخارجية بالنيابة رغم أن البروتوكول يحتم دعوته .. وبشور
النحاس ويسأل أحمد حسنين في الحفلة لماذا اغفلت دعوة وزير الخارجية ،
فيقول حسنين : بعدين .. اقول لرفعتك ! ..

ويزوغ !

وفي أثناء ذلك كله كان الحديث لا يفتأ يتردد عن المرشحين لمنصب رئيس الديوان
الشاعر .. والصحف ترشح أسماء كثيرة ، والناس يترقبون في قلق اسم
رئيس الديوان لأنهم يعرفون جيدا أن اختيار رئيس الديوان سيحدد خط
المستقبل . والوزارة تهتم بالأمر فهي تقترح إنشاء منصب وزير لشئون القصر
يعين فيه عبدالفتاح الطويل فيرفض الملك .. ثم تعرض بعض الأسماء المستقلة
فيرفض الملك أيضا ، ويقول بالحرف الواحد : سوف أعين من أشاء ، في أي
وقت أشاء !

فمن يقع عليه الاختيار ؟

الرجل الذي مات فؤاد في عهده ، والرجل الذي أوصى ابنه في مذكراته ..
الذي عرف بولائه للعرش ووقوفه في وجه الوفد :

على ماهر

ويذهب سعيد ذو الفقار إلى رئيس الوزارة ينشئه بصدور المرسوم ، في نفس
الوقت الذي يداع فيه النبأ على الصحف .. نفس الطريقة التي عين بها
حافظ عفيفي ، كما يذكر الناس ، في نوفمبر سنة ١٩٥١ ! !

وتشور الصحف المؤيدة للحكومة قائلة أن هذا العمل غير دستوري ..
وتقول أنا إذا سلمنا للملك جدلا بأن يعين في وظائف القصر كما يشاء ، فإن
وظيفة رئيس الديوان بالذات وظيفة رئيسية ، وشاغلها حلقة اتصال بين الملك
والوزارة ، فيجب أن يكون شخصا تطمئن إليه الوزارة أيضا ..

والصحف المعارضة قد اطمأنت إلى مستقبلها ، فهي تخرج لسانها للحكومة
قائلة أن الملك حر يفعل ما يشاء !

ويذهب النحاس إلى الملك مستنكرا .. فيقول له فاروق : أنا عيسته لأنه كان
محل ثقة والدي الملك فؤاد ومحل ثقتي ، كما أن الأمة تثق فيه

النحاس : أنا أعرف كفاية على ماهر وأخلاصه ونزاهته .. ولكن يامولانا
القول بأن الأمة تثق الآن في على ماهر قول لا يرتاح إليه الواقع .. وأن المحيط



الذى يرفع الى مولاي المعلومات لا يمكن
الا ان يكون محيطا محدودا ليس في
وسعه ان يكون متصلا تمام الاتصال
بكافة طبقات الشعب . واما انا فاني
متصل بالشعب واعرف حقيقة ميوله
الملك : مفهوم . . ده طبعا رايك
بصفتك رئيس حزب الوفد
النحاس : انا مش رئيس حزب
يا مولاي . . انا زعيم الامة !
الملك : على كل حال دى مسألة
تقديرية . . .

ويعود النحاس الى بيته مهموما . .
ويقول لزواره : انا يا حبي (اى الملك)
وبانفاهل بوجهه خيرا ! . . بس يفتح لى قلبه . . يقول لى عايز ايه ! . . وانا
مستعد اعمل له كل اللى نفسه فيه ! !

ولكن الازمة لاتحل بل تتعقد نهائيا . وبظهور على ماهر على المسرح ،
وامساكه بعجلة القيادة فى القصر ، تبلور الصراع تماما ، واصبح خلافا دستوريا
صعبا ، تتناول الجذر الاساسى للنظام الدستورى كله : ما هى صفة الملك
فى النظام الدستورى . . هل هو - كما يقول الفقهاء الغربيون - كالصورة
المقدسة المعلقة على الحائط ، يحترمها اهل البيت ولگتهم لا ياخذون رايها لا . .
ام ان له ان يحكم ويتدخل مباشرة فى حمل المسؤولية وتسيير دفة الامور ؟ . .
وكان الخلاف قد انحصر فى مسألتين على التحديد :

الاولى : ان الوزارة ارادت ان تعين يوسف الجندى وزيرا للداخلية فرفض الملك
الثانية : ان الوزارة رشحت فخري عبد النور ليعين فى مقعد خال بمجلس
الشيوخ ، ولكن الملك اعترض ورشح عبد العزيز فهمى

اما الاعتراض على فخري عبد النور فكان لمجرد احراج الوزارة وتطوير
الازمة حتى تستقيل . واما الاعتراض على يوسف الجندى . . فلانه تزعم
ثورة سنة ١٩١٩ فى بلده زفتى ، وتجاسر فاعلن استقلالها وانشا فيها
امبراطورية . . وتحصن فيها يقاوم الانجليز ! وكان ذلك كافيا لان ينظر اليه
القصر دائما بارتياح ، ويعتقد ان له ميولا خطيرة ! وفى هذه المناسبة تعلم الفتى
ان يستأسد ، وان يصرخ مرة بعد خروج النحاس من عنده : هوه كل مرة
يوسف الجندى . . يوسف الجندى . . قولوا للنحاس مش عايز اسمع منه
بعد النهارده ولا كلمة عن يوسف الجندى ! !

ولكن الاشخاص هنا لايهمونا . . بل الذى يهمنا هو المبدأ الذى يوشك

أن يتقرر .. فلو أصبح من حق الملك أن يتحكم في اختيار أشخاص الوزراء وأشخاص أعضاء الشيوخ ، فمعنى ذلك أن الملك يحكم مباشرة . لأنه يختار الذين يحكمون . ومعناه إهدار سلطة الأمة التي تنتخب البرلمان ، والبرلمان الذي يؤيد الوزارة ، ويعطى الثقة للوزراء أو يسحبها منهم . ومعناه أن توقيع الملك على المراسيم ليس إجراء شكلياً فحسب ! .. وإذا كان حزب الأغلبية لا يستطيع أن يختار وزراءه ، فماذا يستطيع ؟ ..

ولم تكن هذه هي أول مرة يثور فيها هذا الخلاف الخطير . فقد نشب قبل ذلك في سنة ١٩٢٤ بين الملك فؤاد وسعد زغلول . . . حين بدى في تعيين أعضاء مجلس الشيوخ لأول مرة بعد إعلان الدستور . وقدم سعد زغلول قائمة بأسماء الشيوخ الذين ترشحهم الوزارة . وأراد فؤاد أن يتدخل في الاختيار برفع هذا الاسم وترشيح ذاك . . . ورفض سعد مستنداً إلى أن توقيع الملك على المرسوم إجراء شكلي لا يعنى أن له حق مناقشة المرسوم



سعد زغلول

ولما استحكم الخلاف بين الطرفين ، والدستور لم يجف مداده بعد ، اتفقا على الاحتكام إلى العالم البلجيكي البارون فان بوش لأن الدستور المصري مستمد من الدستور البلجيكي . وجاءت فتوى الرجل مؤيدة لموقف سعد . وقالت الفتوى بالنص :

((أن مبدأ عدم مسئولية الملك يعتبر أساس هذا النظام الذي يقضى بأن الملك لا يتولى سلطته إلا بواسطة وزرائه وهو مبدأ لا يحتمل أي استثناء من

الوجهة القانونية ، بل يمتد إلى جميع أعمال الملك ، فإذا استثنى عمل واحد فإن هذا الاستثناء يصيب النظام الدستوري في روحه وأساسه ، لذلك أرى أن تعيين أعضاء مجلس الشيوخ يجب أن يكون بناء على ما يعرضه مجلس الوزراء))

على هذا النحو الحاسم جاءت الفتوى مقررّة أن الملك ليس له أن يتدخل في اختيار أعضاء مجلس الشيوخ . . . فما بالك بالوزراء ؟ .. فلو كانت أحزاب المعارضة تعرف قيمة الدستور وتتمسك بأحكامه ، لنسيت خلافاتها مع الوزارة ، ولوقفت بجانبها في إزالة هذا الخطر الداهم ، ولصاحت كل الأحزاب والصحف والهيئات في وجه الملك ورجاله : مكانكم ! .. أن أخطاء الوزارة شيء واعتداءكم على الدستور شيء آخر !

ولكن المعارضة لم تصنع شيئا من ذلك . . . بل انطلقت تشن الحملات على الوزارة ، وتشر الأبحاث والمقالات تثبت بها أن الوزارة تعتدى على سلطات الملك ، وأنها تكيد له ، وأنها غير مخلصه للعرش . . . وتبدي استعدادها - طبعاً ! - لو أصبح الحكم لها أن تنفذ ما يشاء الملك !

وسارت المظاهرات في الشوارع تهتف للوزارة ، وسارت مظاهرات أخرى تهتف ضد الوزارة . . . وخرج الملك الى شرفته يحيي المظاهرات المعادية للوزارة . . . وهلت المعارضة لهذا التدخل السياسي السافر ، الفاضح ، الذي لم يقدم عليه ملك على الإطلاق !

واتصلت المقابلات عثا لحل الأزمة . بين مكرم عبيد وصبري ابو علم عن الوزارة ، وعلى ماهر عن السراي . . . وحسم الامر في النهاية بخطاب اقالة كتبه على ماهر ، جاء في أسبابه ان الوزارة اقبلت «لمجافاتها لروح الدستور» ان يكون غريباً بعد ذلك ان يصبح الملك هو المتحكم في اختيار الوزراء واعضاء الشيوخ . . . فنقرا ان السراي شطبت اسم هذا ووضعت اسم ذاك ؟ . . . ان يكون غريباً ان يفرض الملك على وزارة انوفد سنة ١٩٥١ اعضاء لمجلس الشيوخ من نوع ادجار جلاد واحمد النقيب ؟ . . . وان يفرض على الهلالى وسرى والنقراشى وعبد الهادى وزراء مثل محمد حيدر وكريم ثابت واسماعيل شيرين . . . ويرفض تعيين وزراء مثل محمد نجيب ؟ . . .

ان يكون غريباً ان يذهب اليه عبد السلام فهمي جمعه رئيس مجلس النواب على رأس هيئة المكتب ، فاذا تحدث عن ارادة الشعب صاح في وجهه : « اسمع يا باشا . . . ارادة الشعب من ارادتي أنا ؟ . . . »

ان يكون غريباً ان يصمم على عدم ادخال الوزارة احدالدين وقموا على عريضة المعارضة سنة ١٩٥٠ . . . فيضطر واحد منهم - حافظ رمضان - الى الاعتذار ويسعى الهلالى لديه حتى يعفو عن آخر . . . هو طه السباعى ؟ . . .

ان يكون غريباً ان توجد في سوق السياسة عملة نادرة اسمها « الرضاء السامى » . . . ترفع من يمورضا وتخفى من يفقدها ؟ . . .

ان يكون غريباً ان يضطهد رجلا مثل طه حسين زمانطويلاً لانه يعمل الصحف حديثاً عن المعدين في الارض . . . فاذا اراد الصحفيون ان ينتخبوه نقيباتدخل في الامر ، وارسل اليه الوزير محمد هاشم يقصيه عن هذا المنصب الذي يتم الاختيار فيه بالانتخاب ، تحاشيا



عباس وطلب منه ان يستقيل قاستقال ..
وابراهيم عبد الهادي ، ارسل اليه محمد حيدر في جنح الليل سنة ١٩٤٩
وامره بان يقدم استقالته قبل ان يطلع الصبح فقدمها ...
والهلالى خرج اول مرة لانه اصطدم بحاشية الملك
وحسين سري خرج لانه لم ينفذ رغبات الملك ...
والنحاس اقبل بعد الاقالة الاولى مرتين آخرين ...
وعلى ماهر نفسه ، راح آخر الامر ضحية هذه السياسة التى وضع
قواعدها ... فخرج من وزارته بعد شهر واحد فقط في فبراير ١٩٥٢ ...
بمؤامرة دبرها رجل الملك الجديد : حافظ عفيفى !

MIDO

أحمد حسين

هذا الرجل التحيف ، العاكر ، الذي ظل يعيش خلف سيده منذ كان صبيا ،
والذي عرف طيلة هذه المدة كيف يرضيه ويستحوذ عليه .. قد آن له ان
يقف في المقدمة ..



أحمد حسين

وقبل ان نمضي في بيان دوره الخطير ..
نروي قصة صغيرة تصور لنا عقليته ،
وطريقته في التضليل .. والقصة منشورة
في كتاب « الاعمدة السبعة المنهاره »
بقلم جون كيمشي .. ويروي المؤلف انه
زار مصر ، وقابل حسين رئيس الديوان
الملكى . وقال له ان الفلاح المصرى فى حالة
سيئة جدا ، وانه ينام مع البهائم فى حجرة
واحدة ، وبيته مظلم لاماء ولانور فيه ..
فرد عليه رئيس الديوان قائلا : بالعكس .
ان الفلاح المصرى يحب هذه الحياة ..

وهو لا يكون سعيدا الا اذا نام مع ماشيته ودواجنه ، وافترش الارض الطيبة
وجلس فى ضوء الشمعة الشاعري !!!

وخرج الصحفي الانجليزى ذاهلا .. من هول ماسمع !

تولى أحمد حسين هذا رئاسة الديوان بعد خروج على ماهر من الوزارة
(يونيو ١٩٤٠) بشهرين .. وارض النقوذ امامه ممهدة . فقد استطاع على
ماهر ان يؤكد للملك سلطة غير دستورية ، وان يجعل له ارادة واضحة مباشرة
فى الحكم تزحم ارادة الشعب .. فلم تلبث المادة ٢٢ من الدستور التى تقول
ان « جميع السلطات مصدرها الامة » ان اصبحت حبرا على ورق .

ولم يكن أحمد حسين مثل على ماهر .

فقد عهد على ماهر الى تدعيم سلطة القصر كرجل سياسى يريد ان يصل
الى الحكم ويطبق آراءه .. بصرف النظر عن نتائج هذه الخطة ، وحظ هذه
الآراء من قبول الشعب . اما حسين .. فلم يعرف عنه انه رجل سياسى ..
بل كان آخر « منصب » سياسى تولاه هو سكرتارية الجنرال ماكسمويل قائد
القوات البريطانية فى الشرق ! .. ولم يكن له ماضى فى الحركة الوطنية مثلا
او فى الخدمة العامة .. انما هو رجل من الحاشية ، ارتفع الى رئاسة الديوان

بحفظوا له عند سيده ، فكان معنى توليه هذا المنصب ان الحاشية أصبحت تحكم
والحاشية قصة أخرى .

في الفترة الاولى لرئاسة حسين ، جمع حوله عددا من الصحفيين ، وذوى
النفوذ بين الراى العام ، وقاد حملة دعائية مسرحية ليقيم الملك الى الناس في
هالة معينة تبرر تدخله في شئون الحكم . واستطاع ان يستغل حادث ١٤ فبراير
وظروف الحرب لافهار الملك في صورة الوطنى الذى يكافح الانجليز من اجل
مصر . . . والذى يتراقع امام الوزراء عن مصالح الشعب ، والذى يقبل وزارة
النحاس لانه يريد ان يوفر « الغذاء والكساء » للناس !

فلما انتهت الحرب العالمية ، وتهايا الناس للعودة الى الحياة الطبيعية . .
اقال الملك وزارة الوفد ، وكان السبب المباشر للاقالة لافتات تحمل حملة
« يعيش الملك ويحيى النحاس » وكان من راي الملك ان لا يقرن باسمه
اي اسم آخر .

ولم يعد حسين الى رفع القيود واقامة برلمان حر . . او حتى « متوازن » ! .
ولم يفكر مثلاً في اتجاه قومى حتى توجه مصر الى المطالبة بحقوقها في فرصة
ما بعد الحرب . . بل صنع بواسطة وزارة من احزاب الاقلية برلمانا لا يمثل
الوفد فيه غير نائب واحد هو حنفى الشريف ! ولما كان من المستحيل ان يقال
ان هذا البرلمان يمثل الامة تمثيلاً حقيقياً او حتى قريباً من الحقيقة . .
فمعنى ذلك ان القصر يحكم بصراحة لامواربة فيها - بلا دستور !

واسم هذا النظام ما يقرب من خمس سنوات . . . حطم فيها الملك ،
يتقدمه رائده احمد حسين ، ويحيط به الحاشية . . . حطم البقية الباقية
من قواعد الدستور . . حتى ان اشتغال الملك مباشرة بالسياسة لم يعد يبدو
امراً غريباً ، ولم يعد هذا التدخل السافر مقصوراً على الصغار من شئون
الحكم الداخلية ، بل امتد الى سياسة مصر الدولية ، وقضيتها الوطنية . . .
فقد جاء روزفلت الى مصر ، وجاء تشرشل . . . وكان الملك - الذى جعله
الدستور غير مسئول - هو الذى يذهب مع احمد حسين لمقابلتهما ، واجراء
المباحثات السياسية مهمما . . . واحمد ماهر رئيس الوزراء لا يتدخل . . .
وقام الملك برحلات ليقابل الملك عبد العزيز آل سعود وغيره ، وليضع
خططاً لسياسة مصر العربية . . . وليعادي هذه الدولة ويصادق تلك . . .
كانه هو الملك في بلد ديمورى له السلطة التى لعبد العزيز سعود في بلد لم
يعرف الدستور بعد ! . . .

واسبح السفراء يعينون بمحض ارادته . . . فكانوا يرفعون تاريزهم اليه ،
ويتصرفون بمقابلته او مقابلة رئيس ديوانه قبل ان يقابلوا رئيس الوزراء ،
او وزير الخارجية .

وأصبح القصر هو محور المفاوضات مع الانجليز . . . وبذل الملك محاولات
سافرة لفرض الاتفاقيات على الشعب . . . وصلت الى حد تهديد الزعماء . .
وكان تهديده لمكرم عبيد - بعد محاولة اغرائه - احتدى المحاولات التي
نضحتها الظروف . . . واراد الملك ان ينتقم من مكرم لعلمته على الدفاع
لمشترك . . فذهب يحضر جلسة من جلسات مجلس النواب ليرى ابراهيم
بند الهادي يسب مكرم . . ويرى نائباً آخر يطلع حذاءه ويحاول ضرب مكرم
هو واقف على المنبر . . .

ثم كافأ ابراهيم عبيد الهادي على قصاحته في مهاجمة مكرم ، بان عينه
ثباً للديوان الملكي بعد قليل . . وكان احمد حسين قد قتل في حادث
تصادم .

وذاع بين الناس لأول مرة تدخل رجال الحاشية . . وعرفوا لأول مرة
سعاء كريم ثابت وانطون بوللي وثاهد رشاد وحلمي حسين .
وأصبح الملك يفرض رجاله وزراء دائمين . . ففرض محمد حيدر ووزيرا
وزارة النقراشي ثم ابراهيم عبيد الهادي ثم وزارتني حسين سري
لائتلافية والمحابدة ! . . .

بل ان الدولة استبكت في حرب فلسطين . . . وقبلت وزارة النقراشي ان
تدخل هذه الحرب ، على مسؤولية الملك ! . . دون ان تحاول ان يكون لها في
الامر شيء ، بل دون ان تغيل مناقشة في شيء .

كان الملك والحاشية يصعدون الاوامر من القصر الى القوات المحاربة في
الميدان رأساً . . وكان التقدم والتقهقر وقبول الهدنة واستئناف القتال كلها
سائل يقررها فاروق وحيدر والحاشية ! . .

في القصر . . كان حيدر يراجع الملك فينهره ويقول له انه يعرف ما يصنع .
وفي مجلس الوزراء كان الوزراء يناقشون حيدر فينهرهم ويقول لهم انه
واثق مما يصنع ! . .

وفي مجلس الشيوخ حاول على ماهر ان يناقش النقراشي ، فصاح فيه ان
الوزارة تعرف ما تصنع ! . .

وغضب يومها على ماهر والسحب . . والسحب معه اي مناقشة في حرب
فلسطين . . ولحرب فلسطين قصة اخرى

وهكذا . . لم يعض على مصرع احمد حسين شهور . . حتى اكتشف
الناس عبقريته كمخرج كبير ! . .

عرفوا ان الملك لم يكن يحارب الانجليز . . وانما كان يكره اللورد كيلين
فقط . . وانه كان يراه خطراً على عرشه . .

ورأوا الملك «الصالح» يقضي ليلته في الاوبرج وحلمية بالاس . . ولفضائحه
رائحة تزكم الانوف . . .

واكتشفوا ان هذا الملك الذي يفكر دائما في الشعب .. انما يفكر في كيف ينهب الشعب ! ..
 وحين اكتشف الناس هذه الحقائق .. بدأوا يتحركون ولكن من غير نظام
 فشهدت هذه السنين الخمس حوادث بالغة العنف ..
 اضرب البوليس لأول مرة في تاريخ مصر اضربا رهيبا .. واكتسحت الثورة
 شوارع القاهرة والاسكندرية ، حتى تعدى لها الجيش ..
 واخرب المعرضون واعتصموا بالقصر العيني الذي اشتعلت فيه النيران
 ولم يخمد الاضراب الا بعد ان حضرت الدبابات ، وتحولت منطقة القصر العيني
 الى ميدان قتال ..
 واخرب الطلبة اضرابات عنيفة استعملت فيها العنابيل والاسلحة النارية
 وقتل فيها سليم زكي حكمدار العاصمة .
 وفي اعقاب معركة كوبري عباس في ٩ فبراير ١٩٥٦ هتف طلبة الجامعة لأول
 مرة بسقوط الملك . ومزقوا صورة المعلقة في مبنى الجامعة واحرقوها ..
 وقذفوا سيارات القصر الملكي بالحجارة واغرقوها بخراطيم المياه . واطفأوا
 الشعلة التي كان يجب ان تصل الى الملك يوم عيد ميلاده - ١١ فبراير -
 وقاطعوا الحفلة التي حضرها الملك لافتتاح المدينة الجامعية .. ولم تخمد
 الثورة الا بسقوط وزارة النقراشي .



ابراهيم عبد الهادي

واجتاحت مصر موجة من الاغتيال
 السياسي .. تبادل فيه الارهابيون
 والحاكمون ارتكاب الجرائم ..
 فقتل النقراشي وحسن النوا وتسف
 بيت النحاس وضرب النحاس بالمدافع
 الرشاشة .
 وانقلت مصر كلها الى ساحة معركة .
 وساد عهد من الارهاب المظلم لامثيل له
 حتى اصبح الفرد العادي لا يستطيع ان يسير
 ويده في جيبه .. فقد يشبه البوليس
 فيه ويحبسه يحمل قبلة ! .. واصبح
 ابراهيم عبد الهادي رئيس الوزارة لايسر الا في موكب تحرسه المدافع
 الرشاشة . اما الملك فلا يرح قصره ابدا ..
 فلما شعر الناس بان الوقد آت الى الحكم .. تنفسوا الصعداء ، وكانوا
 كالفرق قنعلقوا بهذه القشة الطافية فوق سطح الماء ... وغلثوا انها
 قارب النجاة ! .

سُلية الوفد

جاء الوفد الى الحكم في سنة ١٩٥٠ بأغلبية ساحقة لم يكن يتوقعها الوفديون أنفسهم . وتدفقت أمواج الجماهير أياما متوالية على بيت النحاس ورياسة مجلس الوزراء تحيي العهد الجديد . بل ان كثيرين من الذين كانوا يكرهون الوفد رحبوا بعودته . لا حيا في الوفد ولكن كراهة للملك الذي أصبح مصدر شر لا يعادله شر .

كان هذا شعور الجميع بل لقد كان شعور الملك نفسه . وقد كان يظن ان محاربة الوفد واقصاءه عن الحكم مدى خمس سنوات لا شك اضعفه ، وأن الانتخابات ستأتي ببرلمان « متوازن » . . . فلما جاءت الأنباء بانتصار الوفد هذا النصر الكاسح ، اسرع متزعجا الى بيت حسين سرى في الليل ، وقال له: انك مسئول عن فوز الوفد . . . وانهم سوف يعودون الى الاحتكاك بي ولذلك اري ان تصبح رئيسا للديوان لكي تتولى التفاهم معهم .

ولكن الوفد انكشف بسرعة ، وخابت الآمال التي كانت معلقة عليه قل ان يأتي الربيع . حتى ان خير اسم تطلقه على انتصار الوفد هو انه هزيمة ساحقة ! وكانت هزيمته بالقمة من الناحية التي تمهنا في هذا الكتاب ، ناحية الملك فقد صفع الناس لمجيء الوفد ، ينتظرون منه أشياء ثلاثة : ان يطلق الحريات . وان يتخذ خطة ايجابية في مقاومة الانجليز . وان يوقف الملك عند حده .



فؤاد سراج الدين

ويجب ان نعترف بأن الوفد اطلق الحريات . وبان الصحف كتبت في سنة ١٩٥٠ و ١٩٥١ ما لم تكنه قط ، وان كان لمجلس الدولة في ذلك فضل كبير . ويجب ان نعترف ايضا بان الوفد ، وان كان قد طاول في المفاوضات كثيرا ، الا انه استجاب في النهاية للضغط الشعبي الذي اتاح له اطلاق الحريات ان يقوى ، واقدم على الخطوة التي تكمن عنها الجميع ، وهي إلغاء المعاهدة . . . والسماح للشباب المصري بان يذهب الى القتال ، ويحمل السلاح ، ويضرب

يقول الوفد انه تمحل الى هذا المأزق بسبب واحد هو انه ان دوى
الغاء المعاهدة . وكان يعلم في الوقت نفسه ان الملك ان يرضى من هذه الخطوة
ولما كان لا يجوز على اقامة الوزارة بسبب معارضة الانجليز) فانه سيعيد
ولا شك الى التفتك في اى ازمة داخلية لاخراج الوزارة والتويت فرصة الغاء
المعاهدة . لذلك قرر الوفد ان يتجنب اى ازمة داخلية منها كل التزم الغاء
تحقيق العمل الاكبر - الغاء المعاهدة

هذا ما يقول الوقت وهو لا يقول اليوم بل الذي يقول هذا ان في الوردية
وقد حدث ان كان النجاشي جالسا من الاسكندرية الى القاهرة في القطار مع
سبعة في اليوم ان يكون في الوقت الذي يقضيه في كل شيء في الوردية
من النجاشي الوقت وقد حل في كل شيء في الوردية في الوردية في الوردية
هذا النسب

وبينها اقتنع الثواب الوعدان . . .
ونحن نعتقد أن هذا السبب ٢ جانب من المنفعة . . . وإنه في حقيقة
الوقت وهو يراجع أمام الملك . . . ولكن هذه الحقيقة فإنها في العلم الإلهي
على النحو الذي أصاب الوقت والضعف الذي إليه . . .
ولو كان الوقت باقيا على قوته وتطارد القاصم ١ - ٧ - راجع الملك
وأورثته في الغاء الماهدة ، وسيرة أخرى

كان حرياً بالوقد أن يرتبط بالجمهور والرأي العام وبالطوائف والطبقات
وأن يشبه هذه الجماهير بلياقة إلى الخوار الذي شهد القضية من الملك
وكان الناس مؤمنين تماماً لتقبل هذه الحقيقة بل كانوا يرفعونها شعاراً
وبدلاً من أن يلوح في وجه القصر براءة المأمون كان عليه أن يرفع في وجه
مسلاح التهديد .

ولمّا ترسّم خطة نظرية . فهذه بعينها هي الخطة التي سلكها مصدق في إيران . فقد استطاع أن يثير تحفّر الناس جميعاً لقضية البرول ، وأن يجعلها بالنسبة لهم قضية حياة أو موت . قضية لا وسط فيها . وأفهم الشعب عراصة ابن أعداؤه وابن اصدقائه . وكان يكسب من النساء في كل يوم أرضاً جديدة . ولما انتهز النساء الفرصة المواتية ليضربن ضربته ويبعدن مصدق عن الحكم . خف الشعب كله لنجدة مصدق . ووقف الجميع في وجه الخيانة صفاً واحداً . من انصار كاشاني الى انصار حزب ثوزة الشيوعى واخرج سكان طهران اذات يوثهم الى الشوارع يقيمون به المتاريس . وقبض كل واحد بنفسه في المعركة . وامتنعت معظم فرق الجيش عن التدخل لقمع الثورة فلم يتقضى يوم كامل حتى كان مصدق ذاهاً الى القصر الامبراطورى . . .

على ان عمله .
والآن الوقت ثم يلجأ الى هذه الخطة الحاسمة : مرتكنا الى المساومة .
ناسياً ان تفهيمه امام الملك كان يسىء الى القضية الوطنية نفسها . ولم يدرك ذلك حتى جائته الساعة الفاصلة . واستطاع الملك ان يطنن القضية الوطنية طمأنينة الجلاء .

فما هو السبب الحقيقي لما تفهق الوفد ؟ . .
الواقع ان بيان الوفد القديم يحفل تدريجياً منذ زمن . وان هذا التحال اتاح للعناصر القريبة منه ان تحسب اليه . . كما يتسرب الماء الى شقوق الجدار ، حتى يهوى متصدعاً .
فقد كوى زعماء الوفد على جهادهم القديم مكافآت سخيفة . . . اتاحت لهم مستوى من الحياة ومن المصالح كان من بطلان بلقلمهم الى طبقة جديدة غير الطليقة التي بدأوا جهادهم منها ، فضعف ارتباطهم بها وتجاوبهم معها . وهذا كلام مصدق على زعماء الوفد الذين بقوا فيه . والذين خرجوا منه على السواء . .
وان نظرة واحدة الى ابراهيم عبد الهادى مثلاً وسليمان غنام اعضاء لجنة الطلبة القاعدية التي كان رئيسهم فيها حسن يس . ونظرة الى « افندية » الوفد الكافحين والمجاهدين المعصومين الذين أصبح منهم الوزراء والمحامون والاشياع واصحاب العزب والدور . . . تظهرنا على النقطة التي بدأوا منها والفاية التي انتهوا اليها . . .

يضاف الى هذا النقص الداخلى ، ان نظام تكوين الوفد وتنظيماته نظام سبق لاسمح « لقاعدة » اى لجناهير الحزب وشبابه وتنظيماته الصغيرة ان تكون لها قوة ضغط حقيقية على القيادة ، فنظل هذه القيادة مربوطة دائماً الى انجذامات « قاعدة » الحزب المرتبطة بالجماهير ومطالبها المتجددة المتطورة فلو كان رئيس الوفد ينتخبه اعضاء الوفد المصرى . وكان عضو الوفد المصرى ينتخب بواسطة اعضاء الهيئة الوفدية ، وعضو الهيئة الوفدية يركب لجان

الحزب الفرعية . . لعمل عضو الوفد المصري حسابا للجنة الحزب الفرعية في أقصى أنحاء القطر . ولكن تشكيل الوفد - كتشكيل كل الأحزاب المصرية - عكسي . فرئيس الوفد يعين عضو الوفد المصري . وهيئة الوفد المصري تختار أعضاء الهيئة الوفدية . وأعضاء الهيئة الوفدية هم الذين يتحكمون في اللجان الفرعية !

وقد أدى هذا الوضع ذاته الى ان تسربت الى كيان الوفد عناصر غريبة عليه . واصبح الناس يرون في مقاعد الزعامة والوزارة والتوجيه قوما يعيدون عن الوفد وليست لهم فيه سابقة جهاد معين او تضحية بارزة او بلاء مذكور مثل قواد سراخ الدين وعبد اللطيف محمود وعبد الجواد حسين . . . الى آخره . في حين بقي الذين يكونون كيان الوفد الحقيقي من المحامين ورؤساء اللجان وصغار التجار يعيدون عن مراكز السلطة والتوجيه . . . بل لقد رأيناهم في ظروف كثيرة يعارضون الوزارة والزعامة جميعا !

هذا التغير الذي اصاب الوفد جعل لقيادته مصلحة أخرى تستوجب الحرص عليها ، بمحاولة البقاء في الحكم أطول مدة ممكنة . . . حتى اصبح البقاء في الحكم في ذاته غاية . كما اصبحت قيادة الوفد حريصة على استقرار الأوضاع التي كانت تحاربها قديما .

واصبح الوفد طبعة شعبية من حزب السعديين ، او الاحرار الدستوريين !! واذا أصبح الوفد يؤمن بالمساومة ليقى ، طمأن الملك يمكن ان يساوم ليقبل خروج الانجليز من مصر . ونسوا ان هذه نقطة حاسمة بالنسبة له . . . وان الملك منذ فقد الشعب كله بات يعرف ان القوة الوحيدة التي يمكن ان تبقى في عرشه هي الانجليز ، واصبح مستحيلا ان يقبل اخراجهم من مصر . . . وبالقوة ، خوفا من ان تتحول هذه القوة ضده فورا .

وقد غطت المساومة ورغبة البقاء في الحكم على عيون الوزارة الوفدية حتى بعد ان ظهرت نوايا القصر بتعيين حافظ عفيفي رئيسا للديوان . . . فهذا التعيين لم يغيب مغزاه عن طلبة المدارس فأضربوا اضرابات بالغة العنف وهاثفوا بسقوط حافظ عفيفي وبسقوط الملك وصاحوا بصريح العبارة : ان تعيين حافظ عفيفي طعنة في ظهر القضية الوطنية

ومع ذلك فان الوزارة لم تحج على تعيين حافظ عفيفي ، على الأقل ، كما احتجت قديما على تعيين علي ماهر . ولم تغير خطتها في مهادنة القصر ومحاولة « ستره » ومساومته وارضاء طلباته .

وحتى حين وصل الموقف الى احسم مراحله ، وقرر مجلس الوزراء الوفدي قلع العلاقات مع انجلترا . . . وتدخل القصر يطلب تأجيل هذه الخطوة للتفاهم بشأنها . . . عاد مجلس الوزراء واعلن انه اجل البت في هذه المسألة يومين . . . يساوم القصر ويقلق برضاء ، بدلا من ان يخرجه بالقطع فعلا

وفي هذين اليومين حرقت القاهرة . . . وأعلنت الاحكام العرفية واقبلت
الوزارة ، وألقى القبض على الفدائيين . . .
وبعد شهر . . . عاد عبد الفتاح عمرو الى لندن !! . . .
هكذا تفهقر الوفد . . . ولم يعد في مستوى تلك اللحظات الحاسمة . . . وهباً
نفسه لهزيمة يوقمها به الملك ، وحاشية الملك ، واحزاب الملك . . . وكل
الذين كانوا يكرهون خروج الانجليز . . . ونظر الوفد وهو يتلقى الطعنة الى
الدستور . . . فوجده قد صار قطعاً ممزقة واشلاء مفرقة . . . وقد أصبح
الملك وحاشيته سادة الموقف من جديد . . . فلما أعلنت الاحكام العرفية ،
سقط الشعب كله في الشرك المنسوب ، ووضع الملك وحاشيته أقدامهم القدرة
على عنقه فائزين !!

MIDO

الفساد الأكبر

ان الف متافق يجلسون في ثنايا تاجك .
ومع انهم يقبعون في هذا الخيز الضيق ، الا
ان ما يقومون به يصب القطر كله !
شكسبير

MIDO

هكذا أصبح فاروق انسانا شاذا في وضعه: انسانا يملك مائتي مليون جنيه، ويملك شعبا من عشرين مليون نسمة، ويملك ان يصنع بهذه الاموال وهؤلاء الناس ما يشاء وفي اي وقت يشاء... دون ان يجرؤ واحد على ان ينطق بكلمة لا... او يقول له - بكل ادب - انه مخطيء... او حتى تبتدر على وجهه علامة استياء!...

اليس هذا وشعا شاذا؟.. فكيف لاتكون التصرفات الناجمة عنه تصرفات شاذة!..

ان الشذوذ الحقيقي في الموقف هو شذوذ «الوضع» لا شذوذ الشخص. وآية ذلك اننا لو استعرضنا تواريخ الملوك المستبدين، اي الذين كانوا في مثل ظروف فاروق، لوجدنا ان فاروقا هذا لم يكن بدعا بينهم، ولم تكن تصرفاته تختلف عن تصرفاتهم...!

في فرنسا، عرفنا لكل ملك عشيقه رسمية مقدمة على الملكة... وعرف الناس عن حياة مدام بومبادور ومدام دي بارى وغيرهما اكثر مما يعرفون عن لويس الخامس عشر... وقد كان الملك يستدين وينهب خزانة الدولة ويفرض الضرائب الظالمة لكي يشتري لعشيقته عقدا ثمينا!

وفي روسيا رأينا الاسرة القيصرية في آخر عهدها، تسلم قيادتها، وقياد الدولة كلها، لراهب افاق هو راسبوتين، راح في التاريخ مثالا على الجريمة والخيانة والفسق... فقد كان يستعمل الشعوبة لينسحق بالقيصرة ونساء القصر، ويبيع الجيش المحارب في الجبهة للمدو بأبخس الاثمان!

وكان خلفاء آل عثمان يقبلون الرشاوى علنا... ويبيعون كراسى الوزارة والقيادة والولاية... بل كانوا يبيعون بلادا بأسرها... وقد اشترى اسماعيل استقلاله النسبي بقليل بضعة مئات الآلاف من الجنيهات!...

ولماذا نذهب بعيدا، ولدينا في مصر الامثلة قريبة حاضرة!.. لقد كرس محمد على الكبير موارد مصر لجيش جيشا... وجر وراء الجيش في حروب لا معنى لها في كريت، واليونان، وشبه جزيرة العرب وروسيا... لمجرد توطيد العرش الفاسد في استانبول...

وتكرم سعيد فارسى الجيوش المصرية الى المكسيك!.. لان نابليون الثالث كان مشتبكا في حرب استعمارية هناك، فاراد سعيد ان يجامل صديقه الامبراطور... بألف ومائتي جندي مصرى ارسلهم ليحاربوا اربع سنوات قاسيات في المكسيك، وليعود منهم ثلاثمائة جندي فقط!

وعرفنا عباسا الاول الذى اغلق المدارس ونفى العلماء وعطل المصانع... وعرفنا سعيدا الذى منح امتياز قناة السويس لصديق له... لمجرد الصداقة... وهو اخطر امتياز عرفته واستعرفه مصر في تاريخها! وعرفنا اسماعيل الذى اسرف وبدر وسرق ونهب، وقتل وزير ماليته،

وتترك البلد بعد ان رهن مديرياتها وحصارها ومراقبتها المرائين الايجابيه
ومرقتا نوبقيا ، الذي ضحي باستقلال البلد في سبيل عرشه ، وفتح
للانجليز ابواب مصر . . ما دام سيقي في ظل الانجليز ملدا . .
وسوف ترى ان فاروقا لم يفعل اكثر من ذلك . . لم يفعل اكثر من انه
حارب نشر التعليم كعباس ، وزج الجيش في حرب تحاربه كعصف على ، ومسح
الامتيازات لندمائه كسعيد ولجا إلى القتل لثقل من خصومه السياسيين
كما فعل اسماعيل . وكان وكيل الانجليز في مصر كسلفه اوتيق .
لم يفعل فاروق شيئا اكثر من ذلك . . ولكن الفرق الوحيد بينه وبينهم
انه ارتكب هذه الميقات في القرن العشرين ، وفي شعب تطور كبرا ، وقطع في
طريق الوعي شوطا طويلا . . فكانت افعاله مفضحة ، غير مقبولة . ولم ينظر
الناس إلى مظالمه كأنها اشياء طبيعية كما كانوا ينظرون إلى مظالم اسلافه . .
ولم يعد العالم يقبل تدخل دولة اجنبية لحماية عرشه ، كما كان يحدث قديما .

MIDO

المال من أى طريق

مات الملك فؤاد عن تركة من الارض الزراعية تبلغ ٩٣٠٠٠ فدان .. خص فاروقا منها ١٥٤٠٠ فدان ، تنازل عن حوالى الفى فدان للملكة السابقة فريدة فتكون ثروته سنة ١٩٣٧ عبارة عن ١٣٤٠٠ فدان .. تركها بعد خمسة عشر عاما وقد وصلت الى حوالى ٩٦٠٠٠ فدان املاكا خاصة .. ورقم مشابه من الاوقاف التى يديرها ويستولى على ايرادها ..

ومعنى ذلك ان فاروق حين رحل، كان يسيطر على حوالى ٢٠٠٠٠ فدان فاذا عرفنا ان مساحة الاراضى الزراعية فى مصر كلها حوالى خمسة ملايين ، يعيش فيها ومنها خمسة عشر مليوناً من البشر .. امكنا ان نقول ان الارض الملكية كان يعيش فيها حوالى ٦٠٠٠٠ نسمة .. ستمائة الف من الافراد، عبيدا عبودية خاصة للملك ، غير ان العبودية العامة التى كان يشترك فيها العشرون مليوناً !

وتصور ايها القارئ هذا المنظر الرهيب :

منظر نصف مليون من البشر ، ينهضون كل صباح .. بفلحون الارض بفئوسهم ، ويحفرون الترع ، ويظهرون المصارف وقد انغزلوا الى وسطهم فى الطين ، يجمعون روث البهائم ، ويحلبون البهائم ، ويعودون الى كهوفهم آخر النهار ، يتفصدون عرقا ويتخلعون تعباً ومرضا .. بعد ان يكون كل واحد منهم قد صنع قطرات من الرزق .. تتجمع فى خيوط رفيعة، وتتجمع الخيوط وتتجمع ، حتى تصبح كلها فيضا هائلا من الذهب .. يتدفق تحت اقدام هذا الفرد ، الواحد الاحد .. بجسده الضخم ووجهه الاحمر واوداجه المتفخة ولحمه الغليظ .. وله بعد ذلك ان يفعل بهذا الذهب ، المصنوع من عرق الملايين ، ما يشاء .. يبذله لغانية ، او يخسره على مائدة قمار ، او يشتري ارضا جديدة ، ويعيداً آخرين ! ..

فهذا هو الاقطاع الذى كان يجلس على قمته فاروق .. والذى كان مثلاً اعلى لنماذج الاقطاع الاخرى فى جنبات الوادى السعيد ..

ولم تبلغ ثروة الملك السابق هذا المبلغ الرهيب بوسائل شريفة .. اما الوسائل غير الشريفة فكثيرة ..

فاحيانا كان الملك يعجب بمساحة من الارض مملوكة لافراد من رعاياه .. وتبدأ الخاصة فى مناوراتها التى تنتهى دائما بارغام المالك على بيع ارضه بسعر بخس ! ..

واحيانا يضع يده على مساحات هائلة من الارض غير المزروعة، ويستصلحها

بأيد مجانية من المساجين ، ومشروعات مائية من ميزانية الدولة . . كما فعل في الأرض التي استولى عليها بالقرب من مرسى مطروح . .
وأحيانا يشتري - بأسعار بخسة جدا - أرضا مملوكة لقصر موضوعين تحت وصايته . . كابناء الأمراء المتوفين .

أما استيلاؤه على أراضي الوقف . . بعشرات الألوف من الأفدنة . . فقد كان يتم بعمليات نصب كبرى . واغتصاب حقيقي من الدولة . . وفي سبيل حصوله على وقف كان لا يجد غضاضة في الإطاحة بوزير ، أو بوزارة بأسرها !
ولنرو قصة الاستيلاء على أحد من هذه الأوقاف . . وقف اسماعيل باشا . . الذي تقدر قيمته بخمسة ملايين جنيه ، من أرض وعمارات وغيرها .
وقد بدأت القصة في أوائل سنة ١٩٤٨ ، حين دق جرس التليفون في مكتب الأستاذ علي عبد الرازق ، وزير الأوقاف في ذلك الوقت ، وكان المتحدث نجيب سالم ناظر الخاصة .

وقال نجيب سالم : ان نطقا ملكيا ساميا صدر بضم وقف اسماعيل الى الأوقاف التي تديرها الخاصة الملكية .

وبهت الوزير . . لهذه الخمسة ملايين جنيه التي يريد الملك ان يستولى عليها بنطق سام كريم . وقال لنجيب سالم : أريد كتابا رسميا بذلك . .
وسترد الوزارة عليه . .

وأرسلت الخاصة الملكية كتابا تقول فيه « . . بما انه قد صدر النطق السامي بنقل إدارة هذا الوقف الى ديوان الأوقاف الخصوصية الملكية ، فأرجو التنبية باتخاذ الإجراءات اللازمة لتسليم اعيان هذا الوقف وما يتعلق بها من مستندات ونقود وغير ذلك » . .

وردت وزارة الأوقاف تقول ان إيراد هذا الوقف مرصود على بعض الأغراض المحددة . وان باقى الإيراد يدخل في ميزانية وزارة الأوقاف التي لا بد منها لمواجهة واجبات الوزارة . .

ولم يعجب الخاصة هذا الرد ، فأرسلت تكرر ان « النطق السامي » قد صدر بذلك . . وتبودلت بين الطرفين خطابات عديدة . . وتطورت المسألة الى أزمة . وفاحت رائحة الأزمة حتى وصلت الى الصحف ، وبدأت الجرائد تلمح الى القصة بوسائل شتى . .

واستدعى النقراشي على عبد الرازق يوما ، وقال له ان الملك قال بالحرف الواحد : « وزير الأوقاف بتاعكم مش عارف يتعاون مع ناظر الخاصة ! » .
وفهم على عبد الرازق معنى هذا « النطق السامي » الجديد فكتب استقالته وانصرف . . . ولكن القصر لم يشأ ان يخرج الوزير وبفتضح الموقف .
فاستأنف المفاوضات ، حتى اتفق على أن تدير الخاصة الوقف بشرط أن تعهد كتابة بارسال ريع الوقف الى وزارة الأوقاف

وتفلات الخاصة تعهدا مرة واحدة . فارسلت الى الوزارة شيكا بمبلغ
... ر. . جنينه . نشرت الصحف انه منحة ملكية كريمة من الجيب الخاص
وارتفعت اكف المشايخ والعلماء بالدعاء . وبعدها لم ترسل الخاصة مليما
واحدا ! ...

وبطريقة اخرى اغتصب الملك وقف شاوه . ومباحته ... ر. . فدان
فقد رفع احد امراء آل حليم دعوى لتعيينه ناظرا على الوقف لانه ارشد
الاسرة كنص الوقف . وفي الجلسة وقف محامي الخاصة ، يقول : ان الملك
يطلب بأن يكون هو الناظر ، لانه « ارشد » الاسرة
والتفت القاضي الى الامراء يسألهم : هل لديكم من هو « ارشد » من
جلالة الملك ؟

وقال الامراء المدهولون : لا . . العفو !
واستولى الملك « الرشيد » على الوقف !
ووقف « قوله » الذي تبلغ مساحته ... ر. ٢٣ فدان
ووقف الوادي ، ووقف المنتزه ، ووقف حفيظة الالفية ، الذي وقفه
صاحبه الطيبة على معاهد العلم ، وخصص للانفاق على الجمعية الجغرافية
الملكية ومعهد الصحراء وجمعية اوراق البردي
الى آخر الاوقاف ...

وكان اول ما تفعله الخاصة بعد استيلائها على هذه الاوقاف لحساب الملك
السابق ، ان تطرد موظفي الوزارة منها ، وكثيرون منهم شردوا من جراء
ذلك ، ثم تديرها بنفس الطريقة التي تدير بها الاملاك الخاصة
وكيف كانت تدار املاك الملك ؟
هل كان موظفو التفاتيش الملكية يعيشون عيشة راحة ، في هذه المزارع
النموذجية التي تخرج ما لا تخرجه اى ارض في الوجود ؟
هل كان الفلاحون الذين يكدحون في اراضي الملك اسعد حالا من غيرهم
من الفلاحين ؟

كلا . . . وعلى طول الخط !
فالملك يريد من المال اكثر ما يمكن الحصول عليه . وناظر الخاصة بطبع
سيده ويسمى لارضائه فهو يضغط على رؤوسيه . وفي اسفل السلم ،
تحت هذا الضغط المركب ، يلهث الفلاح ، وتزهق منه الانفاس !
وكلما تفنن الموظفون الكبار في ارهاق الفلاح ، والتحايل على استخراج
المال ، رضى عنهم سيدهم ، ورضاء سيدهم كالعملة الراسخة . . . يقوم بالذهب !
وكان ابرع ما تفننت فيه الخاصة الملكية ان جعلت معظم مرتبات موظفيها
تخصم من مصاريف الاوقاف الخيرية التي تديرها . وهكذا اصبحت ميزانية
الخاصة الملكية تتحمل مرتبات الموظفين . واصبحت مزارع الملك تدار مجاناً !

وماذا تريد المزارع ، غير الموظفين ؟. العمال الزراعيين طبعاً . وهؤلاء امرهم سهل ، يوكل الى بعض الموردين الذين يوردون « عمال التراحيل » وعمال التراحيل هؤلاء عبارة عن عشرات الآلاف من التعساء الذين لم يجدوا في قراهم خبزاً يكسبونه بعملهم ، فأسلموا انفسهم لمقاول من موردي الانفار . يعرف ابن يحتاج السادة الى ايد تعمل ، فيشحن العمال الى مزارعهم ، وهناك يعملون .. بلا عقد ولا ضمان ولا اسرة ولا سكن ولا شيء الا كسرة الخبز يأكلونها ، يوماً بيوم ، مبللة بعرق اجسادهم

وقد لا يجد المقاول العدد الكافي من هؤلاء التعساء .. ومن التعساء من لا يجد قوته ولكنه يرفض أن يرحل قريته الى ارض لا يعرفها . وهؤلاء لامفر من انتزاعهم بالامر .. وتصل الى القرية لوريات تحمل لافتة « الخاصة الملكية » ويستعين المقاول بالادارة في شحن اللوريات بالادميين ... وحين يصلون الى الارض الملكية تخلى لهم احدى حظائر المواشي القديمة ، يحشرون فيها على رؤث البهائم ، وهناك يمرض منهم من يمرض ويهرب من يهرب ويموت من يموت . ولكن الاحياء عليهم ان ينهضوا مع كل فجر ، ويخرجوا معلولين منهوكين ، فاقدى الصحة ، وبغير طعام ، يعملون في الأرض حتى الغروب ، حين يرجعون الى حظائر الماشية كالجيش المنهزم

وينتهي الموسم ، ويتفرقون عائدين الى قراهم .. اكثر جوعاً وعرياً ومرضاً مما تركوها .. لم يكسبوا شيئاً الا ان حياتهم امتدت هذه الايام ! اما الاجر اليومي النافه في هذه المدة ، فقد ضاع اكثره في « الاستقطاعات اليومية » . فهذا اخطا في عمله فيخصم منه ، وذاك مرض يوماً فليس له اجر ، وقرب نهاية الموسم توزع عليهم الحبوب التي اتلفها السوس . ويخصم ثمنها من اجورهم .

وهناك غير عمال التراحيل .. الفلاحون المقيمون .. الذين يستوطنون مع أسرهم قرى المزارع الملكية ونجوعها وكفورها . وهؤلاء جذورهم ارسخ من عمال التراحيل ، ولكنهم ليسوا مستقرين على أي حال . فالارض التي يستأجرونها مملوكة للخاصة . والبيوت التي يسكنونها مملوكة للخاصة . والمياه التي يشربونها مملوكة للخاصة .. والعقود التي يصمونها على يياض تحتفظ بها الخاصة .. فماذا يفعل الفلاح ؟

انه لو عارض ناظر الزراعة فقد اضاع نفسه . واصبح بغير ارض ولا بيت ولا ماء ولا شيء على الاطلاق . ولن يجد في الارض قوة تحميه . ناظر الزراعة في القرية ملكاً صغيراً يدور في فلك الملك الكبير ... ملك صغير له بلاط وجنود وسلاح . وله حاشية وبطانة وجواسيس . وله نفوذ يسيطر على المركز والعمدة وشيخ الخفر .. وله بعد ذلك رعايا يعبدونه . فمن يجرو ويفتح فمه ؟

وتصاب الإبقار بالحمى القلاعية ، وتصاب الأغنام بالحمى الفحمية ..
فيأتي الطبيب البيطري ويتلف منها الرأس والاحشاء فحسب . أما اللحوم
بما فيها من جراثيم المرض فتوزع على الفلاحين .. بالثمن !
والحق أن ذلك لم يكن يحدث كثيرا . فقد كانت صحة المواشى الفاروقية
جيدة والحمد لله . وكان الملك يبذل لها عناية لا يبذل نصفها للأدبيين ..
فهى - المواشى ! - تنزل فى بيوت جدرانها من الطوب المشطوف ونوافذها
من الزجاج الملون ، وفى كل بيت « دوش » وحنفية مياه ، وآلة ميكانيكية
تقذف روث البهائم الى الخارج . فاذا أصيب ثور أو عجل بعد ذلك كله بشيء ..
خف اليه نطس الأطباء .. بالحقن والادوية والاحتياطات ، حتى تقوم
سليما معافى !! ..

وغير المستأجرين ، وعمال التراحيل ، والبهائم المترفة .. يوجد
المساجين .. الذين كان الفريق محمد حيدر يجرحهم مصفدين فى أغلاهم
وراءه أينما ذهب . وهؤلاء كانت تستخدمهم الخاصة فى استصلاح الاراضى
البور ، وشق الطرق وحفر المصارف وما الى ذلك
وبعد هذا العذاب الغليظ ، تخرج الارض خيراتها ، وتبدا الخاصة فى
بيعها . ونرى العجب : فاستيراد الفاكهة توضع فى وجهه العراقيل حتى
لا تهبط اسعار فواكه الخاصة . وبورصة القطن ترتفع وتنخفض بفعل
الاصابع التى تلعب من وراء الستار .. ومن بينها اصابع ملكية
وفى غمرة هذا البحر الواسع من العرق والدم والدموع . يأتى الى مصر زوار
اجانب .. فتدعوهم الخاصة الملكية الى زيارة مزارعها النموذجية فى انشاص
وغير انشاص .. ويذهب الزوار يشهدون الخضرة اليانعة ، والنباتات النادرة ،
والثمار التى لا نظير لها ، والابقار الفاروقية الفاخرة ، والتبر الذى يتفجر من
الارض الطيبة .. ويعودون ذاهنين . ويدلون بتصريحات عن التقدم العظيم
الذى احرزته مصر .. والسعادة التى يرقل فيها فلاح مصر !!

وفى المزارع الاخرى ، يقندى كبار الملاك بمليكهم .. يلتهمون الاراضى
ويكنزون الاموال ويستغلون الفلاحين بنفس الطريقة .. مطمئنين الى ان يد
القانون قاصرة دونهم .. والى ان اى اصلاح واسع النطاق فى نظام الملكية
الزراعية مستحيل .. ما دام الحاكم بامرره هو المالك الزراعى الاول ! ..
كذلك كانت كل المحاولات لاصلاح نظام الوقف تتعثر فى بعض الطريق ...
والقانون الوحيد المتواضع الذى اتيج له ان يرى النور .. تزعم معارضته فى
مجلس الشيوخ مفتى الخاصة الملكية - وهو عضو بالمجلس - ونص فيه على
استثناء الاوقاف الملكية من جميع احكامه ! ..

ولم يقف جشعه عند حد الارض الزراعية .. بل اخذ يمتد الى الحياة
الصناعية .. فقررت شركة سعيدة اهداء ١٨ الف سهم .. اى ١٨٠٠٠ ر.هـ

جنيه . ولم تخسر شركة سعيدة هذه الهدية الباهظة . . لان وزير المالية
فؤاد سراج الدين وقف في البرلمان يدافع بكل ما لديه من قوة عن مرسوم بمنح
هذه الشركة «اعانة» قدرها نصف مليون جنيه !..

وعرفت سائر الشركات الطريق : ان تجامل الملك ، وحاشية الملك .
. . وهناك غير الارض ، والشركات . . الحكومة . وهذه اطوع الجميع
واسلس قيادا . . لان نفوذه عليها مباشر . وهو الذي لا يقيد سلطته دستور ،
ويحميه القانون من كل نقد او لوم ، يستطيع ان يفعل بالحكومة ما يشاء . .
فهو من ناحية . . كان لا يدفع للحكومة شيئا ولا يخضع لقانون من قوانينها .
لا يدفع ضرائب على ايراداته الهائلة . ولا يدفع رسوما جمركية على وارداته
الباهظة . . ولكنه يأخذ من الحكومة كل شيء . . .

فانت اذا تصفحت ميزانية الدولة . . ولتكن آخر ميزانية اقرها البرلمان
عن سنة ٥١ - ١٩٥٢ . . تجد ان ميزانية الملك تبلغ ١٦٩١٥٩٣١ ر. جنيه . .
اي ١/٢ من ميزانية الدولة . . وفي البلد غير هذا للواحد . . عشرون مليوناً !..
ولكن ليس هذا المبلغ في الواقع هو كل شيء . . فقد لجأت الحكومات الى
وسيلة بارعة تخفى بها حقيقة ما تتكلفه الدولة لهذا الملك ، وهي ان توزع
النفقات على الوزارات المتولبة للتنفيذ . . . عليك لكي تعرف ما تتكلفه الدولة
له ان تنقب في ميزانية كل وزارة . . .

ستجد في ميزانية وزارة الاشغال مثلاً :

١١٥٠٠٠ جنيه . . مصروفات تكييف هواء القصور الملكية

٧٠٠٠٠ جنيه . . لانشاء ثكنات للحرس الملكي

٢٠٠٠٠ جنيه . . لانشاء اربع نقط مطافى في القصور

٢٠٠٠٠ جنيه . . لتعديل مطبخ قصر القبة

١٧٤٠٠٠ جنيه . . لصيانة حدائق القصور الملكية .

وستجد مئات الالاف مرصودة لانشاء تماثيل الاسرة العلوية ، وشق
شوارع خاصة لافهار هذه التماثيل . ومئات الاف اخرى لترميم القصور
الملكية الاثرية . .

ثم تنتقل الى وزارة المواصلات . . فتجد مئات الالاف المرصودة لشق طرق
خاصة في تفاتيش الملك ، ومئات الاف لشراء القطارات الملكية وصيانتها ،
وانشاء محطات خاصة بالملك . .

ولعلك سمعت عن « قطار الملذات » الذي دفعت فيه وزارة المواصلات
للمصانع الايطالية ١٧٠٠٠٠ جنيه . . والذي كان حديث الصحف الاوروبية
حين انتهى صنعه في الصيف الماضي : هذا القطار المزود بحجرات النوم اللينة ،
والحمامات الفاخرة ، والصالونات الحاملة ، واجهزة الارسال والاستقبال ،
والتليفونات المتصلة بالخارج . . كان قطعة كاملة من الجنة تجرى على قضبان . .

ثم تنتقل الى ميزانية مصلحة الطيران المدني ، فتجد انها قد رصدت ١٧٥٠٠٠ جنيه لاتيام المطار الملكى الخاص فى انشاص ..

وهكذا .. فى كل وزارة تقريبا . فلو جمعنا الى ميزانية القصر الملكى ، هذه النفقات جميعا ، والضرائب والرسوم التى كان يجب ان يدفعها .. لصعد الرقم الى ما يقرب من عشرة ملايين جنيه .. كانت تنفقها الدولة سنويا على هذا الرجل الذى يستغل ٢٠٠٠٠٠ فدان ! اى ١/٤ تقريبا من الميزانية المخصصة لعشرين مليوناً .. فهو يساوى فى حساب الدولة - من هذه الناحية فقط - مليون مصرى !!

فهل يشبعه كل هذا ؟ .. كلا .. بل انه يعتمد الى عمليات من النصب الصريح . واقرب مثل على هذا النصب الفاجر : قصة فخر البخار ... ولا فخر !

وقد بدأت القصة فى مكتب الاستاذ حسين فهمى وزير المالية .. اذ دخل عليه امير البحار احمد بدر وقال له : انه يقترح على الحكومة ان تشتري « فخر البحار » من الملك لتستعمله فى تدريب الجنود البحريين . وانه يعرض له ثمننا بسيطا .. هو ١٣٦٠٠٠٠ جنيه فقط !

ووعد الوزير يبحث الامر .. ولما تحرى عن اليخت عرف ان الملك السابق اشتراه من الامير يوسف كمال بمبلغ ٣٦٠٠٠٠ جنيه فقط .. منذ ١١ سنة .. وعرف انه لا يصلح مطلقا لتدريب رجال البحرية ..

وعاد امير البحر احمد بدر .. وبسط له الوزير نتيجة ابحاثه . وقال امير البحر ببساطة : الواقع ان الصفقة لا يقصد منها ابدا تدريب البحارة . فهذه مسألة لا تهم . وسوف يكون البيع صوريا .. اى ان الحكومة تشتري اليخت ثم تتركه تحت تصرف الملك .. وغاية ما فى الامر ان الملك محتاج الى ثمن اليخت .. ومحتاج الى اليخت ! ..

ورفض الوزير ان يحتمل هذه المسؤولية .. وخرج الوزير ، وتمت الصفقة ! وكان هذا السطو والنهب قد اصبح مزاجا متمكنا من نفس فاروق .. فمضى ينهب الناس .. اينما وجد فرصة للنهب ..

كانت الاثار الثمينة تختفى من مصلحة الاثار ومن الحفائر .. ويشمر المحققون عن سواعدهم ويتبعون التحف الضائعة ، حتى يصلوا الى موظف يقول : تكرم وتعطف جلالة الملك .. ولطشها ! ..

ومن الاثار ما اخذه الملك ، ومنها ما اخذه التابعون .. والتفع لا بد ان يصحبه الانتفاع .. ولكن ابن الموظف الذى يذهب فيقرع باب القصر الكبير ، ويصيح بربه : ابن التحف ؟ ..

وسمع الملك مرة فى احدى مناسبات الجامعة العربية ، ان البنى الموجودة به الامانة العامة غير لائق .. واعلن الرجل ببساطة انه يهب الجامعة قصر

المنسترلى فى الروضة ، على ضفاف النيل .. وتبادل رجال الجامعة القبلات ، ورفعت الحكومات العربية الدعوات ، وتسابقت الصحف فى نشر آخر المكرمات . ثم تقدم للجامعة قوم يقولون :

— ان هذا القصر ملك لنا .. فكيف يتبرع به الملك ؟ ..
وكانت فضيحة عربية ... طويت فى أعماق السجلات !

سرقة الاموات !

كان شاه ايران السابق منفيًا اثناء الحرب الاخيرة ، ومات فى المنفى ، ورأى امبراطور ايران ان خير مكان يدفن فيه مصر ، البلد الشقيق ، وعند صهره الملك الكريم فاروق ..

وظهر فاروق بمظهر الشهم النبيل .. وامر بان تقام لدفن الشاه جميع الشعائر التى تقام لدفن ملوك مصر .. وارسلت ايران بعثة دبلوماسية كبيرة لحضور الجنازة والدفن ..

وجيء ببعثة الشاه ، وامامها من يحمل سيف الميت .. سيف من الذهب الخالص مرصع بالاحجار الكريمة .. وانتهى الدفن ، وتلفت أعضاء البعثة يريدون السيف ليحملوه الى ولد الفقيد .. فلم يجدوه ..

واضطر رجال الحاشية — وهم يعرفون — الى ان يمثلوا دون افراد العصابة .. ويتساءلوا مع السائلين : اين السيف ؟ ..

وانجحت الانتظار الى القصر ، وتوجهت اليه البعثة بالسؤال .. فجاء الرد : ان مولانا الملك احتفظ بالسيف فى حجرته الخاصة ، وسيبتهزون الفرصة لتذكير جلالته بالسيف وعرض الامر على مسامحة الكريمة ..

وعادت البعثة الى ايران .. وثار الشاه لهذه البرقة الوضيعة .. التى امتدت الى الاموات . واصر الشاه على ان يسترد السيف ، واتصلت المكاتبات .. حتى ضاق فاروق بالامر وقال : قولوا له اننى لم ار السيف ولم اسمع به ولا اعرف عنه شيئاً ! ..

وسرقة المرضى

كان يزور احمد احسان ، الامين الثالث فى قصره ، وهو مريض فى عوامته الانيقة .. وخرج الملك من حجرة نوم الرجل الذى يلهج بالدعاء المؤثر لهذا التفضل السامى .. ولاحظ فى طريق خروجه ان عوامة الامين حافلة بالتحف الثمينة .. فأشار الى خدمه ان يحملوها الى القصر ! ..

وقام الامين من فراش مرضه يطالب بالتحف ، ولا يرضى بها بديلاً .. واحرج الملك ، فاعاد التحف ، وطرد الامين ! ..

فهل بقيت جريمة مالية لم يرتكبها هذا الملك ؟ ..

نعم .. الرشوة ! وكان فاروق يأخذ الرشوة على مائدة القمار ...
فى اثناء حرب فلسطين ، اعتقلت الحكومة عدداً كبيراً من اثرياء اليهود ..

فكان يذهب مندوب الواحد منهم الى نادي السيارات، ويلعب الملك، ويخسر...
عشرة آلاف أو عشرين ألفا... وفي آخر السهرة يلتبس الأفراج عن الخواجة
فلان... فيصدر بذلك النطق السامي!..
والى نادي السيارات عرف كثيرون الطريق..
فانت تستطيع ان تخسر عشرة الاف جنيه.. وتصبح باشا مثل محمد
سلطان!..

وانت تستطيع ان تخسر عشرين ألفا، وتأخذ من الدولة اربعين ألفا، كما
فعل سمير بشارة.

وسمير بشارة تاجر ورد الى وزارة التموين صفقة من الصفيح واخذ الثمن
المتفق عليه... ٥٥٠٠٠ جنيه.. ولكنه عاد فقال ان الصفقة تستحق ١٠٠٠٠٠
جنيه.. فيجب ان يأخذ من وزارة التموين ٥٠٠٠٠ جنيه اخرى
وعرف سمير بشارة الطريق الى نادي السيارات، وخسر على مائدتها
ما تيسر... ثم عرض قضيته..

وبدا الناس يقرأون في الصحف اخبار نشاط خاص بيديه الياس اندراوس
في وزارة التموين.. والياس اندراوس مستشار الملك، فلا بد ان المسائل التي
يبحثها مع وزارة التموين خطيرة.. ويروى مندوبو الصحف ان الياس اندراوس
«باشا» خرج من مكتب الوزير متجهما مرة.. ومبتسما مرة.. ولكنه يضع على
وجهه دائما قناعا من الاهمية والخطورة..

وكانت مقابلات اندراوس كلها للضغط على وزارة التموين.. وارغامها على
صرف المبلغ لسمير بشارة..

واخيرا ضاق الملك ذرعا بمماطلة الوزراء.. وعقد اندراوس اجتماعا خطيرا
مع محمد هاشم وزير الداخلية في وزارة سرى الاخيرة.. واستدعى حسين
القمراوى وزير التموين.. وكانت ازمة الجيش في قمته.. ولم يتصور احد
ان الاجتماع يبحث مسألة سمير بشارة..

ولكن الايام لم تسعفهم... فقد طار الملك من عرشه، ودخل اندراوس
السجن!..

فهل عرفت الان وظيفة المستشار «الاقتصادي» لصاحب الجلالة!..
بقى ان تعرف وظيفة المستشار الصحفي، ومستشار السياسة الخارجية
... ولكن تلك قصة اخرى، سنرويها بعد حين.

شهرة النساء والقمار

في حياة فاروق منذ أصبح مراهقا .. فترة واحدة طاهرة .. تلك هي فترة خطبته للملكة السابقة فريدة والسنوات الاولى لزواجه منها ..



الملكة فريدة

وكان من حظ فريدة ان تلمح البوادر الاولى لتغير فاروق النهائي، ثم شهدت هذا التغير يتم بسرعة رهيبه .. ووقفت وحدها تدافع موجة الفسق والفساد .. تحاول ان تمنع زحف الوصيفات اللواتي تكرههن مثل ناهد رشاد وحرم كريم ثابت .. وحاشية السوء مثل بوللى ومحمد حسن وحلمى حسين .

ولم تستطع فريدة ان تصد الزحف، فقد كان على رأسه الملك نفسه . ولم تستطع ان تبقى اسيرة الفساد . فركلت التاج وخرجت مرفوعة الرأس .

وكان الشعب الذى حجبت عنه الرقابة كل الانباء يحس بكل شيء .. وكان غريبا ومثيرا حقا ان يعلن نبا طلاق فريدة .. فتنفجر المظاهرات فى جميع انحاء القطر مرة واحدة ، كأنها اندفعت كلها بزر كهربائى واحد . وسازت مدارس البنات تهتف فى اسبوط وفى المنيا والقاهرة وطنطا والاسكندرية هتافات واحدة :

— لا ملكة الا فريدة !

— حذاء فريدة فوق رأس فاروق !

— خرجت من بيت الدعارة الى بيت الطهارة !

هكذا فهم الناس الموقف .. واصبحوا ينظرون الى القصر الباهر المضي نظرتهم الى مكان مظلم ، دنس ، تفوح من جنباته رائحة الرذيلة والعار ! ..

وقد بدا الملك السابق يمارس «نشاطه» مع نساء محترمات .. محترمات فى حكم المجتمع ان لم يكن محترمات بحكم القوانين الاخلاقية . ولكنه كان يعامل رفيقاته معاملة مهينة ، ولا يحرص على ان يتكلف مع المرأة التى تبذل له كرامتها اى مظهر كريم .. واشتهر عنه ذلك حتى اصبحت كل واحدة

تنفر منه ، وتفر من وجهه ، فلم تبق امامه الا الكباريات ، وبالثبات الهوى الرقيقات !

ولم تكن المفامرة في مصر تكلفه مالا كثيرا . . اذ تغنيه سطوته كملك . وكان من الرجال والازواج من يعملون بحكمة مولير الساخرة . . التي اطلقها في احدى مسرحياته مخاطبا زوجا جاء يحتج على مشاركة الملك له في وزجه ، فصاح به :

« ليت شعري . . هل في مشاركة الارباب من عار ؟! . . »

اما في الخارج ، فقد كان يضطر الى دفع الكثير . . لان الغانية التي تباع الهوى في كان او دوفيل لن تفخر بانها صاحبت ملك مصر ، حتى يقنعها هذا الفخر عن الاجر . . كما قد تفعل في مصر غانية . . بدأت مجدها في شارع محمد علي ! وقد كتبت مجلة « ردار » الفرنسية مرة تتحدث عن التسعيرة الملكية فقالت « الهبت انباء قرب وصول فاروق الى دوفيل مخيلة الغانيات في المنطقة كلها . . وهن يذكرن ان الملك كان يدفع في العام الماضي ٥٠٠٠٠٠ فرنك لتلك التي تجالسه . . وانه يدفع ثلاثة ملايين فرنك (حوالي ٣٠٠٠ جنيه) لتلك التي تشرف برفقته حتى الصباح ! »

ولكن شهوة النساء سرعان ما اصبحت شيئا ثانويا بالنسبة له . . يوم عرف اراقة الوقت والمال على المائدة الخضراء . . فلم يلبث هذا الذي بدأ يلعب للتسلية والتجربة ، ان اصبحت مقامرا شرها لا يبرح مائدة القمار الا ليستريح قليلا ريثما يعود .



ناهة رشاد

واصبح نادي السيارات الملكي في شارع سليمان باشا كعبة القصاد . . واصبحت حجرة اللعب مكانا تخرج منه الاخيار ، والتنبؤات ، والاقوال الماثورة . . وكم شهدت الحجرة كرامة الرجال ، والوزراء ، والدستور ، وكرامة الدولة كلها . . تراق . .

كان الملك يلعب يوما ، حين حدثه محمد حسن الخادم الخاص بأن حركة تنقلات ضباط البوليس قد صدرت وانها قد نقلت من القاهرة الى الاقاليم ضباطا يجب اعادتهم . وكان الضباط

يجب اعادتهم لانهم تقربوا الى محمد حسن بالمال او الخدمات . وذكر الخادم مولاه بذلك وهو يلعب القمار ، بمناسبة وجود وكيل وزارة الداخلية في ذلك الوقت - مرتضى المراغي - في نادي السيارات .

واستدعى الملك الوكيل العام يسأله ، فقال انه لا يعلم شيئا ..
وامر الملك باحضار الوزير فورا .. ومعه كشف حركة التنقلات ..
وفي حجرة القمار ، واللاعبون متعلقون حول المائدة ، ودخان السيجار
متعقد .. دخل وزير الداخلية وقد « كس » الطربوش و « زرر » الجاكته ..
واخرج من جيبه كشف الحركة .. وخادم الملك يناقشه في بعض تفاصيلها ،
والملك يحسم المناقشة كل حين ينطق سام .. والحشالة من لاعبي القمار
جالسين يتفرجون ، على وزير الداخلية في موقفه المهين ! ..

ووزير الداخلية المذكور شخص ، في السياسة المصرية ، خطير ! ..
وكانه لم يقنع بأن يتحدى مصر .. فأراد أن يتحدى العالم ... فبدأ يشن
على أوروبا رحلات ماجنة .. يثبت فيها لنساء الغرب فحولاته ، ويصيح في
ساحات القمار : هل من مبارز ! ..

وافردت صحف العالم صفحات لاخباره .. ووجدت فيه بطلا فاق كل
مجان الارض من على خان الى قاطع الطريق جوليانو !
ولنبدا مع الملك السابق احدى رحلاته الى الخارج ...

فها هو اليخت يصل به الى كبرى . وها هي جريدة « الدبلي امرىكان »
تصف وصوله فتقول انه استاجر فندق « قيصر اغسطس » بأكمله ، ويتكون
من ١٥٠ حجرة ، اجرة المبيت فيها ١٢٠٠ جنيه عن الليلة الواحدة غير نفقات
الاقامة والاكل . اى أنه دفع في العشرين يوما ٢٤٠٠٠ جنيه للمبيت فقط !
وتستورد الجريدة قائلة : ان نزلاء الفندق قابلوا وصول جلالاته بالسخط
البالغ ، لان الادارة اخرجتهم من الفندق وافسدت عليهم عطلتهم استعدادا
لاستقبال صاحب الجلالة الذي اصر على ان يكون له الفندق كله
ولا يبقى الملك في كبرى اكثر من عشرين يوما ، يذهب بعدها على رأس
قافلة الفضيحة الى الريفييرا .. وتفرد مجلة « تايم » صفحات كاملة تصف
فيها يوما من ايام الملك السعيد .. فنقول :

في الساعة الرابعة بعد الظهر ، ينتبه جميع الراقدين على شاطئ الريفييرا
فقد نزل من الدور الثاني بفندق كارلتون عدد كبير من الخدم والحرس ،
ومعنى ذلك ان جلالاته قد استيقظ . وبعد قليل يظهر في شرفة الفندق رجل
بدين ، له رأس ضخمة وشارب منقوش ، ويلقى بجسده الذي يزن ٢٢٥ رطلا
على مقعد وثير .. ثم يطلب زجاجة كوكاكولا ! ولمدة خمسة عشر دقيقة ظل
الملك ساكنا لا ينطق بحرف ، ثم تقدم منه تابعه واعطاه جريدة ،لقى عليها
نظرة سريعة ثم القاهما على الارض . وبعد دقائق ينطلق في قافلة من سيارات
الكاديلاك الى احدى حفلات الكوكتيل .

وهكذا - كما تقول الجريدة - يبدأ يوم جديد من ايام فاروق .
وفي الساعة العاشرة ليلا يظهر صاحب الجلالة في صالة القمار ، ويجلس

الى المائدة التي لا يحدد فيها اللعب بمبلغ ما .. وقد فتح قميصه وظهر الشعر
الغزير في صدره ورقبته ، ويكفى بعد ذلك ان يشير باصبعه ليضع تابعه
امامه كوما من النقود ! فاذا كسب صاح « كسبتكم ! » وهو يزار بالضحك
العالى ، واذا خسر ضحك ايضا ! .. اما خارج الكازينو ، فالناس يتحدثون عن
« سوزيت » و « جانيت » وغيرهما ممن حصلن على هدايا ملكية ثمينة
وتصف مجلة « باراد » نفس المشهد فتقول : ان الملك السابق يقضى في
اوروبا اعظم شهر عسل عرفه القرن العشرون . وانه في كل ليلة ، بينما تمام
زوجته الصغيرة نوما هادئا في فندق كارلتون ، يكون منهما في لعب السكرانه
والروليت ، ويدفع الى المائدة الاف الدولارات وهو يقول ضاحكا : الناس
يقولون اننى اخسر ثروات كبيرة في اللعب .. ولكننى املك اكثر مما يتصورون
وتعقب المجلة بقولها ان الملك المقامر خسر خلال تسع ليال مبلغ ٣٠٠٠٠٠
دولار ، اما نفقائه على هذا النحو خلال ثلاثة شهور ، فهذا ما لا يمكن احصاؤه !
وقد اصبح مألوفاً في اوروبا منظر هذا الملك الذى لا يعنيه سوى قضاء اوقات
بهيجة يدفع ثمنها ملايين من التعماء في مصر !
وينتقل الملك الى دوفيل ، وتتسابق الدول في نشر اخباره ، وعناوينها تقطر
بالفضيحة .

جريدة « فرانس بريس » تحمل عنواناً مثيراً : فاروق ينتزع قصب السبق
في دوفيل ويخسر ١/٢ مليون فرنك في نصف ساعة !
وجريدة « فرانس سوار » تقول في صدرها : اسبوع عظيم يبدأ في دوفيل
نجمه الاول الملك فاروق .. عشرات من رجال البوليس السرى يحرسون
المجوهرات ..
وجريدة « بارى بريس » تقول : الف ليلة وليلة في دوفيل .. الملك فاروق
في الامباسادور بين البيجوم اغاخان ومدام كحيل ومدام كريم ثابت والاميرة
محمد سلطان !!
ولم يكن القمار كل شيء طبعاً .. فهناك النساء .. وفي ذلك تقول جريدة
« نيويورك هيرالد تريبيون » : ان الملك فاروق سهل المال بالنسبة للنساء ..
وثمة فتاة تدعى نانسى كوريمى اهتمت بها صحف نيويورك مدة طويلة لانها
كانت صديقة عزيزة له .. ويقال انه عندما ذهب الى قبرص اخيراً صاحب
معه ثلاث عشرة فتاة !

وتقول « بارى بريس » ان وصول ميمى ميدار ابنة احد الاثرياء الامريكان
الى بياريتز كان طبقاً لخطه موضوعه مع فاروق .. فقد رآها في دوفيل
وسألها : من اين هى ، فلما قالت له انها من امريكا اجاب : سوف اذهب اليها
يوماً ما ! وفي اليوم التالى تلقت ميمى باقة من الزهور .. وكانت هذه اللفتة
السامية سبباً كافياً لبث الذعر في اسرة الفتاة .. فأسرعوا بترك دوفيل ! ..

وتتشر « فران تيروز » نأياً بهم بعض النساء .. فلقد عرف أن فاروقا اشترى بعض المجوهرات الثمينة من محلات فان كليف ، ولكن لم يعرف بعد - كما تقول الجريدة - من ستكون المحظوظة : هل هي سامية جمال ؟ أم الراقصة سيرين اوجيمونا ؟ أم المغنية آنى برييه ؟ انه على كل حال يحمل المجوهرات في جيب سترته الايمن . ويقال ان « سونيا » عارضة الازياء في محلات كارفن ستكون هي الفائزة .

وفرائس سوار تؤكد ان آنى برييه هي مغنية الملك المفضلة ، وانها احبت موسما في مصر ، من اجله فقط ..

و « رادار » تقول : ان فاروقا له راقصة مفضلة ، تماما مثل الملك « هيروود » في التاريخ القديم .. اما « سالومي » الحديثة فاسمها سامية جمال . وقد شهدت دوفيل في ليلة من ليالى الشرق الساخنة سامية جمال ترقص حافية القدمين ، في ثوب مطرز بالفضة ، وقد ارسلت شعرها يصرخ في الهواء ! .. ويخطب مصطفى النحاس في مصر فيتوجه الى البقعة الطاهرة من اوروبا ، التى حل بها الملك الصالح ..

وينتهي الصيف ، ويعود موكب الفضيحة الى مصر .. ويصطف الوزراء والكبراء لتحية المقامر الشهير ، وتطلق المدافع ٢١ طلقة ، وتصدر الصحف وقد حلت صدرها بصورته ، وكتبت تقول : عاد الى ارض الوطن من رحلته الميمونة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم .. حفظه الله ذخرا لمصر !!

MIDO

الموت لخصوم

لعله لم يحدث ان اهتزت العدالة في مصر .. كما اهتزت في عهد فاروق . وسوف يتحدث التاريخ عن هذه الحقيقة الرهيبة بالتفصيل . ولعل فاروقا - اذا كان قد درس شيئا من التاريخ - لم يدرس الا دنائس الملوك وجرائمهم ، والطرق التي كانوا يتخلصون بها من خصومهم . ومن المؤكد انه كان يعجب بجده اسماعيل لانه اغتال وزير مالىته اسماعيل صديق المفتش ونجح في اخفاء جريمته . وكان يعجب بجده الاكبر محمد على لانه دبر مذبحة القلعة لاعدائه المماليك ونجح في تنفيذها . ولينا في ذلك محتاجين الى ان نحلل نفسيته ومزاجه ، وهو الذي روى عنه انه قال مرة : انه لا يحسد احدا في العالم الا حاكم جزيرة «كميران» الذي دعا وزراءه الى وليمة على ظهر باخرة ثم ربطهم في حجارة ثقيلة والقاهم في قاع البحر . فاستراح من الوزراء الى الابد !

وهذا الرجل الذي كان يستمتع بأقصى حرياته وامكانياته ، والذي تعود ان يرتكب كل انواع الجرائم بغير حيب .. ليس غريبا ان ينزل الى ارتكاب جريمة القتل . وهو الذي تعود ان لا يقف في وجهه انسان .. كان لا بد يضيق جدا ببعض الرجال ذوي الصلابة ، الذين لا يعرف منهم خلاصا نهائيا .. الا بقتلهم .

وقد عشنا في عصر فاروق نشهد نوعا فريدا من الجرائم العامة : فالمفروض ان القتل السياسي ينصب على الحكام والمسؤولين وذوى السلطة ، وان يكون القتلة من الشباب المعارض المتطرف ... وقد كان طبيعيا ان تقع حوادث اغتيال اسم دار وبطرس غالى واحمد ماهر والنقراشى ... وقد قتل هؤلاء جميعا وهم في السلطة . كما كانت محاولات اغتيال سعد سنة ١٩٢٤ واسماعيل صدقي سنة ١٩٣١ ومصطفى النحاس سنة ١٩٣٧ تقع كلها عليهم وهم في الحكم .

ولكننا في عهد فاروق راينا جرائم الاغتيال تقع على الزعماء الشعبيين وخصوم الملك وهم في المعارضة، مجردين من السلطة .. مثل اغتيال امين عثمان ومحاولة نسف بيت النحاس ثم محاولة اغتياله بالمدافع الرشاشة ثم اغتيال حسن البنا ..

او تقع على شخصيات عرفت بعداها للملك والحاكمين ، او احتكت به في مناسبة ما .. مثل رفيق الطرزي وعبد القادر طه وهذا وضع غير طبيعي على الاطلاق . ولا تفسير له الا ان الوضع قد انقلب

فأصبحت القوة الحاكمة هي التي تحل بالامن وترتكب جرائم الاغتيال ضد الافراد .

وكان طبيعيا بعد ذلك ان نعرف نوعا من نادرا من التحقيقات «المفتوحة» التحقيقات التي لايمكن ان تنتهى الى الحفظ لان حقائقها تصرخ بان الحفظ مستحيل . . ولايستطاع ان تنتهى الى الادانة الصريحة . . لان المدانين فوق القانون . . . وهكذا تظل «مفتوحة» عني ان يلحقها النسيان

ولسنا محتاجين الى كل هذا الاستنتاج وقد بدأت اعادة التحقيق جديا في هذه القضايا ، ووصلت الابحاث في اكثرها الى نتائج حاسمة . . . لولا ان التعرض لهذه النتائج بالتفصيل الصريح ، يعد مخالفا للقانون !
وبوم تصبح هذه الاتهامات قضايا، وتصبح احكاما . . . سوف تحتاج الى كتب مستقلة بها ، تروى صفحاتها الدامية !

MIDO

الحاجة والمستأون

قلنا ان تربية فاروق الاولى لم تكن تربية سليمة او طبيعية ... وقلنا ان الملك فؤادا بعقليته القديمة وطبيعة المستبد، لم يفكر في ان يجعل من ابنه ملكا ديمقراطيا ، بل كان همه ان ينشئه وله سطوته ، ورهيته ، واستبداده ... وهكذا وضع فاروق منذ طفولته في قفص من ذهب . في عالم غير حقيقى ، لاتعدى جدران اسوار القصور الملكية .. في القاهرة والاسكندرية . والى ان سافر فاروق الى انجلترا ، لم يحاول فؤاد ان يجعل له اصدقاء .. من امراء في سنه او فتيان من بعض الاسر ... ولم يحاول طبعاً ان يدخله في مدرسة عامة ، او يضعه في فرقة عسكرية ، او يرسله بحاراً في سفينة بحرية ، كما يفعل ملوك الانجليز مع اولادهم . ونشأ حتى هذه السن لايحيط به سوى الخدم والاغوات في القصر . والانسان - حتى ولو كان ملكاً - لابد له من صداقات ... فلم يكن ممكناً والحالة هذه ان يكون خدام فاروق خدماً ، بل اصبحوا له اصدقاء .

وانت لاشك تعرف - ايها القارى - شيئاً عن خدم القصور ... في جميع العصور . انهم ليسوا كالخدم الذين تعرفهم في بيتك وبيوت الاخرين .. فالخدام في بيتك لايقبل اهانتك ، لانه يستطيع ان يجد مخدوماً غيرك . ولكن خدم القصور يعرفون ان الامكانيات والفرص في القصر لا يوجد لها شبيه . فهم لابد ان يلتصقوا دائماً به ، ويعملوا على البقاء فيه باى ثمن .. وخدم القصور يحققون اغراضهم ويؤكدون تفوقهم .. بالتسابق في التذلل والزلفى ، وتحقيق رغبات السيد مهما تكن ، والدس والكذب والخديعة والختل .. وهؤلاء هم الذين صادقهم فاروق في اول حياته ، وتلك هى الصفات التى عرفها قبل اى شيء .

لم يعرف فاروق اذا صداقة الإكفاء ، واحترام الانداد ... ولكنه عرف احاطة الخدم به ، وتذللهم له ، واستجاباتهم الى اغرب مطالبه ، واحمق نزواته ولما اصبح احمد حسنين رائده ، ثم امينه الاول ، ثم رئيس ديوانه .. علمه ان من حقه ان يكون سيداً على الجميع ، مرغوباً ومرهوباً من كافة ... وان لايقف في سبيل ارادته ارادة .

وكان طبيعياً بعد ذلك ان يكون اصدقاءه كلهم من هذه الطعمة التى التفت حونه الى ان سقط . وكان طبيعياً ان يظل الى آخر ايامه على العرش لا يقرب اليه الا الحثالات ، ولا يرى الاشياء الا من خلال الفاسدين والدسائسين والمنافقين من طلاب الوصول ...

كريم ثابت



كان كريم ثابت صحفياً بالورثة ..
اشتهر بأنه نشأ في دار المقطم التي كانت
لسان دار الحماية والمندوب السامي
البريطاني ... كما اشتهر بعبقريته في
الكتابة عن الموضوعات التافهة ! وكانت
عزواته الصحفية الخالدة ان يعرف
اصناف الاكل التي يحبها ملك ايطاليا
ونوع السجائر التي يدخنها ملك افغان!
وفي سنة ١٩٢٧ .. وفاروق في
السابعة من عمره .. بدأت صلة كريم
ثابت «الروحية» به ! ...

كريم ثابت

فقد كتب كريم ثابت مقالا حماسيا

خطيرا بعنوان ضخيم يقول : نريد ان نرى الامير فاروق !! ..
وفي المقال قال ان الشعب يشكو من الشكوى ، لانه حتى الان لم ير صورة
للامير فاروق .. ولم ير الامير نفسه .. ولم يعرف بالدقة ماذا يأكل الامير ،
وكيف يلعب ، والى اي الهوايات يعيل ! ..

ولم يشر المقال غايته المرجوة .. وجاءت سنة ١٩٢٨ ... وكانت مصر
كلها في ثورة تطالب بدستورها المعطل . وفي غمار هذه الثورة استطاع كريم
ثابت في مقابلته مع شاهين باشا طبيب القصر ان يعرف بعض التفاصيل عن
الامير فاروق ... فأسرع ينشرها في مقال عريض ..

واستدعى الملك فؤاد شاهين باشا وزار في وجهه : انت قرأت مقال كريم
ثابت عن فاروق ..
وتحطت مقاصل الباشا وهو يرتجف خوفا وقال بصوت مرتعد : ليه ..
هوه وحش ؟ ..

فقال الملك : بالعكس .. ده كويس قوى ...
وتنفس الباشا الصعداء ، واسرع يقول : ده انا اعطيته المعلومات بامولانا ! ..
واصبح اسم كريم ثابت اسما قريبا الى قلب السراي
ومرت السنوات ، واصبح فاروق ملكا ، وكريم ثابت مازال يذرع الارض
جريا وراء معرفة امزجة الملوك وهواياتهم .. كانه كان يستعد لليوم العظيم ،
والرسالة الكبرى .. حين تصبح مهمته ارضاء مزاج الملك فاروق وهواياته !
وعلم كريم ثابت ان فاروقا وزوجته الملكة فريدة ذاهبان الى الاقصر لقضاء
بعض ايام الشتاء في فندق « كترأكت » ... فأسرع يشد رحاله الى نفس

الفندق ، طمعا في نصر صحفى ثمين .. كأن يكتشف كم بيضة يأكلها الملك في فطوره ! ...

وعثرت الملكة فريدة يوما بابنة كريم ثابت الطفلة ، فداعبتها ، وحملتها بين يديها .. وداعبها الملك .. وجاء كريم ثابت على رائحة الصيد ... فقدمه رجال الحاشية الى الملكة فريدة ، وقدمته الملكة فريدة الى فاروق ...
وكم ندمت الملكة فريدة فيما بعد على ذلك !

واستطاع كريم ثابت من تلك اللحظة ان يلزم مولاه . وبدأ نشاطه « العلني » باصدار كتاب عن الملك فاروق .. تجتري من الكلام عنه بنقل فهرسه كاملا . لترى - ايها القاريء - عبقرية كريم ثابت في نفاق مولاه ... وكيف استطاع ان يقدم سيده الجاهل الفاسق الى الناس في صورة العالم الديمقراطي الصالح.

الفهرس

الفصل الاول : كيف تشرفت بمعرفة الملك فاروق وهو يكشف عن ديمقراطية صاحبي الجلالة الملكية ويشرح الفرصة التي اتاحت للمؤلف في الاقصر شرف التعرف بجلالتيهما

الفصل الثاني : رحلات جلالاته الصحراوية - وهو يكشف عن سعي جلالة الملك الى المناطق من بلاده للتعرف عليها . وتكشف جلالاته وديمقراطيته واهتمامه بطبيعة الصحراء وما ينبت فيها

الفصل الثالث : كثرة معلومات جلالاته وحبه للاطلاع والقراءة - وهو يدور حول كثرة اطلاع جلالاته وحبه الكثير للقراءة . واهتمامه بكل ما ينمي معلوماته . ويشراء طوابع البريد ومجموعة المدايات والنقود . والحصول على كل ما يفيد مصر من الوجهة العلمية والتاريخية

الفصل الرابع : ديمقراطية جلالاته - وهو يبحث في جولات جلالاته وزياراته غير الرسمية - وغشيانه بعض الاندية بمفرده او مع احد رجال حاشيته وتبسطه في الجلوس والحديث بدون كلفة

الفصل الخامس : في غيرة جلالاته على الدين - يبحث في احترام جلالاته للدين وحرصه على التقاليد الدينية . وخروج جلالاته لصلاة الجمعة ونسجه على منوال جده الاكبر والمغفور له والده العظيم في التسامح الديني وعدم التفريق بين الاديان

الفصل السادس : في عطف جلالاته على الطبقات العاملة والصفيرة والمحرومة - وهو يبحث في حب جلالاته للفقراء منذ صغره وحبهم في كل المناسبات وخاصة في اعياد جلالاته وفي شهر رمضان . واهتمامه بأمر تموينهم

الفصل السابع : الملك الرياضي - وفيه يتحدث المؤلف عن روح جلالاته

الرياضية وحبه للرياضة وعناية القائمين بها وتكريمهم وأثر ذلك في النهضة الرياضية في البلاد

الفصل الثامن : فاروق المعتز بمصريته ، ومصر المعتزة به - وهو يدور حول حب جلالة الملك لبلاده واعتزازه بكل ما هو مصرى . والتفاف الشعب حول مليكه واعتزازه به .

وقرا الناس الكتاب الرائع وصاحوا : سبحان الله .. ما هذا بشرا !! .
وأصبح كريم ثابت من حاشية الملك . ثم أصبح له مستشارا صحفيا .
ثم جعله باشا ، وقبل سقوطه بأسبوعين جعله وزيرا !

وأصبحت مهمة كريم ثابت « العلنية » أن يسير خلف مولاه ، ليحصى مناقبه . ويسجل للتاريخ حسناته . وينشرها على الناس في كل حين !
ذهب الملك في رحلة الى الصحراء فكتب كريم ثابت : انه قام بالرحلة لكي يأخذ نماذج من الماء الذي يجري في الصحراء ومن الزراعات وطبقات الارض لكي يقوم بتحليلها في القاهرة ! . وقال ان السيارات تعطلت في أثناء الرحلة وتعطل جهاز اللاسلكى ، وعجز المهندسون عن الاصلاح . فأصلحها الملك .. الميكانيكى الاول !

وسافر الملك في رحلة ماجنة في البحر الاحمر ، فكتب كريم ثابت : انه سافر لكي يبحث عن الثروة المعدنية ويدرس الجزر الصحيرية ! . وقال « الذين تسرقوا بمرافقه جلالاته في اليخت الملكى رأوا انه اذا كان هناك رجل واحد لم يتمتع براحة ما في أثناء هذه النزهة فهذا الرجل هو الملك ! »

وضبط الملك مرة عائدا من سهرة ليلية في شوارع القاهرة . فكتب كريم ثابت بالنص : « كلما سمع الوقت لجلالاته خرج من القصر متنكرا ، وركب اول مركبة يصادقها في طريقه ، وطلب من سائقها ان ينطلق بها في الاحياء الوطنية . وهناك « يعكف على درس حالة الطبقات الفقيرة . هذه الطبقات الفقيرة التى لم تفنا تلقى من عطفه وبره ما يعجز البيان عن وصفه ! »

معقول طبعاً .. الم جسمه ابوه « الفاروق » تيمنا باسم عمر بن الخطاب !!
ودعى الملك لزيارة مطار « بانيفيلد » الأمريكى أثناء الحرب فكتب المستشار الصحفى يقول : انه أذهل الخبراء الأمريكان بعلمه في فن الطيران !
بل لقد قابل الملك يوما وزير المكسيك ، ثم باربوزا كارنيرو وزير البرازيل وكتب كريم ثابت يقول : خرج وزير البرازيل دهشا من كثرة معلومات جلالاته عن البرازيل ... وقال لى وزير المكسيك : لقد أذهلنى حديث الملك عن المكسيك فكانما عرفها وأقام بها

وسبحانه تعالى ... يؤتى العلم من يشاء !



الياس اندراوس

بدأ الياس اندراوس حياته سكرتيرا لمستركين بويد . وكان اخلاصه لهذا الانجليزى هو بداية المجد بالنسبة له . وظل كين بويد يصحبه وراءه اينما ذهب حتى أصبح رئيسا لمجلس ادارة شركة صباغى البيضا فعين الياس اندراوس فى احدى وظائفها . واخذ هذا الموظف المخلص لسيد الانجليزى - الذى كان ممثلا للاحتلال الانجليزى فى مصر حقبة من الزمن - اخذ يترقى حتى أصبح موظفا هاما .

ونشبت الحرب العالمية الثانية ،

واقترب الالمان من العلمين ، واضطر الانجليز فى مصر للفرار الى فلسطين او الى السودان . وترك الانجليز شركة صباغى البيضا فى عهد هذا المصرى جنسية ، الانجليزى قلبا . . . فأدارها بمهارة . . . وعادوا حين زال الخطر ليجدوها سليمة ، مزدهرة نامية .

وكان ثمن الاخلاص عضوية مجلس ادارة الشركة ، وشركات اخرى من التى تقع تحت طائلة النفوذ الانجليزى .

وعرف فاروقا على مائدة قمار . وكان بارعا لبقا فى الطريقة التى يخسر له بها ، وكأنه يخسر رغم انفه . وربطته هذه الصلة بالملك فأصبح مقربا عنده ، وأصبحت له عنده قيمة سياسية اخرى ترجع الى وثيق اتصاله بالانجليز . فهو يستطيع ان يكون احد عملائهم فى بلاط الملك ، ويستطيع ان يكون سفيرا للملك فى دوائر الانجليز .

وعينه الملك مستشارا اقتصاديا له . وقد عرفنا ماهية هذه الوظيفة وقد اصاب الياس اندراوس وكريم ثابت ثراء عريضا عن طريق اتصالهم بالملك . عين كريم ثابت مستشارا للاذاعة بمرتبة ٢٠٠٠ جنيه سنويا . وعين عضوا فى مجلس ادارة شركة قنال السويس مندوبا عن الحكومة المصرية بمرتبة ٥٠٠٠ جنيه سنويا . غير المنافع « السرية » التى كانت تعود عليه . كالخمسة آلاف جنيه التى اخذها من ميزانية مستشفى المواساة « للدعاية » والتى انكشف امرها فى تقرير لديوان المحاسبة ، وكانت محل معركة عنيفة فى مجلس الشيوخ .

وفتحت الشركات ابوابها لرجال الحاشية المقربين للملك ، وعلى رأسهم اكريم ثابت والياس اندراوس ، كطريقة وحيدة لحل مشاكلها وتنفيذ مآربها

فكنت ترى الحكومة مكفهرة الوجه ، هائجة مائجة تريد أن تعصف بشركة مياه الاسكندرية . ويجتمع مجلس ادارة الشركة ويقرر تعيين الياس اندراوس عضوا فيه . فنقلب سخط الحكومة الى رضى وثورتها الى هدوء وتتخذ مشاكل شركة السكر مع وزارة التموين ، ويلوح كان الحكومة تشدد في موقفها ، ويجتمع مجلس الادارة ويقرر تعيين كريم ثابت عضوا فيها . فيلين عود الحكومة ، ويسترخى حبلها المشدود

وهكذا .. حتى نشرت جريدة « المصري » مرة نيا تعيين الياس اندراوس في ثلاث شركات في يوم واحد . وتعيين كريم ثابت في شركتين في نفس الاسبوع ! ولم يخف مغزى النشر على احد . فتعيين واحد من هؤلاء في شركة ما ايدان بحق سوف يضيع على الشعب والحكومة . وربح حرام سوف يجنيه الذين لايشبعون من الارباح

وبعد هؤلاء تجد قائمة طويلة من افراد الحاشية .. اصدقاء الملك محمد حلمى حسين ، الذى كان « صولا » يقود سيارة الملك . وانجذب اليه الملك كعادته في الانحذاب الى البفلة من غير ذوى المبادئ ، وبحكم مزاولته له في المغامرة والجريمة ... فاصبح هذا السائق اثرا عند مولاه ، واصبح الكبار يتقربون اليه

وكان الملك مرة في نادى ضباط الجيش ، وكان عزيز المصرى يشغل مركز القيادة . وخرج عزيز المصرى يمر على حجرات النادى فوجد سائق الملك جالسا في احدى الحجرات وقد التف حوله الضباط وكبار الموظفين يضاحكونه ... وثار عزيز المصرى لهذا المنظر ونهر السائق ، وامره ان يذهب الى الخارج ويقف بجوار السيارة التى يقودها ...

وفي طريق العودة روى حلمى حسين للملك القصة ، فقال له: ضع على كتفك نجمتين :

واصبح ملازما اول . ثم تتابعت عليه الترقيات حتى اصبح اميرالايه ، كتفا لكتف مع ضباط الجيش القدامى . ثم اصبح الملك يرسله الى اوروبا في بعثات لشراء الاسلحة ... وكان الناس يعجبون كيف يرسله الملك في هذه المهمة الدقيقة الشريفة ، حتى عرفوا انها لم تكن مهمة شريفة ... فزال العجب !

بل وارسله مرة في وفد مصر الرسمى لتهنئة سوريا باستقلالها ، ليجلس هذا اللص بين شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية وبين سعد الله الجابرى رئيس الوزارة !

ثم محمد حسن .. النوبى الاسمر الانيق ، البارغ الذكاء ، الذى دخل القصر خادما بشرف على ثياب الملك ويخلع له حذاءه . فاصبح اثرا عند السيد ، مقربا اليه . واصبح يرجوه رجال الدولة وارباب الحاجات الكبيرة!

وليس أبلغ في الدلالة على نفوذ هذا الرجل من القصة التاريخية التي يرويها وزراء الوزارة الهلالية الثانية : فقد اجتمع الوزراء في بولكى يتدبرون الموقف الخطير الذي نجم عن حركة الجيش .. وحاول حافظ عفيفي ان يذهب الى القصر فوجده محاصرا وجاء الى بولكى منضما الى الوزراء ... وكانت الازمة في ابائها ، والملك نفسه في خطر . وامسك حافظ عفيفي بالتليفون ليتصل بالملك في قصر رأس التين فرد عليه محمد حسن . وعبثا حاول حافظ عفيفي ان يخاطب الملك شخصيا ، فقد كان محمد حسن يقول له : هائز منه ايه وأنا أقول له ؟.

ففي هذه الساعة الحرجة ، لا يستطيع رئيس ديوان الملك ان يتصل به مباشرة .. لان الملك يكتفى بأن يتلقى الكلام من خادمه محمد حسن ! . وظل محمد حسن على موقفه أزاء رئيس الديوان ، حتى أمسك اسماعيل شربين بالتليفون ، وصاح فيه ان يوصله بالملك ، فلما رد عليه الملك صاح فيه منفجرا : ياراجل عرشك في خطر .. وباعت لنا محمد حسن !! . ثم انطون بولكى ... الكهربائي

وبترو .. الحلاق ! .. والحالات التي كان منها جلساء الملك واصدقاء جده واهوه على السواء !

وقد استأثرت هذه الطغمة بصداقة الملك ومزاجه وثقته .. حتى أصبح كبار رجال القصر القدامى اغرابا في القصر . وكانوا لا يرون الملك الا نادرا ، ومن خلال هؤلاء الخدم ... وقد يحدث ما يسىء الى كرامتهم ، ولكنهم يسكتون

وقد كان ابراهيم عبد الهادي بعد خروجه من رئاسة الديوان يروي كثيرا من الصنفائر التي كانت تسيء اليه . والتي تدل على نوع حياة الملك ، ومدى اهتمامه بمستشاريه . من ذلك انه دخل على الملك السابق مرة ليعرض عليه بعض الاوراق .. فوجده جالسا مع كريم ثابت يتبادلان رواية النكت البديئة باللغة الفرنسية ويضحكان في عريضة . ولما رأى الملك السابق رئيس الديوان قال لكريم : قول النكتة تاني بالعربي علشان الباشا مايعرفش فرنساوى ...

فرد كريم : ولا عربي كمان !

وضج الاثنان بالضحك الشديد ... ورئيس الديوان واقف بقامته الطويلة ، والاوراق في يده .. لا يدري ماذا يصنع ؟

الدول الأجنبية أيضا

لم يقف فساد فاروق عند حدود مصر . ولم يقتصر على الاساءة الى كل مرفق وكل ركن وكل معنى كريم في البلاد . بل امتد الى خارج الحدود . . . يمزق علاقات مصر بالدول الاجنبية ، ويفسد صداقتها ، ويربك وضعها الدولي كله .

وقد رويانا قصة سرقة سيف شاه ايران الميت . . . وكانت هذه السرقة الوضيعة مصدر أزمة عنيفة وفتور طويل في علاقات مصر بايران ورويانا قصة سائق سيارته حلمى حسين في بعثة « الشرف » التى ذهبت تهنىء سوريا باستقلالها . وكان هذا التصرف مصدر احتجاج من حكومة سوريا ، وثورة من صحفها وهناك قصص أخرى . . .

فمنذ سنة تقريبا ، ملأت الصحف فجأة انباء أزمة حادة في العلاقات بين مصر واليونان . واستدعت الحكومة المصرية سفيرها عدلى اندراوس من اثينا . وعجب الناس لهذه الازمة بلا سبب . . . والتى تهدد علاقات مصر بشعب تربطه بنا صداقة طويلة وطيدة

ولكن الازمة كان لها سبب . . . وسبب غير مشرف . . . فقد ادلت الملكة فرديريكا بحديث نشرته مجلة « لايف » في انحاء العالم كله . . روت فيه انها كانت مع زوجها الملك في مصر ايام الحرب العالمية الاخيرة . وان الملك فاروقا غازلها مرة وحاول ان ينسيها واجباتها الزوجية فاضطرت الى ان تلقى عليه درسا قاسيا في مبادئ الاخلاق ، وفي أن من يخون رابطة الزوجية يكون حيوانا لا تربطه بالانسانية صلة !! والقصة صحيحة طبعاً . . والا لما تحدثت بها ملكة وسيدة وزوجة عن نفسها :

وكانت فضيحة اثارت اشمزاز العالم كله وغضب ملك مصر لكرامته . . . او غضبت حكومة مصر لكرامة الملك . . . وهددت بقطع العلاقات . . . واخيرا انتهت المسألة بان اصدرت الملكة فرديريكا تكذيبا للحديث . . على ان ينشر التكذيب في مصر فقط ! . وفي الصيف الماضي كان الملك في سويسرا . . . وذهب يوما للاستحمام في احدى البحيرات . ولما خلع ملابسه وهم بالقاء جسمه الضخم في الماء ، اقترب منه أحد المصورين والتقط له صورة . . . ولكن الملك استدار بعنف ، وهجم على المصور وانتزع منه آلة التصوير ، وتجمع حراس الملك وانهالوا

على المصور ضربا .. ولم يقبل المصور الذي نشأ في بلد حر ان يقتصب أحد منه آتته ولو كان ملكا . فذهب الى القضاء شاكيا ملك مصر بتهمة الاغتصاب ومطالبيا اياه برد آلة التصوير اليه . وحكمت المحكمة عليه فاعطته درسا قاسيا في احترام الحريات وقوانين البلاد السويسرية . وخرج الملك من سويسرا غاضبا ليلقى بنفسه في أول بحيرة ايطالية ! .. وصرح للصحفيين بقوله : اننى لن أطا بقدى ارض سويسرا مرة ثانية ! .. ولم تغضب سويسرا طبعاً لانه لن يعود اليها . . . بل غضبت لهذا التصريح الذى لا يليق صدوره من شخص ذى صفة رسمية رئيسية . . . وحملت عليه صحف سويسرا حملة هائلة !

وكانت آخر مأساه مع دولة الباكستان .. ووزير خارجيتها ظفر الله خان



ظفر الله خان

والسيد ظفر الله خان معروف بجراته وصراحته ، وقد كان مارا بالقاهرة في طريقه الى بلده . . . و « تشرف » بمقابلة الملك . وكان الرجل قد عاش في الخارج زمنا طويلا ، وقرا من قضايح فاروق ومهازله ما يسىء اليه والى مصر والى بلاد الشرق كلها . . . وقال الرجل لفاروق بلباقة مؤلمة : ان بلاد العالم الاسلامى الآن محط انظار العالم اجمع . وان اعداءها الكثيرين يتربصون بها ويحصون عليها الاخطاء . وان هذا الموقف يلزم رؤساء الدول الاسلامية

بأن يرمعوا في سلوكهم تقاليد الاسلام وان يتمسكوا بقواعده ، وان تكون حياتهم المستقيمة قدوة لشعوبهم ودعاية أمام العالم اجمع !! وفهم فاروق المقصود . فنهض واقفا .. وانهى المقابلة . . . وكتب الملك السابق غيظه وتقمته على الوزير الصريح . . . ويات يتربص به . ويتربص معه الشيخ مخلوف مفتى الديار المصرية . . او بالاحرى مفتى القصور الملكية .

وانتهز الشيخ مخلوف الفرصة ، وادلى بحديث عجيب : قال فيه ان ظفر الله خان من طائفة القاديانية ، وهى ملة كافرة . . . ولم يقف عند ذلك حتى يبقى غرض الحديث مستورا ، بل استطرد يقول : ان على حكومة الباكستان وهى حكومة اسلامية ان تطرد من وزارة خارجيتها هذا الوزير الكافر !! . لانه لايجب ان يبقى على راس دولة اسلامية وزير كافر ! . . .

وهكذا رد على قول ظفر الله خان انه لا يجب أن يبقى على رأس دولة اسلامية ملك فاسق !!!...

وثارت الصحف في مصر والباكستان تحمل على المفتي المدفوع . واقسم الهلالي - وكان رئيسا للوزارة - لعزلنه من منصبه جزاء دعوى ولكن الهلالي لم يلبث أن تبين الامر . وعرف أن الملك لا يقبل أبدا أن تمس شعرة من رأس مخلوف . . . هذه الرأس التي تخرج له الفتاوى والتحليلات !!!

والتصلون بسياسة مصر العربية ، والتيارات المحيطة بجامعة الدول العربية ، يعرفون الى أي حد كانت هذه التيارات تتأثر بأهواء الملك السابق وميوله الشخصية

وكانت مظاهر هذه الأهواء تبدو في صورة فتور مفاجيء في علاقات مصر « الرسمية » بدول عربية أخرى كالعراق مثلا . . رغم الصداقة الوطيدة ، والمصلحة المتحدة الراسخة بين الشعبين . ولم يكن ذلك الا لتحاسد متبادل بين الاسر المالكة هنا وهناك !. وكان فاروق يتقرب الى الملك عبد العزيز آل سعود ويزوره ويستزيره أغاظة للملك عبد الله في الاردن !. ولا ينسى الناس أن تدخل الملك السابق في السياسة العربية اثر في مستقبل شعب عربي تعيش . . هو شعب اليمن !.

فقد ثار شعب اليمن وقتل الامام يحيى . . واستولى ابن الوزير علي السلطة وفر ولي العهد - الامام احمد - الى تعز - معتصما بها من غضبة الشعب . وهلل الرأي العام في البلاد العربية كلها ، لا للدم الذي اريق ، ولكن للصفحة الجديدة التي بدأ شعب اليمن يفتحها . وتمنى الناس لشعب اليمن أن يحاول اللحاق بركب الحضارة

وبدا أن الجامعة العربية تؤيد الحركة الجديدة . وسافر أمينها العام فعلا لتسوية الامور ، والتفاهم مع العهد الجديد . ولكن رغبات فاروق وعبد العزيز آل سعود ادركته في الطريق فأوقفته . . ماذا ؟ . ان الملكين يرفضان تشجيع الثائرين بأي نحو . وبطالبان بضرورة اجلاس الامام احمد على العرش . لماذا ؟ . لانهما يريدان ان ظلما وظلاما يهيطنان بشعب ما اهن من ان تنزعزق قوائم العرش فيه او تقل هيئته . ولان هذه الراء الخطرة تنتقل بالعدوى !. . .

واجلس الامام احمد على عرش اليمن . . . وقطعت رؤوس الثائرين الاحرار بالفؤوس . وعلقت على الاعواد !!

حفيد الرسول !...

جلس نابليون مرة وقد بدأ عليه الحزن . وكان قد فرغ من فتح اوروبا

كلها . وسأله الناس فيم حزنه ، فقال :لقد جئت الى هذه الدنيا متأخرا ..
فلو اننى خلقت منذ ألف سنة لاستطعت ان ادعى الالهية وأن ازعم للناس
اننى ابن الله فيركع لى العالم اجمع ، اما الان فلو قلت انى سليل الالهة ..
لسخرت منى احقر بائعة سمك فى باريس !!.

ايكون هذا هو شعور الطفافة ؟... تعنو لهم الجباه ، وتدين لهم الدنيا،
فلا يقنعون ، وينظرون الى السماء !... .

ايكون هذا نفسه ما ساور فاروقا ، اذ وجد نفسه . منذ كان مراهقا
فى الثامنة عشرة قد اصبح طاغية على عشرين مليوناً ، وحاكماً مطلقاً واعنى
ملوك الارض .. يستطيع ان يسرق ويفسق ويقتل والملايين تقول : يحيا
الملك الصالح .. الظاهر العادل ..

كم من البشر وصلوا الى هذا المستوى ؟
ولماذا لا يصبح مقدسا بنحو ما ؟. لماذا لا يتصل بالنبي ... كسائر
الملوك والزعماء الذين يقلون عنه .. الملك عبد الله والملك ادريس السنوسى
والسيد عبد الرحمن المهدي ... وغيرهم ؟.

ويروى حسين الجندى ، الفتى الاول فى قصة النسب ، هذه المأساة
فيقول :

« سلمنى الملك السابق مذكرة فى هذا الموضوع فى مأدبة ملكية اقامها بقصر
بقصر عابدين يوم ٢١ يناير ١٩٥٢ ، وطلب منى امام النحاس باشا وسائر
الوزراء ان ابحتها بصفتي وزيراً للأوقاف . واستحيتى فؤاد سراج الدين
على ان اسرع فى تنفيذ رغبة الملك . فكلفت حجازيا معروفا وهو الاسياد
امين التميمي يبحث الموضوع . وبعد فترة قدم الى المستندات التى تمكن
من الوصول اليها فعرضتها بدورى على نقابة الاشراف التى اصدرت قرارها
المعروف !!»

وهكذا اراد فاروق ان يكون حفيدا للرسول .. بالامر
وارادت « المصرى » ان تسخر من هذه المهزلة ، فتحدثت عن تفاصيل
اكتشاف النسب ، وقالت ان حسين الجندى بعد ان عجز باحثو الوزارة
عن اثبات النسب ، عثر على شخص حجازى اسمه امين التميمي .. سبق
ان استدعاه الملك عبد العزيز آل سعود ليثبت له نسباً مشابها .. فكلفه
بأجراء هذا البحث !!.. .

اى عثر على محترف متخصص فى وصل الانساب !!..
ولكن فاروق اخطأ الحساب ... ولم يفهم كما فهم نابليون .. ان الزمن
قد تأخر .. وان بحثه عن القداسة والتشريف عن هذا الطريق المفتعل
يجعل احقر بائعة سمك فى القاهرة تضحك منه !.. ولم تنس شوارع المدن

المصرية بعد تلك الفكاهات الساخرة التي تداولتها الالسن تعليقاً على هذا النسب!...

وكان النسب أيضاً سخرية البلاد الأخرى... وفي العراق كتبت جريدة «صدى الأهالي» لسان الحزب الوطني الديمقراطي تهاجمه وتسخر به، وتقول إن فاروقاً إذا كان يريد بهذا النسب أن يكون خليفة على المسلمين... فمن شروط الخليفة أن لا يكون فاسقاً ولا فاجراً ولا ظالماً!...

واحتجت السفارة المصرية في العراق على المقال، وعطلت الحكومة العراقية الجريدة الكبيرة لمدة سنة، فأضافت إلى أسباب السخط بين العراقيين سبباً جديداً!...

MIDO

سوكب النفاق

عرفت مصر الكثير عن تقديس الملوك ، طيلة تاريخها منذ آلاف السنين !
عرفتهم آلهة يعبدون من دون الآلهة . . وعرفتهم يحفرون اسماءهم
على تمائيل الجرانيت ليخلدوا وتذهب اسماء الفنانين الذين ذاقوا مرارة
الخلق الفنى ونحت التمثال من الحجر . وعرفتهم يسوقون الآلاف ليقيموا
اهراما يدفن فيه فرعون ، او معبدا تقدم له فيه القرابين . . . وعرفت مصر
الى عهد قريب جدا . . وحين صار اسلاف فاروق ملوكا . . عرفت ان الحاكم
اسمه « ولى النعم » وان يقال له « مولانا » . . وان رئيس الوزراء اذا رفع الى
« المقام السامى » كتابا سمي نفسه فيه « الخادم » المطيع ! . . فلما سارت
المظاهرات فى شوارع القاهرة منذ سنة او يزيد ، تهتف أن : لا مولى الا الله ! .
فزع الحاكمون ، واسرع البوليس يقبض على الفتيان الكافرين . . الذين زعموا
ان لا مولى الا الله . . كأنهم لا يعرفون ان الله أصبح له فى آخر الزمان شريك !
ومنذ أصبح احمد حسنين رائدا لمولاه ، ثم أمينا له ، ثم رئيسا لديوانه . .
وهو يدرك ان التقدم الحديث قد سخر للملوك وسائل جديدة غير حفر الاسماء
على الجرانيت يخدعون بها الناس عن انفسهم . . وان أدوات الدعاية من ادب
وفن وصحافة واذاعة تبيع له ان ينشر تأثيرا واسعا . . وان يبرز ملكه الفاسق
الجاهل الطاغية فى الصورة التى يهواها .

وكانت هذه الخطة الواسعة التى بدأ حسنين يطبقها ذات اهداف بعيدة . .
هى اقناع الناس تدريجيا بان تتركز المسؤولية فى يد الملك شخصيا ، وان يكون
فى سطوته الغناء عن البرلمانات والوزارات المسؤولة ونصوص الدستور . .
وانت تلحظ هذه الغاية اذا قارنت بين استبداد فؤاد واستبداد فاروق .
كان فؤاد يستبد من خلال الآخرين . . من خلال وزراء يحركهم واحزاب
يصنعها - ولو مؤقتا كحزب الاتحاد وحزب الشعب - اما فى عهد فاروق فقد
تضاءلت مسئوليتهم ، واصبح فاروق يحكم مباشرة . . وياتى احزاب الاقلية
وبرلماناتها شيئا ثانويا كأدوات للطغيان فانت ترى مثلا برلمانا مثل البرلمان الذى
دام من سنة ١٩٣٧ الى ١٩٤٢ ، يتقلب على رئاسة الوزارة فى عهده محمد
محمود ثم على ماهر ثم حسن صبرى ثم حسين سرى . . وفيهم واحد فقط
غير محمد محمود يمثل حزب الاغلبية فى ذلك البرلمان . . والثلاثة الباقون من
غير ذوى الاحزاب - ولا صلة تربطهم بكراسى الرئاسة الا حظوة الملك . .
والبرلمان لا يعترض ، وحزب الاغلبية الذى طرد رئيسه لا يفضب ! ! . .
وبدأنا نسمع على عهد حسنين ان الملك غاضب لان الناس يهتفون لزعيم ما

ورأينا وزارة تقال لان لافتة طلبت ان « يعيش الملك ويحيا النحاس » معا ، وعلى السواء ... وقرانا مجلة معروفة الصلة بالقصر ، تهاجم رئيس الوزارة لانه لا يدعو للملك ويقدمه ويسبح بحمده كلما القى خطايا ... فتقول مبررة اقالة الوزارة :

« ... وقد لوحظ ان التحيات الموجهة الى الملك اخذت تتضاءل على لسان رفعتة (اى النحاس) بمرور الايام ، وانتهت بان القى خطابه في عيد الفطر المبارك قبل اقالة الوزارة دون ان يذكر الملك فاروقا بكلمة واحدة ، او يختم خطبته بالدعاء المعتاد ، بل انهاء بقوله « كل عام وانتم بخير » ... وهكذا طغى النحاس وتجبر ، وهكذا نسي ايسر قواعد الدوق والادب مع سيد البلاد ، وهكذا كانت حوادث « الجليطة » المستمرة ، المتكررة ، التى لا تنتهى واحدة الا لتبدأ « جليطة » ابشع منها !! »

واحزابنا تحب ان تحكم . ووزراؤنا يحبون ان لا يتركوا الحكم . وكبار موظفينا يريدون ان يرتقوا ... فاذا كان ثمن ذلك كله هو الزلفى ، والرياء ، والتحدث بالكذب ، وقول غير الحق ، والسير فى موكب النفاق ... فما أهون ذلك كله ! ...

وتدقق سيل النفاق ! ..

رئيس الوزارة - انا كان - لا يترك فرصة الا ويسبح بحمد الملك . فان كانت المناسبة وطنية فهو الوطنى الاول . وان كانت علمية فهو العالم الاول . والمناسبات كثيرة وتتكاثر باطراد ... فهناك عيد الميلاد وعيد الجلوس وعيد توليه سلطته الدستورية ، وذكرى نجاته من حادث القصاصين ... وهناك اسبوع اسماعيل واسبوع قواد واسبوع محمد على ... الى آخره ولا ننسح مناسبة من هذه المناسبات ، الا ويقبض رئيس الوزارة على الميكروفون ، ويهمس ضارعا : « مولاي » ثم يعضى متغزلا فيه ... متحدثا بفضله ، حديثا تكررته الاذاعة فى اليوم الواحد خمس مرات ، حتى ترغم من لا يريد السماع على ان يسمع قولا من هذا الطراز :

« سبحانك اللهم ما أعظم شأنك ، واعز سلطانك ، وأوضح برهانك ! آتيت فاروقا الملك والسداد فاصبح عرشه فى وادى النيل قبلة آمال المواطنين ومعدن رجائهم واطماعتهم ، وآية وحدتهم وكلمة اجماعهم . وقد ملكت قلوبنا سجاياه وشرفانا الطيب من رياه ! وآمال مصر بين يديه فى عزه الذى لا يرام ، وكتفه الذى لا يضام . لا زال ظله على الوطن مديدا ضافيا ، وتوره للبلاد مضيا هاديا ! »

والكلام والسجع للرئيس السابق - لا فض فوه - احمد نجيب الهلالي - وعلى هذا النوال بقيت احاديث الرسميين ... حتى ظن الناس يوما ان الوزراء والكبراء وشيوخ الازهر ومفتى الديار لا يعمل لهم الا التسبيح يفضلون

الملك ، والإشادة بفضله ، وتحليل حرامه ، وتزيين منكره بعمدة التقوى وسيحة الورع !

ولم يعد اسم الملك يحفر على التماثيل كالفرأنة . . . بل أصبح يدمغه في كل شيء . . . فأي مدرسة تفتح ، أو مبرة تقام ، أو طريق يشق ، أو مستشفى تنشأ . . . لابد أن تسمى باسم فاروق أولا ، ثم باسماء من يقول : . . . وقد تبين أخيرا أن المدارس فقط ، المسماة باسم فاروق وحده ، تلغ سنا وتسعين عدا .

وكانت هناك رغبة باهظة الثمن . . . كتلك التماثيل التي تقام تخليدا لذكرى أسلافه العظام من اسماعيل فنازل . . . والمساخر التي كانت تنفق ومن هذه المساخر ما حدث في تمثال فؤاد الذي كان مزمعا أقامته في ميدان عابدين . . . فقد تبين بعد أن تم صنعه أن يد التمثال اليعين قد نقص منها أصبع ، وبقي فيها أربع أصابع فحسب . . . وقال قوم فلنضع التمثال . . . ولن يرى أحد أن أصبعه ناقصة وهو على هذا الارتفاع . . . وقال الأكثر ولاء مستحيل ! . . . فأصبح الملك شيء خطير . . . وقال صانع التمثال أنه يأخذ لكي يصنع الأصبع الناقص ١٥٠٠ جنيه ! . . .

الاذاعة

والاذاعة هي مرفق الدولة المختص بالدعاية ، فكان لابد أن يصيها من هذا النفاق شر عظيم . . .

ودخل دار الأذاعة الشر في اعطاف كريم ثابت ، حين عُثوه مستشارا قنيا لها . وأصبح معروفا أن الوزراء يتغيرون ، والمديرين يتعاقبون ، وكريم ثابت لا يتغير . وعرف الموظفون أن من يريد أن يعبد ووزيرا أو مديرا فإن الوزير يزول . وأما من يعبد كريم ثابت . . . فإن كريم ثابت باق لا يزول ! . . . وأحدث الأذاعة تحول شيئا فشيئا إلى أداة ضخمة تسبح بحمد الفاروق على ثلاث موجات ! . . .

كانت أسرة الأخيار تذهب إلى علي خليل - مندوب كريم ثابت - قبل اذاعتها . ويكون فيها خير عن زيارة قام بها الملك السابق لرفق ما . . . فيصك الوكيل البمام بقلمه ويعطى يضع وراء كل مرة يرد فيها اسم الملك تعبيرا من نوع . . . حفظه الله . . . أبقاه الله . . . أعزه الله . . . ويتضاءل بالدعوات طول الخبر ! . . .

وكانت الأغاني والبرامج . . . بل والتواشيح ! تقدم إليه فيشر على مؤلفيها بأن يذكروا الملك بطريقة ما . . .

وقد حدث مرة أن كتبت مؤلفه اتية في حبيب اخذ حبيبة إلى حديقة ومضى يناجيها تحت حفيف الأشجار وضوء القمر . . . إلى آخره . وأشار علي خليل أن يحذف مثلا أن الأشجار كانت تعني ملك الوادي . . . أو شيئا من هذا

القبيل ، و اضافها المؤلف ، . وقال الحبيب لحبيته - في الاغنية - ان الاشجار تسبح بملك الوادي . . ولو اخذ حبيب حبيته الى خيمة ليحدثها في ضوء القمر عن فاروق . . ليصقت في وجهه !

وعرفت الاذاعة شيئاً اسمه البرامج الملكية . . والبرنامج الملكي مساحة كبيرة - كخريطة الحائط - من الورق الابيض الفاخر ، يكتب عليها خطاط بارع ، يكتب بخط « هماموني » او « فارسي » برنامج الاذاعة في اسبوع ! . .

وبترك على خليل مكتبه ويقول انه ذاهب يشتري « الشريط » . . ويلتزم المحلات بحثاً عن شريط حريري اخضر جميل ، يعود به ظافراً . ليربط به البرنامج الملكي . . وفي سيارة يمضي خلف كريم ثابت الى القصر ليسلم البرنامج الملكي الى خادم او تشريفاتي . . وتكرر القصة كل اسبوع ! . .

و كنت اعرف واحداً من الناس يحصى عدد المرات التي تسبح فيها الاذاعة باسم الملك في اليوم . . وكان يسجل كل مرة رقماً قياسياً . .

و كنت اعرف آخر يقول : لم يبق الا ان نسمع المذيع في الصباح يقول : الشيخ محمد رفعت يقرأ عليكم - في ظل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم - سورة البقرة ! .

.. والصحافة !

وقد نجد للوزراء ، والموظفين ، والاذاعة علماً . . . ولكن . اي عذر نسوقه دفاعاً عن اصحاب الصحف . .

لم تكن نطلب من الصحف ان تقاوم الملك ، بل كان يكفيها منها ان لا تبالغ في تمجيده . كان يكفي ان تقول الجريدة في عيد ميلاده مثلاً : انه عيد سعيد ، وان تدعو له بطول العمر ، وتنتهي المسألة . . ولكنها كانت تتسابق في تدبيج المقالات الطوال عن عبقرياته وامجاداته واصلاحاته ! . .

و كنت تجد اصابع خستين في قصص كثيرة تكتبها الصحف . . وكان خستين متغفلاً ينكر القصة للصحيفة ، ويختار الاغنية لام كلثوم ، والنكتة لنجيب الريحاني ! .

اقرا معي :

« رايت الملك وهو يسير في اخدازقة قرية ، ويدق بيده باب بيت فلم يجد احداً ، فانتظر الملك قليلاً وقال : لعل اصحابه مرضي !

ولكن الباب لم يفتح فقال الجيران : ان اصحاب البيت تركوه رغم مرضهم ليحبوا الملك ، فقال لهم جلالاته : سلموا لي عليهم !

لم راينا جلالاته وهو يطرق باب بيت آخر ، ففتحت صاحبة البيت بابها فحياتها الملك ، وقال لها « انا فلورق ! » جئت اسال عنكم واسالكم ان كنتم تريدون شيئاً . . فرفعت صاحبة الدار يدها المرتعشة دعاء وشكراً . فقال

لها جلالة وهو يحنو عليها : اطلبى مانثائين .. فقالت : أريد ان اقبل يدك .
قصافحها جلالة .

وخرج الملك من اكواخ القرية وقد انقلب هذوؤها التامل الى مظاهر
حماسية دوت فيها الهتافات والزغاريد وقرع الطبول والكل ينادى :
- فاروق .. فاروق .. ربنا يخلي لنا فاروق ..

وعندما ركب جلالة قطار الديزل الخاص من المحطة لم يكن يتحدث عن هذا
الاستقبال العظيم ، ولا عن الحماسة المنقطعة النظير ، ولا عن الحب الفياض
الذي كنا نراه في عيون الرجال والنساء والاطفال .. ولكن كان جلالة ساهما ،
وقد جلس وحده يفكر ، وأسند رأسه الى يده ..

كان الملك يفكر في هؤلاء المرضى المساكين ، هؤلاء الفقراء المحرومين ، هؤلاء
الجوع المنبوذين ، الذين كانوا يهتفون بحياة منقذ الصعيد ..

وشعرنا عندئذ بان الملك يريد ان يفعل شيئا لهؤلاء البؤساء .. ولكن
أحدا منا لم يعرف ماذا ينوي أن يفعل الملك !!

ولا تضحك - ايها القارىء - فقد كنت تقرا هذا الكلام !

بل ان كاتبنا كبيرا مثل العقاد ، أمسك قلمه « الجبار » مرة ليكتب :
« اننى لم أسعد من قبل بفرصة كهذه الفرصة الواسعة لاستجداء طلعة
المليك عن كذب والاصفاء الى جلالة على انفراد ، في جو لا مثيل له بين أجواء
اللقاء والحديث ، لانه جو الملك والديمقراطية ممثلين في شخصه الكريم
اجمل تمثيل ، مجتمعين في سماعه وكلماته وارشاداته احسن اجتماع

» لقد سمعت في هذا الحديث الواحد كلام فيلسوف وكلام وطني غيور
وكلام محدث ظريف . وطاف بخاطري ذكر الايمان وذكر الوطن وذكر الملك
وذكر المعاش الذي يشغل قلوب ابناء الحياة . طاف بخاطري اجل مايطوف
بالخواطر من امور الدنيا والدين !

ومع ذلك ، فهذا « الفيلسوف الورع » الذي وصفه العقاد ، وجدوا في
مخدعه بعد خلعه كتابا واحدا .. يعرفه ارباب « الفرز » والليالى الحمراء ..
اسمه : رجوع الشيخ الى صباه ! ..

فهل حجب كل هذا الضباب عن الناس شيئا من حقيقة هذا الملك الضليل ؟
كلا ... فان هذه الملايين المؤمنة الصابرة ، المريضة الجاهلة ، كانت
تعرف الحقيقة .. وكل الحقيقة ! ..

وكان بينها احرار رفضوا السير في موكب النفاق ... وتقدموا كجنود
المقدمة يقتحمون الشقة الحرام ... يهزون هذا الملك على عرشه ، ويحصبون
التاج الزائف على رأسه ...

الأعرار يزحفون!

أيها الميتمون، انقشروا! أفت أقيم في بيوتكم
أما أنكم عتقوا أنفسكم؟ لا لكم ولا لكم!
توسان

الصفحة الدامية

في يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وعند منتصف الليل .. أعلنت الحكومة المصرية ان الجيش سيدخل فلسطين لتأديب عصابات اليهود ، وحفظ عروبة القطر الشقيق .

واهتز الناس للنبا حماسة ... ومضوا يشجعون الجيش الداهب بكل ما في نفوسهم من حرارة ونخوة وآمال عراض ... واندفع الجنود الى الارض المقدسة يحملون ارواحهم قبل اسلحتهم ، لصد الغزو اليهودي ، وما وراءه من انجليز وامريكان واستعمار

رجل واحد كان ينظر الى خريطة القتال نظرة المقامر . ويتسم ابتسامة اللاعب المستمتع بلعبته : هو فاروق . وكان في المغامرة جانب مضمون له ... اذا لم يتحقق النصر العسكري .. ذلك هو الربح المادي . فقد كانت حرب فلسطين فرصة قريذة لعقد صفقة هائلة .. اكبر صفقة في تاريخ هذا التاجر غير الشريف . ولم يكلفه ثمنها اول الامر غير بضعة آلاف من الارواح .. رخيصة عليه ... ولكنها كلفتة آخر الامر عرشه نفسه .

وانى لاقلب صفحات تاريخنا الحديث ، فلاجد فترة اختفت فيها المسؤولية الوزارية ، وانطمست حدود الدستور ، واصبح فيها الملك حاكما مباشرا ... الى الحد الذي تحقق في فترة حرب فلسطين ، على يد وزارة من الاقليات ، يرأسها محمود فهمى النقراشي .

كانت الساعة حرجة جدا . ومصر في حرب خارج حدودها لاول مرة منذ عهد الوالى سعيد . والشهداء يتساقطون كل يوم بالمئات ، والخزائن العامة تصب اموالها في جيوب التجار ... ومع ذلك فقد رضيت الوزارة في هذه الساعة الحرجة جدا ، ان تترك كل شيء للملك ... الملك الذى يعرفونه طائشا جاهلا نصابا !

وهذا هو معنى الوزارة التى لاتستند الى ارادة الشعب .. فتلوذ بارادة الملك ! وكانت الوزارة اول الامر تعارض في دخول حرب فلسطين . واعلن النقراشي في جلسة سرية لمجلس النواب ان فلسطين لن يدخلها الا متطوعون . وكان هذا الراى يستند الى تقارير الضباط انفسهم ، والقادة الذين سيحملون المسؤولية ، والذين قالت تقاريرهم ببساطة : ان الجيش غير مستعد .

ولكن اوامر فاروق صدرت بفتح فلسطين . ودعك من السذاجة السياسية التى انطوت على هذا التصرف .. وتأمل المقامرة بكيان جيش غير مستعد .



في السجون ، والتحقيقات بلا مسجلات ، فلم يكن ممكناً أن يصعد أحد من
الأسلحة القاسدة ، وقصائح حملة فلسطين ، قبل أن يسقط إبراهيم عبد الهادي
وتلقى الأحكام العرفية ، وتطلى الحريات .

MIDO

مكتبتنا

WWW.MANVETMID.COM

بيت الكتب



قضية الاسلحة الفاسدة

الحرية هي انهم ما يجب ان نحرص عليه .
دائما ، يجب ان نذكر هذه الحقيقة . وامامنا هذا الدرس العظيم : فان
السين اللتين اطلقت فيهما الحريات (١٩٥٠ و ١٩٥١) ، هما اللتان اتاحنا
للأحرار ان يتحركوا . . وان بعثوا الراي العام بقصا لسارقيه . وسخطا
على غاصبيه . . . وفي هاتين السنتين اتجه الهجوم الرئيسي - لأول مرة - الى
الملك رأسا بوصفه المجرم الاول ، الذي تعيش في ظل جريمته الكبرى سائر
الجرائم . . . ولم تكن حركة الجيش الا نتيجة منطقية لكفاح الأحرار في هاتين
السينتين المضيئتين .
وكان لابد ان تصدى بعض الأحرار لهذه المهمة الصعبة . . .



محمود محمد محمود

وبدأت المهمة في مكتب رئيس ديوان
المحاسبة ، محمود محمد محمود .
وشهد هذا المكتب وسطاء يحاولون
اقناع رئيس الديوان ان يحذف من
تقريره فضائح حرب فلسطين ، لانها
تمس الملك شخصيا . وشهد المكتب
رئيس الديوان وهو يابى ، ثم يجمع
اوراقه ، ويستقبل .

استقال محمود محمد محمود ولكنه
سكت . وثشم الناس رائحة الفضيحة
ولكنهم لم يدركوا كل جوانبها . وكان
لابد من لسان فصيح يتكلم عن رئيس
الديوان الساكت ، ويضع النقط الاولى فوق الجروف . . .

وتقدم مصطفى مرعي . . والخطر يحف به . والناس ينظرون اليه وكأنهم
ينظرون الى مجنون تراهن ان يقبض على الحمر . ودارت حوله الوساطات
ثم التهديدات . واقتربت ساعة الأسنحواب ، ووقف مصطفى مرعي يتكلم
في صمت بمجلس الشيوخ ، فاذا به يقول ما لم تسمعه القاعة الوقور قط .
ويشير باصبعه الى المجرمين الذين كانت العيون ترهب ان تشير اليها بالنظرات
ووقف سراج الدين ومصطفى نصرت يدافعان عن المتهمين الكبار . ويتلقيان
الأوساح في وجهيهما حتى لا تذهب الى المجرم الأكبر الذي يقف خلفهما . . .

وخرج مصطفى مرعي من مجلس الشيوخ كما خرج محمود محمد محمود من ديوان المحاسبة . . .

وبدا ان القضية انتهت . وان دماء الشهداء لن تجدد بعد اليوم من يتحدث عنها . ولكن الواقع النابضة بالدم كانت تصرخ انها ماتزال حية . وكان لابد من ان يتقدم محارب ثالث يلتقط الكرة التي سقطت من يد محمود محمد محمود ، ومصطفى مرعي ، ويدخل بها الى الهدف .

وتقدم احسان عبد القدوس .

ولم يكن في تقدمه يركن الى عمل سطحي مأمون العاقبة مثل محمود محمد محمود . ولم تكن تحميه مثل مصطفى مرعي حصانة الشيخ ، والقوانين التي تحمي كلامه تحت قبة البرلمان . بل كان يحارب في العراق . . وهو يزحف الى هذا الحصن الهائل ، المدجج بسلاح القوانين ، المحتشد بجند المناقبين ، وليس في يده سلاح غير قلعه . . ومجلته « روز اليوسف » . . .

ويروي احسان عبد القدوس قصة اتهامه بقضية الاسلحة الفاسدة فيقول:



« في يوليو سنة ١٩٤٩ كنت في إيطاليا وسمعت هناك عدة احاديث عن صفقات الاسلحة التي عقدها مندوبو الجيش المصري ووكلاؤه ، وكانت هذه الاحاديث تشمل تفاصيل دقيقة وتشمل ارقاماً وتواريخ ، وكان يهمل بها في اذنى رجال اتق في معلوماتهم بحكم مناصبهم الرسمية ، ورغم ذلك فقد كانت مجرد احاديث ، قد يقال في صالون ولكنها لا تصلح للنشر لانه يعوزها المستندات والادلة .

مصطفى مرعي

وهالتي بعد ذلك ان هذه الاحاديث

لا تدور في اوساط محددة ، بل انها تدور في كل مكان وعلى لسان كل انسان . وكان يكفي ان تجلس في مقهى « الدونية » بروما او تطفو في ميدان « الدوم » في نابولي ، ويعرف عنك انك مصري ، حتى تسمع قصة صفقة من صفقات الاسلحة والدخائر .

وارسيت من روما برفقة الي « روز اليوسف » الفت نظر الحكومة المصرية الى هذه الاحاديث التي تؤدي سمعة مصر وسبحة جيشها . واطالها باجراء تحقيق في هذه الصفقات ومحاكمة المسؤولين عنها ، وقد نشرت هذه البرقية تحت عنوان « محاكمة مجرعي حرب فلسطين »

واعتقدت بذلك انى قد اديت واجبى .. وانتهيت !
وعدت الى مصر فى شهر اغسطس، فتبينت انى كنت مفرروا عندما اعتقدت
ان برقية واحدة تكفى كى تحرك الحكومة المصرية بجلالة قدرها ، للتحقيق فى
حادث ما ، حتى ولو كان هذا الحادث يمس سمعة مصر وكرامتها وهيبتها
فبدات اكتب فى كل مكان استطيع ان اكتب فيه ، وكنت اكتب تلميحاً لا
تصريحاً ، واحرص على ذكر « الجيوش العربية » بدلا من تحديد الجيش
المصرى بالذات .. ولكن كان قلعى اضعف من ان يلفت نظر احد من المسؤولين
رغم كثرة خطابات التأييد التى كنت القاها من غير المسؤولين
ولم يهتم بى احد ، ولم يصدر بلاغ بتكذيب ما لمحت اليه فى مقالاتى ، رغم
ان بعض هذا التلميح كان اقرب الى التصريح ..

الى ان انتهى الاستاذ محمود محمد محمود رئيس ديوان المحاسبة السابق
من وضع تقريره ، وأشار فيه الى بعض صفقات الاسلحة والدخائر ، اشارة
صريحة مدعومة بالوثائق والمستندات .

ولكن تقرير الديوان لم ينته الى التحقيق مع المتهمين ، واخراجهم من
مناصبهم - على اقل تقدير - بل انتهى بخروج رئيس الديوان واضع التقرير
فقد طلب منه ان يحذف من تقريره ما جاء خاصا بصفقات الجيش فأبت عليه
كرامته ، وفضل ان يستقيل .

وهنا تبينت ان الذين يقفون وراء هذه الصفقات اقوى مما كنت اعتقد ،
واقوى من ان ينتصر عليهم قلم ، بل اقوى من الراى العام
لم تضع استقالة رئيس ديوان المحاسبة هباء ، فقد حمل العبء عنه
مصطفى مرعى بك ، وحمله فى قوة ، وفى جراءة لم يكن يقدم عليها انسان الا
كمصطفى مرعى .

وانى لاذكر حديثا دار بينى وبين مصطفى مرعى قبل ان يقف وقفه
فى مجلس الشيوخ بعدة اسابيع ، قال لى فيه « انى ليس لدى ما أخشى عليه ،
ولكنك لا تستطيع ان تتصور مدى ما يستطيع هؤلاء الناس ان يرتكبوه فى
حق الناس ، ومدى ما يلزمنا من قوة النفس كى نتحمل ونقاوم ونتقدم »
ووقف بعدها فى مجلس الشيوخ يقلب صفحات تقرير ديوان المحاسبة ،
ويطالب بحق مصر فى صيانة أموالها وكرامتها وسمعتها ، وأرواح جنودها
وضابطيها .

ثم اذا حدث .. .

حدث ما .. يتوقعه أحد .. فقد قامت الحكومة ممثلة فى قواد سرج الدين
تدافع عن التصرفات السوداء التى أوردتها ديوان المحاسبة فى تقريره رغم
انها غير مسئولة عنها ولم تقع فى عهدها .
وكما انتهى تقرير ديوان المحاسبة بخروج رئيس الديوان، انتهى استجواب

مصطفى مرعى بخروجه من مجلس الشيوخ
وكان يمكن أن ينتهى الأمر عند هذا الحد ..
فالسلطة التنفيذية لم تتحرك لاتخاذ اجراء حاسم لتحقيق صفقات
الاسلحة والذخائر .

والسلطة التشريعية لم تجبر السلطة التنفيذية على اتخاذ هذا الاجراء
وبقيت سلطة واحدة ، هى كل ما بقى لمصر من أمل ...
السلطة القضائية .

ولكن كيف يثار موضوع هذه الصفقات أمام السلطة القضائية ؟
لم يكن هناك الا طريق واحد ، هو أن اقدم نفسى للقضاء متهما فى قضية
نشر خاصة بهذا الموضوع !
وهمت بالكتابة

ولكن ماذا اكتب ، ولم يكن تحت يدى - حتى ذلك الحين - مستند واحد
استطيع ان اعتمد عليه وأن اقدمه للقضاء اثباتا لحسن نيتى ؟
ثم كان يجب ان اكتب عن صفقات غير التى اوردها ديوان المحاسبة فى
تقريره ، وأثارها مصطفى مرعى فى مجلس الشيوخ ، حتى لا يرد على بان ما
اكتبه سبق ان اثير واتخذ قرار بشأنه ، وبذلك احرم من تقديمى للقضاء .
وكنت اعلم ان هناك صفقات لم تثر بعد ، ولكن لم يكن لدى دليل عليها
وبدأت اعمل فى جمع الادلة والمستندات

وفصلت ان اعمل وحدى بعيدا عن اجواء السياسة ورجالها ، بل بعيدا
عن كل صاحب نفوذ أو صاحب اسم معروف
وكان على أن أتأكد من أن كل كلمة اسجلها هى كلمة نظيفة ، وكل ورقة
أضع يدى عليها هى ورقة موثوق بها .

وكان يعمل معى شبان فاضلت بهم حماسهم ، وامتلأت صدورهم غيرة
على جيشهم ونحروا من كل مطعم الا أن يؤمنوا بمستقبل مصر ، وبظهورها
حاضرها .

وكنا نجتمع بطريقة خاصة ، ونصل احدا بالآخر بطريقة خاصة ، أشبه
بما كنا نقرأه ونحن صغار فى القصص البوليسية .

وكنا نبحث عن مستندات صفقة شراء ١٦ مدفع عن طريق شركة أورليكن
عند ما وقع فى بنا عقد شركة بين زوجة احد الضباط وتاجر اسلحة ...
اما كيف وقع هذا العقد فى يدى ، فهى قصة ، الفضل فيها للحظ وحده
فقد اتصل بين أحد أصدقائى الشبان ، وأبلغنى بنا وجود مثل هذا العقد ،
كما سلمنى ورقة كتبت عليها نصوص العقد بالقلم الرصاص ، وبخط انسان
لا أعرفه ، وسد ما عرفته اقسمت أن لا أبوح باسمه .

وكان الخبر مشرقا ...



المصري افندى : اوامر الشعب خلفا در . . الى الامام سر
عن روز اليوسف ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠

فان العادة لم تجر بان تاجر زوجات الضباط بالسلاح ، بل لو تاجرت اى امرأة بالسلاح لكان الخبر مثيرا ، حتى لو لم تكن زوجة أحد الضباط .
وزاد في أهمية الخبر ان الضابط الزوج كان صديقا لابراهيم المسيرى بك رئيس لجنة الاحتياجات التى تتولى عقد صفقات الاسلحة ، وكان اركان حرب سلاح المهندسين ، فاذا كانت زوجته تاجر بالاسلحة وهو يتولى هذه المناصب الدقيقة المتصلة بصفقات الجيش ، فلا بد ان وراء هذا العقد شيئا .

ولكنى لم اهتم بالبحث عما وراء العقد ، بل حرصت همى كله فى الحصول على العقد نفسه ، لانه وحده دليل على ان المشرفين على عقد صفقات الجيش والمتصلين بهم ليسوا فوق مستوى التبهات . ثم هو دليل يثبت حسن نيتى امام المحاكم مهما قلت بعد ذلك ومهما وجهت من اتهامات !!

وقلت لصديقى الذى حمل الى خبر هذا العقد اننى لا استطيع ان اشر شيئا عنه ، الا اذا حصلت على العقد نفسه ، لان نشره هو توجيه تهمة خطيرة محددة يعاقب عليها القانون ، الا اذا استطعت اثباتها ، ودليل الاثبات لا يمكن ان يقوم الا ببراز العقد نفسه

وقال الصديق ان هناك اربعة فقط فى مصر كلها يعلمون خبر هذا العقد ، وهم طرفاه ، والشخص الذى نقل نصوصه بالقلم الرصاص ، وهو ...
وقد أصبحوا خمسة بعد ان عرفت انا به

اما طرفاه فليس من مصلحتهما نشر العقد واثارة ضجة حوله ، فكلاهما متهم به ، اما الشخص الاخر فقد يملك صورة من العقد ولكنه لا يريد ان يبرزها .

وذهبنا الى هذا الشخص الاخر ، وكنا خمسة من الشبان ، وكان تجمعنا بعضنا مع بعض يكفى ليخيف اى انسان ، ولكننا لم نحاول ان نخيف احدا ، انما استطعنا ان نقنع الشخص المذكور ، بان من مصلحة القضية الوطنية ان يسلمنا صورة العقد .

وفى صباح اليوم التالى سلمها لنا ، وكانت صورة فوتوغرافية واضحة ..
وبقى سؤال :

كيف استطاع هذا الشخص ان يحصل على هذه الصورة قبل ان يسلمها لنا ؟ ... وهو سؤال حير النائب العام ، ولم يجد امامه تعليلا الا بان يعتقد انى قد حصلت على هذا العقد من تاجر السلاح الذى هو طرف فيه . وهو ما اعتقدته ايضا حرم الضابط ، واعلنته امام النيابة ، فقد اعتقدت ان الخلاف الذى وقع بين زوجها وبين تاجر السلاح ، دعا هذا الاخير ، الى التشهير به عن طريقى ...

وقيل ايضا انى اشتريت هذا العقد من تاجر السلاح بمبلغ مائتى جنيه وعند ما سئلت فى التحقيق عن المصدر الذى حصلت منه على هذا العقد،

رفضت الاجابة ، محتجا بسر المهنة الذي يصونه لى القانون ،
والحقيقية التى ابى أن يصدقها الجميع ، هى انى لم اتق بتاجر الاسلحة
الا بعد أن حصلت على هذا العقد فعلا ، وقد سعت الى لقائه لاتأكد من
صحة العقد وقد أكدها لى ، وقال ان هذا العقد كتب فى قهوة « بالميرا »
بمصر الجديدة ، وقد كتب بخط الضابط نفسه لا بخط زوجته ، ثم حمله
الى الضابط - الى بيته ، وعاد موقعا عليه من زوجته

ولم اهتم بالعمليات التى ترتبت على هذا العقد ، بل اعتبرت العقد فى حد
ذاته واقعة خطيرة ، ثم اهتمت بمظاهر الثراء التى تحيط بالضابط ، وكان
قد بلغنى انه عضو فى نادى السيارات وأنه يشترك هناك فى لعبة «الباكاراه» .
فاتصلت بحفى محمود باعتباره عضوا فى النادى ، فاكد لى الواقعة ،
ثم جمعت شهودا آخرين على أن هذا الضابط كان يشتغل فى مكتب ابراهيم
خيرى وكيل وزارة الدفاع الاسبق ، واحد رجال الشركات الان ، ثم
اشتغل فى مكتب احد موردي السلاح للجيش المصرى وشريك الاميرالى
حلمى حسين مدير الركائب الملكية ، وفى شركة دلتا موتورز »

وادرك احسان عبد القدوس انه قد وضع يده على اول الخيط ، واصبح
يقف على ارض راسخة من الحقائق الرهيبة

وفى ٦ يونيو ، صدرت «روز اليوسف» تحمل اول مقالات احسان عبد
القدوس التاريخية . يقول فى صدرها :

كان استجواب الاستاذ مصطفى مرعى بك عن اسباب استقالة رئيس ديوان
المحاسبة السابق ، شهادة مجد وفخار لضباط وجنود الجيش المصرى .



احسان عبد القدوس

فقد اثبت المستجوب ان هؤلاء الضباط
والجنود لم تهزمهم جراءة العدو وحنكته ،
انما هزمتهم جراءة موردي السلاح والذخيرة
الذين تعاملت معهم وزارة الدفاع الوطنى

واذكر اننى سالت المرحوم القائمقام
احمد عبد العزيز قائد الكوماندوس فى
حرب فلسطين عن اليوم الذى لا ينساه
من ايام القتال ، فاجابنى والدموع تملأ
عينيه : انى لا استطيع ان انسى يوم كان
الباشجاويش يطلق مدفعه على مواقع
العدو وقد وقف من حوله «طاقم» المدفع
من الجنود . فاذا باحدى القنابل تنفجر

الى الورا فتحطم المدفع ، وتقتل الباشجاويش وجميع رجاله ، فيخرون
صرعى فوق حطام المدفع ، وابتسامة الاستشهاد تضىء وجوههم ..
وقد سبق ان اشرت أكثر من مرة الى ان حديث صفقات الاسلحة التى
عقدت فى ايطاليا لم يعد سرا ، وانه حديث تستطيع ان تسمعه فى كل شارع
من شوارع روما و نابولي وميلان .

واشرت الى ان هناك مندوبا خاصا لايزال يقيم فى ايطاليا . واكتفى بان اقول
ان اسمه « امين » . يستطيع ان يتحدث طويلا عن هذه الصفقات التى
كان اليهود انفسهم يحاولون بيعها الى الجيش المصرى ليحاربهم بها !! واشرت
الى ان هذا المندوب الخاص قاسى الامرين وهو يحاول ان يؤدى واجبه بصدق
وامانة .. ولم يقاس ما قاساه من عملاء دولة اسرائيل ، بل من عملاء مصر
الذين يشترون السلاح باسمها ، والذين كان كل منهم يستتر على الآخر، وكل
منهم يدافع عن الآخر فى الاتم .

وسبق أن صرحت على صفحات هذه المجلة وعلى صفحات مجلات اخرى،
مطالباً باجراء تحقيق سريع لنقد سمعة مصر ، التى أصبح معروفا فى جميع
انحاء العالم انها دولة مغلقة ، واصبحت اداتها الحكومية شعارا للرشوة وفساد
الخلق والذمم .

وقلت انى لا يستطيع ان اذكر اسماء لانه ليس لى مستندات ، ولكنى
اعرف ان احد ضباط الجيش اصبح يمتلك قصرا فى جزيرة كبرى - مصيف
اصحاب الملايين - يدعو اليه كل عام شخصيات مصرية كبيرة للجمع بالجمال
والراحة والهدوء على حساب شهداء فلسطين الذين قتلهم الرصاص المفسوش ،
وعلى حساب الشعب المصرى الكريم الذى ابترزت امواله باسم العروبة
والنهامه .

ثم ناشدت معالى الوزير ان يدعو اليه هذا الضابط وبأله من اين لك هذا؟
وان تراجع حسابات جميع الضباط والمتعهدين فى البنوك المحلية والاجنبية
لعله - على الاقل - يجد مجالا للشك .

الى ان تولى مصطفى مرعى شرح استجوابه ، فاخرج من تقرير رئيس
ديوان المحاسبة السابق مستندات دامغة تثبت التلاعب الخطير الذى
حدث فى شراء هذه الصفقات، وتثبت انها كانت تتم مع علم رجال وزارة الدفاع
بما فيها من تلاعب ، ومع علمهم بانها اسلحة مفسوشة ، ومع علمهم ان هذه
الاسلحة المفسوشة ستوضع فى يد جنود وضباط مصريين ليحاربوا بها ، فى
حين انها لاتصلح لا للحرب ولا للدفاع عن النفس !!

ورغم ذلك فقد حاول معانى وزير الدفاع ان يدافع عن هذه الصفقات ..
لم ينتظر معاليه حتى يجرى بنفسه تحقيقا دقيقا ..



اين العدالة : المصري الفندى : ياترى تمثال العدالة يبقى مين في دول !!
عن روز اليوسف ٢٩ مايو سنة ١٩٥١

ولم يسمح معاليه بان يترك في نفسه حتى مجالا للشك وسوء الظن الذي يدل على حسن الفطنة !

بل اعد دفاعا، او اعد له دفاع، قام يلقيه في مجلس الشيوخ ، وعندما رفض المجلس ان يستمع اليه ، لان الوثائق كانت اقوى من ان تحتل دفاعا ، نشر معاليه هذا الدفاع في الصحف .

وتولى معالي الاستاذ فؤاد سراج الدين الدفاع باسم الحكومة ، فبدأ كلامه في مجلس الشيوخ منشدا معجبا بسحرياته قائلا « لم تر هذه القاعة استجابا انتحل فيه المتهم صفة المدعى ، وصفق المطعون فيها للطاعن ، وهش المضروب فيه لجلاده ، كما وقع في هذا الاستجواب »

ويريد معاليه ان يقول ان الاتهامات التي وردت في الاستجواب وقعت كلها في عهد الحكومات السابقة لا في عهد حكومة الوفد .

وهذا صحيح ، ان المتهم هي الحكومات السابقة ، والذي يوجه الاتهام كان وزيرا من وزراء هذه الحكومات ، فهو يعترف ولا يتهم .

اذن ، لماذا تحمس معالي سراج الدين كل هذا الحماس الذي كاد يفقده اعصابه في الدفاع عن الاتهامات التي وردت في تقرير رئيس الديوان ؟

هل كان يدافع عن السعديين والدستوريين ووزراء السعديين والدستوريين ومن عاونهم في حكوماتهم ؟

وما هذا الحب المفقود الذي تحرك فجأة في قلب سراج الدين ، وكفعه لان يدافع عن فضائح وقعت في عهد حكومات غير وفدية ؟

ولماذا لم يؤيد هذه الاتهامات حتى يدمغ حكم الاقليات بفضيحة لا تمحي مدى الدهر ، وهو ما يدعوه اليه واجبه وتعصبه الحزبي ؟

ان هناك سرا ...

وهو سر ليس في حاجة لان يعصح عنه فؤاد سراج الدين ، لانه سر مفضوح!!

وبعد فان الراى العام كله يؤمن بان هناك جريمة وطنية قد وقعت ، وكل

جريمة لابد لها من فاعل ..

فاين الفاعل ؟

اين المجرم ؟

ان كل ضابط وجندى - واقولها صريحة - لم يعد يطمئن بعد ماسمعه في

قاعة مجلس الشيوخ الى سلاحه وذخيرته .. وعندما يفقد الجندى ثقته

بسلاحه ، يفقد ثقته بنفسه ويفقد روح القتال .. ويضيع مستقبل مصر!! ولن

يستعيد الجندى المصرى ثقته بسلاحه وب نفسه الا اذا اطمأن الى ان الحكومة

جادة في تحقيق اتهامات ديوان المحاسبة - وهو الرقيب الاعلى في الدولة -

واطمأن الى ان وزارة الدفاع قد طهرت وطهر المتعاملون منها من كل شائبة

ومن كل شك ..

واتقوا الله في مصر ، وفي جنود مصر وضباط مصر ... »
وفي المقال الثاني روى قصة دفن الاستجواب ، وتخاذه رجال المعارضة
والحكم على السواء :

« اعدم الاستجواب في غيبة ولي امره مصطفى مرعي ، وحرم على اهله
وانصاره الاحتفال بتشييع جنازته ، واكتفى محمود محمد محمود بأن يذرف
دمعتين صامتتين ترحما عليه .. دون أن يرفع صوته بالنحيب ..
ولا يمكن أن تكون الحكومة وحدها هي المسؤولة عن اعدام هذا الاستجواب،
انما يشترك معها في المسؤولية - الى حد كبير - رجال المعارضة ..
فقد كانت المعارضة خلال المناقشة قوية الحجة دائما، وكانت سيدة الموقف،
وكانت الاغلبية في جانبها . كانت تستطيع ان تنقد الاستجواب من احواله على
لجنة الشئون الدستورية ، ولكن يظهر ان المعارضة وجدت نفسها قد تورطت
اكثر من اللازم ، وان الحبال الطويلة التي مدتها تكاد تلف حول عنقها ، وان
الطريق قد اصبح شائكا ، وان الواقفين على الابواب قوم عتاه زرق الانياب ،
لا يأخذ منهم مثل هذا الاستجواب بقدر ما يأخذ من المستجوب واتصار
المستجوب مؤيديه ..

شعرت المعارضة بذلك ، فتلقفت اقتراح احالة الاستجواب على لجنة
الشئون الدستورية كأنه حلقة النجاة .. وسبحت به الى شاطئ الامان دون
ان تنقد الفريق .. مكتفية بأن تبلل ثيابها بالماء !! »

وهكذا مضت اخطر حملة صحفية عرفت في مصر في تاريخها الحديث ..
وتتابعت مقالات احسان عبد القدوس تروى قصة الخيانة بالمستندات ،
وتشير الى اللصوص الكبار باوضح ما تسمح به القوانين .. وكان احسان
عبد القدوس يعلم جيدا انه يقرع بمقالاته باب السجن . وان هذا الباب سيفتح
حتما .. ليستقبل اللصوص ، او يستقبله هو نفسه !

وسرت المقالات بين الناس كالكهرباء ، وكان الناس يبيتون ليلة الاثنين من
كل اسبوعين ينتظرون صدور « روزاليوسف » في الصباح ويتسمعون دوى
الانفجارات التي تنبعث من صفحاتها .

ولم يكن ممكنا ان تتجاهل الحكومة القضية هذه المرة .. وازاء هذا
الاصرار . لم يكن ممكنا ان تزعم الحكومة انها لا تقرا « روزاليوسف » وانها لم
تعرف بهذه الجرائم الرهيبة ، والادلة الصارخة ، والاسماء الضخمة اللامعة .
وتحرك وزير الحربية فكتب خطابا الى النائب العام للتحقيق في هذه المقالات
.. « احقاقا للحق » .. وبدأ النائب العام - محمد عزمي - التحقيق وفي
ذهنه ان هذه الحملة باطلة ، وان قضية الاسلحة الفاسدة ستنفجر هذه المرة
في وجه صاحب الحملة .. ولكنه لم يلبث ان وجد ان كل ما قالته روزاليوسف
صحيح ..

ومرة ثانية ، يروي احسان عبد القدوس ، كيف بدأ التحقيق :

« قدمت النيابة القضية بقرار اتهام يشمل وقائع اربعة :

١ - واقعة شراء ١٦ مدفع ١٠٥ م.م عن طريق شركة اورليكن

٢ - واقعة شراء حوالي ٢٥٠ الف قبيلة يدوية عن طريق شركة

« كستروسيولي ميكانيكا »

٣ - واقعة شراء المركب لوتشيا التي سميت الفرقة

٤ - واقعة تعاقد زوجة احد الضباط مع موردي السلاح ..

وهذه الوقائع الاربعة هي التي

قدمتها « روزاليوسف » الى النيابة

العامة لتحقيق مع المسؤولين ...



محمد عزمي

ورغم ان النيابة اثبتت صحة جميع

الوقائع التي تقدمت بها - فاني اعترف

واقرا اني عندما وقفت امام النائب العام

لاول مرة لم اكن اعتقد انه سيستم

في التحقيق الى نهايته او ان الظروف

ستمكنه من ذلك، ومع انه كان يستمع

الى اقوالى كشاهد فاني كنت اخشى ان

يعبرنى متبهما بين كل لحظة واخرى .

وكانت التهمة التي يمكن ان يوجهها الى

تهمة خطيرة بالنسبة الى سمعة كاتب مثلى ومستقبله . وهي تهمة «التشهير

بالجيش » ...

وكان لي عذري في هذا الشك الذي يداخلني وانا اقف امام النائب العام ،

فان هذه الجرائم التي اعرضها عليه سبق ان اكتشف مثلها ديوان المحاسبة

ولم يستطع ان ينال المسؤولين عنها ، وسبق ان سمعت الحكومة بها فلم تتحرك

اتحقيقها ، وسبق ان اثير مثلها في مجلس الشيوخ فلم يستطع حيالها شيئا .

والنيابة العامة التي اقف امامها هي جزء من السلطة التنفيذية - كما قررت

محكمة النقض - وهي تخضع احيانا للتيارات السياسية والحكومية . .

وجميع هذه التيارات تقف ضدي . وتهددني في حريتي ومستقبلي ، فمن

يضمن لي السلامة ؟!

كان هذا هو شعوري في اليوم الاول الذي ادليت فيه بشهادتي ، ولذلك

كنت حريصا كل الحرص على اختيار كل لفظ انطق به ، وعلى الا اوجه اتهاما

الا وتحت يدي مستند قاطع بصحته ، بل حرصت وانا اسلم هذه المستندات



المصري افندي للمداينة : انت بتجري ورا حد . ولا حد بتجري وراكي !!
 من روز اليوسف ه ديسمبر سنة ١٩٥١

الى النائب العام ان اوقع عليها بامضائى وان اطلب منه ان يوقع عليها بامضائه
زيادة في الحرص .

وقد اثار هذا الحرص النائب العام و « شخط » في مرة صائحا :
- انت عامل جريء ، وعامل نفسك وطنى متطرف ، وبتتحدى ناس كبار ،
ما تورينا جراتك دى !

واجبت في هدوء : اتى جريء في حدود القانون !
ثم قلت له في صراحة : من يضمن لى الا تجعل منى متهما وثقبض على ؟
فاجاب : لا احد . . وساقبض عليك بمجرد ان ارى ذلك ! . .

وكنت في احوال كثيرة ارفض ان اجيب على بعض الاسئلة ، الا بعد
استشارة اصدقائى المحامين الذين يشاركوننى سوء الظن ، وكانوا عندما اعود
اليهم ينصحوننى الا اجيب الا في حدود ما بين يدي من مستندات . وهذا
الحرص الذى ابديته جعل النائب العام يعاملنى معاملة خشنة ، فلم يسمح لى
بشرب القهوة طول مدة الادلاء بشهادتى التى استمرت ثلاثة ايام ، وكان يسمح
لى بالتدخين بعد رجاء والحاح ، وبعد ان اهدد بالتوقف عن الادلاء باقوالى . .
وفى اليوم الاول كنت متعبا . فقد غادرت القاهرة فى قطار الصباح . ولم
اكن قد نمت فى الليلة السابقة لكثرة تفكيرى فى هذا التحقيق . ثم اتى بدات
ادلى باقوالى من الساعة العاشرة صباحا حتى الرابعة مساء دون ان استريح ،
ودون ان اشرب قهوة ودون ان اغفو او اريح راسى من التعبه اليقظ لكل
سؤال وجواب ، وبدات احس بدوار ، فطلبت من النائب العام ان يريحنى
وان يؤجل التحقيق لليوم التالى ، ولكنه رفض وقال بحدة :

- ان اتركك تغادر هذا المكتب حتى تتم اقوالك ولو اقتضى الامر ان تبست
هنا ، وما ادرانى ؟ ربما قتلت بعد ان تخرج من هنا فكيف اتم التحقيق ؟

قلت ، وعلى فمى ابتسامة متعبة : التحقيق فى مقتلى ، او فى صفقات الجيش ؟
- ان مقتلك يحققه اى وكيل نيابة ، اما انا فيهمنى تحقيق هذه الادعاءات
وكان اطول نقاش دار بينى وبين النائب العام هذا النقاش الخاص بالنيل
عباس حليم وكيل شركة اورليكن فى مصر التى تولت توريد ١٦ مدفعا من
اسبانيا بمبلغ قدره خمسة ملايين من الدولارات تقريبا .

وكنت قد تبعت هذه الصفقة من اولها الى آخرها ، اى منذ ان تقدمت
الشركة بعطائها الى ان وصلت بعض هذه المدافع الى مصر . وحصلت على
اسماء جميع المتصلين بها ، واسماء جميع الضباط الذين علموا شيئا عنها
واسماء اعضاء اللجان التى اختبرتها ، بل حصلت على تاريخ حياة كل مدفع
والمكان الذى وضع فيه ، والمرات التى طلب فيها تجربته ، ورفض
المختصون اجراء هذه التجربة خوفا على حياتهم منه .

وقدتمت كل هذه المعلومات الى النائب العام ، وقدتمت معها الصورة الاصلية للعقد الذى اشتريت به هذه المدافع والمذكرة التى اشتريت على اساسها والمذكرة التى قدمتها شركة «بوفرز» وكان المسئولون فى الوزارة قد اخفوها حتى لاتقع فى ايدي المحققين .



وقد لايعلم النائب العام ان هذه الاوراق – رغم علمى بمحتوياتها – لم تصلنى الا فى صباح اليوم الذى سافرت فيه من القاهرة الى الاسكندرية لادلى بشهادتى ، كما لم يلاحظ الاستاذ عبدالغنى ابوسمره المحامى الذى تفضل وسافر معى ليقف بجانبى ان هناك شخصا طويل القامة احتك بى فى محطة مصر ودس فى يدي مجموعة من الاوراق .. كانت هى هذه الاوراق ..

وقد وضعت هذه الاوراق فى حقيبتي ولم اخرجها الا فى مكتب النائب العام ، وقد فوجئت ساعتها بوجود توقيع توفيق احمد وكيل وزارة الحرية على العقد !
وسالنى النائب العام (وانا اكتب من الذاكرة) :
– ماهى معلوماتك عن النبيل عباس حليم فى هذه الصفقة ؟
– انه وكيل شركة اورليكن فى مصر
– وما هو الدور الذى قام به فى توريد هذه الصفقة ؟
– لا ادري !

– ماهى مسئوليته ؟
– ان النبيل نفسه يستطيع ان يحدد مسئوليته !
– لقد ذكرت فى مقالائك اسم النبيل عباس حليم تحت عنوان « النبيل الشريف » فماذا تقصد بهذا العنوان ؟
– ان عباس حليم يحمل لقب نبيل لانه احد افراد العائلة المالكة ، وقد سبق للوفد المصرى ان اطلق عليه لقب « شريف » عندما حرم من لقب نبيل فى عهد الملك فؤاد
– ولكن العادة لم تجر بالجمع بين لقبى النبيل والشريف فماذا تقصد بالجمع بينهما !
– اقصد المعنى الظاهر منهما !

— يفهم من هذا العنوان أنك تتهم النبيل عباس حليم في نزاهته ؟
واستمرت المناقشة على هذا النوال ، وكان النائب العام يحتد خلالها ،
ويحرص على ان يلقينى بلقب «الافندى» !

وانتهى الامر بينى وبين النائب العام ، على ان ادلى بما لدى من معلومات
تنقصها المستندات ، ثم يتولى سعادته تحقيقها ، حتى اذا تأكد من صحتها
ذكرتها على لسانى فى التحقيق .

وقلت له وقائع كثيرة ، وكان يتولى التحرى عنها فى التو واللحظة . وبدأت
اثق به واطمئن اليه .

وكان اول ماكتبته فى الصحف بعد ان انتهيت من الادلاء بشهادتى هو نداء
الى الجمهور بان يرسل مالىديه من معلومات عن صفقات الجيش الى النائب
العام ، ولو فى بلاغ من مجهول .
ومضت اسابيع ..

وكنت فى زيارة صديق يقيم فى احد الفنادق الكبرى ، عندما التقيت فى
البهو الخارجى بسيدة مصرية معروفة ، حادثتنى مليا عن قضية الجيش ،
ثم قدمتني الى رجل انجليزى من رجال الاعمال ، قلت لى عنه ان لديه معلومات
هامّة عن احدى صفقات سلاح البحرية .

وقال الرجل الانجليزى انه لا يريد ان يتدخل فى هذه القضية او يذكر
اسمه فيها ، ولكنه سمع عنى ، وسمع عن مدى اهتمامى بامر هذه الصفقات ،
ثم ان مصر قد اكرمته كثيرا ، واقل مايستطيع ان يرد به كرمها هو ان يدلى
بما لديه من معلومات خطيرة عن صفقة تمت على حساب مصالح الجيش
ومصالح مصر .

والتقينا فى اليوم التالى على مائدة شاي فى مكان بعيد ، وكانت معنا السيدة
المصرية المعروفة .

وبدا يحدثنى عن صفقة شراء ناقلة الزيت «لوتشيا» التى اشتراها السلاح
البحرى الملكى واطلق عليها اسم الفرقة .

وقال ان هذه المركب هرضها احد التجار واسمه «الكابتن حسن عزو»
على السلاح البحرى بمبلغ ٢٢ الف جنيه تقريبا . ورفض السلاح البحرى
شراءها بحجة انه ليس فى حاجة اليها . وبعد ثلاثة اشهر اشترى السلاح
البحرى هذه المركب بالذات بمبلغ ٣٦ الف جنيه تقريبا . هذا فى حين ان
الثمن الاصلى لايزيد على ١٦ الف جنيه !!

وسلمنى الرجل الانجليزى المستندات الخاصة بالمكاتبات بين التاجر
حسن عزو والسلاح البحرى الملكى ، وكانت مستندات لاتقبل الشك .
واستغرقت هذه التحريات اربعة اسابيع ، توجهت بعدها الى النيابة

العامة وسلمت هذه الأوراق الى الاستاذ مختار قطب الذي يتولى التحقيق في صفقات البحرية ، وعندما اطلع عليها في مكتب النائب العام شد على يدي مهتبا ، فقد كان يبحث بنفسه عن اسرار هذه الصفقة !

وثبت الواقعة . واتهم بها امير البحار وياور الملك احمد بدر ! « وسار محمد عزمي في التحقيق ، وكل جريمة تسوقه الى جريمة حتى وجد نفسه وجها لوجه .. امام الملك . وبدأت المناورات المعروفة لاجراجه واخراجيه ، ولطى التحقيق وتحويله عن المجرمين الحقيقيين ، وكانت «روز اليوسف» تقف على باب غرفة التحقيق كالديدبان . تنبه الى المخاطر . وتندر بفضح المناورات ، وتزعزع حصانات المسؤولين ! ..

وكانت اروع مساعداتها للتحقيق - غير تقديم المتهمين وجمع الادلة والمستندات - حين رأى النائب العام ضرورة عزل محمد حيدر من منصب القائد العام . ورفض الملك . وتخاذلت الوزارة .. فبدأ احسان عبدالقدوس حملته على محمد حيدر في سلسلة من المقالات النارية .. وكان كل مقال يصدر ركتا من اركان القائد العام ، ويكشف عن عورة ، وينسف وهما .. وكان احسان يدعو حيدر في نهاية كل مقال الى ان لا يبقى سبعة ايام اخرى حتى لايقرا المقال التالي ...

ومع المقال الرابع ، خرج حيدر !

وقدم بعض المتهمين الى المحاكمة ، التي مازالت منظورة . واضطر النائب العام الى حفظ التحقيق بالنسبة للمتهمين اللاصقين بفاروق ، والذين كانت جرائمهم لحساب فاروق .. مثل بوللى وجهلان وحلمى حسين ... وعاد الملك بمحو آثار الجريمة ، فاعاد حيدر .. واعاد عثمان المهدي .. ولكنه لم يكن يمحو شيئا ، بل كان يضع الرماد فوق النار .

وظلت النار تشتعل ، والجريمة تتوهج خلف الرماد .. حتى يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، اذ قبض الجيش على المتهمين ... وبدأ التحقيق من جديد . وهكذا كانت قصة الاسلحة الفاسدة اول ضربة قاصمة توجه الى الملك ، وتزعزع عرشه .

مركبة الصحافة

لم تقف آثار قضية الاسلحة الفاسدة عند باب المحكمة ، بوضع المذنبين في قفص الاتهام . بل كانت لها آثار بعيدة في نفسية الناس ، واتجاه الراى العام ، وفي تحطيم هيبة الملك ذاته .

كانت القضية بمثابة ازاحة الستار وتزعزاع القناع عن وجه الملك السابق فبدا خلفه وجه لص . وظهر هذا الملك الذى زيفت صورته الدعايات الكاذبة والاقلام المأجورة والالسنه المنافقة . . ظهر هو ومن حوله من ذوى الاسماء الضخمة في حقارتهم الحقيقية ، كالهاريين من وجه العدالة

واستفاد الشعب من الحرية التى توفرت له سنئى ١٩٥٠ و ١٩٥١ الى حد بعيد . . فرأينا صحفا متحررة تظهر في الميدان وتكسب القراء الكثيرين . . ظهرت « اللواء الجديد » و « الكاتب » و « الملايين » و « الجمهور المصرى » و « الدعوة » و « الاشتراكية » . . . ووقفت هذه الكوكبة من الصحف الحرة الى جانب « روز اليوسف » في قضية الاسلحة ، تدافع عن تمثال العدالة المعصوبة العينين ، في يسلاها ميزان وفي يمينها سيف ! . . فلما انتصر الملك انتصاره الوقتى ، واستطاع ان يصل الى « العدالة » فيفك العضابة عن عينيها ويثبت بميزانها ، ويوجه السيف في يمينها الى صدور الشهداء بدلا من المجرمين . . لم تياس هذه الصحف من المعركة ، ومضت تشن حملاتها على الملك راسا .

وكانت القوانين الكثيرة تحمى الملك وتمنع التعرض له او لحاشيته او حتى لطرف حذائه بأهون السوء . وكان الذين يقفون وراء هذه القوانين كثيرون واقوياء ، الوزراء والبوليس والمحاكم والسجون !

ولكن الاحرار تقدموا بالرغم من ذلك متعرضين للنار ، يحصبون بقذائفهم الجالس على العرش . . وهطلت عليهم الاتهامات كالطر : فهذا شيوعى وذاك ارهابى وثالث مخرب ورابع خطر على الأمن ، الى آخر تلك الاوصاف التى تدرجهم تحت اسم « المجرمين السياسيين ! » ولم يفن ذلك كله عن الملك السابق شيئا . . فقد تصدعت اركان هيئته ، ولم ينل السجن والتشهير والمصادرة والتعطيل من اقلام الاحرار الذين حققوا اول النصر . . اذ نشروا ذلك الاقتناع العام ، العميق ، بأن الملك عقبة حقيقية في طريق هذا البلد ولجأت الصحف الى حيل كثيرة تتفادى بها الارض المليئة بالغام القوانين . واصبح لها مع الزمن « قاموس » جديد يفهمه القراء ويعرفونه بغير عناء فكلمة « غير المسئولين » معناها رجال الحاشية

و « قال كبير » : معناها قال الملك .

وكانت هذه التعبيرات تحمى الصحف من العقاب في ظروف كثيرة . فقد حدث مثلا في وزارة الهلالى - وكانت الرقابة مفروضة - ان نشرت « روز اليوسف » خبرا يقول ان كبيرا يحاول ان يضع يده على وقف مساحته ، ٢ الف فدان . وكان الكبير هو الملك . واهتز القصر واضطرب ، واتصل الدكتور يحيى الخشاب بالمجلة يسأل من هو الكبير المقصود ، فقالت المجلة : انه كامل القاويش بصفته محافظا للعاصمة ! . .

وشاعت هذه التعبيرات بين الصحف جميعا . وكان الملك يثور ويغضب بسببها ومن حوله لا يدرون ما يصنعون . وأصدر امره مرة الى فؤاد سراج الدين ان يصدر قانونا يمنع نشر أى خبر الا بذكر الاسماء صراحة . . . فلا تقول الصحف : قال كبير وذهب احد غير المسئولين . . . الى آخره ! . . . وكان هدف القانون ارغام الصحف اما على ذكر اسمه فتقع تحت طائلة العقاب واما الى السكوت عنه . ولكن هذا القانون الذى لا مثيل له بين قوانين العالم ، لم يصدر .

وكان لكل جريدة حرة اسلوبها في مهاجمة الملك السابق غير هذه الرموز . . ففي « روز اليوسف » مثلا كتب احسان عبد القدوس مقالا خطيرا بعنوان « دولة الاغوات » . . وسلسلة مقالات اخرى بعنوان « من المسئول عن حكم مصر ؟ » هاجم فيها بعنف عنيف تدخل الجهات التى جعلها الدستور غير مسئولة ، والوزارة التى تترك المسئولية لغير المسئولين . . . ومع المقال الثالث من السلسلة ، دخل احسان الى السجن ، وابقتة النيابة العامة في ذمتها اربعة عشر يوما !

وابتكرت « روز اليوسف » شخصية « غول » ضخمة الجثة ، بشع الهيئة ، كريمة المنظر اسمه الفساد . . كناية عن الملك . . واخذت ترسمه في صور كاريكاتيرية لم يخف مغزاها على احد . . ولم تكن نيابة الصحافة طيعا تجرو على ان تقول ان هذا الغول . . هذا الفساد . . هو الملك !

وابتكرت ايضا رسم « حذاء ضخمة » يشير الى الملك ، مضت تستعمله في التعبير عن معان خطيرة ساخرة تندد باستبداد الملك وتزلف الزعماء .

وفي « اللواء الجديد » كنت تجد فتحي رضوان يتعقب تصرفات الملك وحاشيته بالنقد الشديد . واقترب مرة من باب السجن بسبب مقال بعنوان « احاديث الملوك » علق فيه على حديث ادلى به الملك في الخارج عن لعب القمار ومصطفى مرعى يكتب سلسلة مقالات « ملكية » واحدة بعنوان « فخر البحار » يندد فيها بالملك لانه باع هذا البخت للحكومة وقبض ثمنه ثم ابقاه في حيازته لاستعماله الخاص . واخرى بعنوان « ولاء العبيد وولاء الاحرار » يهاجم فيها الملك لانه يريد من الناس ان يقبلوا يده وينحنوا امامه . . ولما استدعى

رئيس نيابة الصحافة مصطفى مرعي التحقيق معه .. اكتشف انه قد كتب مقالة على قياس قانون العقوبات ، وانه قال في الملك ما يشاء .. دون ان يخرج عن حدود القانون ! ...

وكانت طريقة « اللواء » في النيل من الملك ان تنشر قصصا تاريخية عن الملكية المنهارة ايام الثورة الفرنسية بعنوانين مشرة مثل « الملك في طريقه الى المقصلة » و « من القصر الى السجن » و « ايامه الأخيرة ! » ..

وكانت هذه المقالات تقلق ادارة الامن العام والنيابة دون ان تجد فيها منفذا للمسئولية . وفي مرة ، امر النائب العام بالتحقيق مع كاتب هذه السطور بتهمة « تحسين جريمة القتل » لانه كتب واحدة من هذه المقالات بعنوان « لا تقتلوا !! » وكان المقال يروي قصة اغتيال الشباب الروسي المثقف للقيصر اسكندر الثاني .. ويثبت ان قتل القيصر الطاغية لا يؤدي الا الى جلوس طاغية آخر على العرش .. وان الاجدى هو تغيير النظام !

وفي « الاشتراكية » شن احمد حسين حملاته الرئيسية على تفاتيش الملك وسوء معاملته للفلاحين ، وسفه الدولة في الانفاق على تماثيل الاسرة المالكة وقصورها . وانتهت به هذه المقالات الى السجن سنة ونصف بتهمة العيب في الذات الملكية .

وتخصصت « الجمهور المصري » في مهاجمة البوليس السياسي كأداة من ادوات الرجعية والاستعمار وجرائم تعذيب المتهمين وتلفيق القضايا ...

وكان مكرم عبيد يلجأ الى براعته في التلاعب بالالفاظ ليشير الى الفساد فنشرت له « روز اليوسف » أكثر من « حكمة » ... ولما حدثت قصة وصول ادمون جهلان من اوروبا ، وفتح الخزانة التي ختمتها النيابة وسحبه لبعض مستندات قضية الاسلحة الفاسدة واحتمائه بالرأى ، ثم عودته الى اوروبا دون ان يقبض عليه .. نشر مكرم عبيد مقالا بعنوان « هل وزير الحربية جاهل .. ام جهلان ؟ ! »

وكان منطقيا ان لا تقصر هذه الصحف حملاتها على شخص الملك وافراد حاشيته ، فامتد هجومها الى النظام الاجتماعي الظالم ، والحالة الاقتصادية النعسة ، والموقف الوطني المائع ... واخذ الناس يكتشفون كل يوم ان هذه الاوضاع كلها مرتبطة بوجود الملك ، كما ان وجود الملك مرتبط باستمرارها

وذعر الملك ازاء هذا المد الثوري الذي وصل الى اسوار قصره ، وكاد ان يقتله ... وكان هذا الذي لم يتعود الا كلمات الاطراء يرتعد كلما وجد مقالا يكشف عن فسقه ، وخزيه ، ويجلل حكمه بعار جديد .. واخذ يصب جام غضبه على من حوله من مسئولين وغير مسئولين .. وبعث الصواعق والبروق على راس الوزارة لانها لاتصادر هذه الصحف ولا تخرس سنتها بأي طريقة ..

بلغ من فزع الملك ازاء هذه الحملات انه كان يستجدي كلمة مدح من

هذه الصحف . حتى لقد شهد الوزير الوفدى عبد الفتاح حسن امام المحكمة العسكرية ان احمد حسين قبض الف جنيه من المصاريف السرية لكي يكتب مقالا يشيد فيه بالملك . . . ويرسل نسخة من مجلته الى القصر !! وبدا الملك يضغط على الوزارة لمصادرة هذه الصحف . وبدأت الوزارة تصدر الصحف فعلا . . . واذا بمجلس الدولة يفرج عنها ، باحكام مدوية . . . واصبح الملك امام احد طريقين لكي يوقف هذه الحملات : اما ان يلغى مجلس الدولة هذا فتختفى رقابة القانون على مصادرة الصحف . واما ان يسن تشريعات جديدة تقيد من حريات الصحف . . . وقد جرب الطريقين ،



عبد الرزاق السنهورى

وبدا الملك يضغط على الحكومة لكي تنال من مجلس الدولة بنحو ما . واتخذ هذا التحرش بمجلس الدولة ضورا كثيرة . . . كتصريح يذلى به وزير ، او استبعاد حركات ترقية موظفى مجلس الدولة ، او رفض مساواتهم بزملائهم فى القضاء العادى . ولكن هذه الطرق «الصغيرة» لم تنجح فى حمل المجلس على العدول عن آرائه ، التى سجلها فى احكامه . . . وبدا الملك يضيق ذرعا بالوزارة ، وبدأ مستشاروه يترددون على الوزراء ويحذرونهم من هذا الموقف «المائع» من مجلس الدولة . . . وينذرون الوزارة بأنها لكي تبقى يجب ان تتخذ اجراء حاسما . . .

واقدمت الوزارة على اقتراح بعض التعديلات فى قانون المجلس . . . فثار الراى العام ثورة رهيبه . . . وقفت الصحف والهيئات امام المجلس تدافع عنه باصرار عجيب ، كان مظهرها رائعا من مظاهر اطلاق الحريات وما تؤدى اليه من تنبيه الوعى وتقوية الضغط الشعبى . . .

وجاء سبتمبر ١٩٥١ ، وكان الملك فى كبرى ، وانعقد مجلس الوزراء فى الاسكندرية . . . ودخل مصطفى النحاس قاعة الاجتماع يلهث ، فى قلق ظاهر والقى على الوزراء نيبا خطيرا : انم الياس اندراوس جاء من كبرى يحمل امرا صريحا من الملك بان تصدر الوزارة مرسوما بالغاء مجلس الدولة . . . عقابا له على ما اصدر من احكام .

وبهت الوزراء ، وادركوا انهم امام ازمة خطيرة هذه المرة . وتكلم حامد زكى فقال: انه مستعد ان يعد مشروعا بالمرسوم المطلوب مع مذكرته التفسيرية حالا



بعد تلميع الحذاء

النحاس يا شا : أنا شايف صحتي كويسة اليومين دول !!
عن روز اليوسف ٢٨ أغسطس سنة ١٩٥١

مكتبتنا

01111111111111111111

بيت الكتب



وقبل ان ينفض اجتماع المجلس . وبذلك تحقق الوزارة الرغبة السامية وثبت ولاءها التام للملك !

وقال عبد الفتاح الطويل ان المسألة ليست بهذه السهولة ، وان علاجها يحتاج الى بطة وهدوء أعصاب

واقترح محمد صلاح الدين ان تشكل لجنة فرعية من بعض الوزراء لدراسة الموضوع . وقرر المجلس تشكيل لجنة من عبد الفتاح الطويل ومحمد الوكيل وحامد زكي وعبد الفتاح حسن ومحمد صلاح الدين . وقال النحاس لأعضاء اللجنة والاجتماع بنفض : لازم تخلصونا من الحكابة دي الجمعة دي

واجتمعت اللجنة ثلاث مرات . وانتهى رأيها الى رفض الامر الملكي بالاجماع ما عدا واحدا : هو حامد زكي !

وعاد مجلس الوزراء الى الاجتماع في الاسبوع التالي . وبدأت الجلسة بكلمة طويلة القاها صلاح الدين موضحا بها رأى اللجنة والاسباب التي استندت اليها في رفضها الامر الملكي

وقال حامد زكي : الامر الآن من اختصاص مجلس الوزراء لا من اختصاص اللجنة وحدها . ويجب ان نناقشه من جديد

ودارت مناقشة عنيفة ، لم ينطق خلالها النحاس بكلمة واحدة . وبدأ اغلب الوزراء يميلون الى قبول الامر الملكي ، في حين بقى عبد الفتاح الطويل وصلاح الدين وعبد الفتاح حسن وابراهيم فرج صامدين في جبهة قوية ترفض المشروع . ولما رأى صلاح الدين ان التيار يتجه ضدهم أسرع فاقترح تأجيل المناقشة مرة أخرى لان لديه معلومات هامة يريد ان يدلي بها . واعترض حامد زكي على التأجيل . وصاح في صلاح الدين قائلا : انت تعطل اعمال مجلس الوزراء .

وأيد سراج الدين اقتراح التأجيل ، فانفض المجلس وقبل ان ينعقد المجلس مرة ثالثة ، عرف الوزراء ان رسولا جاء من كبرى يحمل مرسوما مكتوبا وموقعا من الملك وان على الوزراء ان يوقعوه ليصبح امرا واقعا . . . واسرع صلاح الدين فكتب الى النحاس خطابا استقالة قال فيه انه يستقيل من وزارة الشعب قبل ان تصدر مرسوما ضد الشعب . ونار النحاس ثورة هائلة ، واعتبر الاستقالة المسببة خيانة عظمى من صلاح الدين . . . وهذا ابراهيم فرج وعبد الفتاح حسن من روعه ، ووعداه باحضار صلاح الدين في اجتماع مجلس الوزراء القادم ودخل النحاس قاعة الاجتماع وهو ما زال في ثورته . وجلس على مقعده وهو يقول في صوت عنيف متهدج ، موجها الكلام لصلاح الدين : كده يا صلاح . انت عايز تقتلى . انت عايز تعمل بطل على حسابى .





اعدلوني عالقة !! (بقسم الغاء)
عن روز اليوسف ١٦ سبتمبر سنة ١٩٥١



مكتبتنا

www.almaktaba.com

بيت الحكمة

وكان يدق المائدة بعنف وهو يتدفق بالكلام ، وجرح أصبعه في هذه الحركة فأسرعوا إليه بصيغة اليود . وظل صلاح الدين - الذي يعرف خلق النحاس - ساكنا طول هذه المدة حتى هدأت العاصفة ، وافرغ الرئيس كل ما في جوفه . ثم بدأ يتكلم في صوت مؤثر عن اخلاصه للنحاس ويعدد ايامه عليه منذ كان سكرتيراً له حتى أصبح وزيراً . ثم أخذ يبرر تصرفه ، قائلاً ان رجال النحاس المخلصين كلهم يؤيدونه، وقال له : ياباشا انا عاوز احميك . مش اقتلك ...

ولما انتهى صلاح الدين من القاء كلماته الاخيرة الخافتة في صمت المجلس المخيم . فوجيء الوزراء بالنحاس تنهمر الدموع من عينيه ، وهو يبكي بكاء حقيقياً ... وادركوا العواصف والبروق التي تخطف في باطن هذا الرجل ، والعوامل التي تتجاذبه ، ووقفته الدقيقة بين ماض جليل طويل ومستقبل يحاول ان يكون مضموناً ، وادراكه للوهن الذي نزل عليه ... فأسرعوا اليه كالاطفال اذ يجدون اباهم تهزمه ازمة فيبكي . وابعدهم النحاس وهو يقول : - خلاص .. خلاص .. خذ استقالتك ياصلاح .. وآدى المرسوم في الدرج موش حامضيه !

تشريعات الصحافة

تقول الكلمة الماثورة : كلما زاد الفساد في بلد .. زادت القوانين !! وان نظرة واحدة الى هذا الفساد المتزايد ، تبرر لنا ذلك الركام الهائل من القوانين التي فرضت بأمر الملك او أريد لها ان تفرض : قانون المشبوهين ، قانون الجمعيات ، قانون انباء القصر ، قانون انباء الجيش ، قوانين الصحافة . كلها قوانين رهيبة خائفة . لم يجد الانجليز انفسهم حين كانوا يسيطرون على مصر حاجة الى فرضها ، اكتفاء بالقوانين الرجعية الموجودة فعلاً وكان لا ينقضى شهر حتى يطلع فؤاد سراج الدين على الناس بمشروع قانون مقيد للحرية يريد فرضه .. كان يتقدم به والملك من خلفه . ثم لا يلبث ان يتراجع امام ضغط الاحرار والراي العام وكانت اخطر هذه المحاولات جميعاً ، محاولة فرض قوانين الصحافة في اواخر سنة ١٩٥١

وقد بدأت قصتها في مادبة اقامها الملك ودعا اليها الوزراء بمناسبة سفره الى اوروبا . وبعد انتهاء المادبة ، نظر الملك الى النحاس وسراج الدين وقال لهما انه يريد ان يعود من اوروبا فيجد الكلاب النابحة كلها قد أخرست . . يريد بذلك الصحف التي تهاجمه وتفضح فساده وسكت الوزراء ولم يعقبوا . .

وبعد سفره بقليل ، استدعت الظروف الوزارية تعيين عبد الفتاح حسن وزيراً للدولة - وكان ما يزال وكيلاً برلمانياً - وكان لابد له من ان يحلف اليمين

امام الملك لكي يباشر سلطته .. فطار الى كبرى ليحلف اليمين هناك امام الملك وكانت حملة الصحف الحرة قد اشتدت على الملك . وقد وجدت في مبادله اثناء رحلته وقودا جديدا لحملاتها الجريئة . وبعد ان حلف عبد الفتاح حسن اليمين ، كرر الملك الحديث عن الصحف . واثار بلهجة ذات مغزى الى تساهل الحكومة في القضاء عليها . ثم طلب من عبد الفتاح حسن بما يشبه الانذار - ان يكرس جهده وجهد الوزارة بمجرد عودته للقضاء على هذه الصحف بصورة سريعة

وعاد عبد الفتاح حسن حاملا هذا الانذار .. واجتمعت الوزارة تبحث هذا المازق الدقيق وهي بين اكثر من نار : نار الملك الذي لا يريد ان تحد سلطته بشيء ونار الانجليز الذين توشك الوزارة ان تجابههم . ونار المصالح التي لا تريد للوزراء ان يذهبوا . واخيرا نار هذه الصحف الحرة ذاتها ، والراي العام المتف حولها



واعند التشريعات شخص ما يزال مجهولا .. قيل انه محمد علي وشدي وقيل انه محمد الوكيل وقيل انه حامد زكي وقيل انها من اعداد بعض غير المسؤولين .

وفي اجتماع مجلس الوزراء قال مصطفى النحاس : ان الوزارة يجب ان تبقى باي ثمن في هذه الظروف ... وعلى ذلك فالتشريعات يجب ان تمر . وقال صلاح الدين وابراهيم فرج ان تمريرها مستحيل . وان الوزارة لا يجب ان تحمل امام التاريخ مسؤولية هذه التشريعات ...

عزيز فهمي

وهرش غنام راسه وصاح : فكرة ! .. تكلف احد اعضاء النواب بتقديمها على انها من عندياته ...

وصاح صلاح الدين انها ستكون تمثيلية مفضوحة . ولن يصدق الناس ان نائبا يتطوع بتقديم مثل هذه التشريعات . ولكن النحاس ابد فكرة غنام

واختار غنام النائب اسطفان ياسلي كبشا للقضاء ... واعطاه التشريعات ليقدمها ... وغضب الراي العام ضد هذه التشريعات غصية هائلة ما زال صوتها يدوي في الاذان ... واتبعث اعنف صور المقاومة من بين الوفدين انفسهم . فقد تزعم المقاومة النائب الدكتور عزيز فهمي .. واحمد ابو الفتح

مكتبتنا

WWW.MAKTUBATNA.COM



النحاس باشا : ماتخفوش . فؤاد باشا مسيطر على الحالة تماما
عن روز اليوسف ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٥١

مكتبتنا

WWW.WARSTHARF.COM

بيت الكتب

وكانت المظاهرات لا تترك فرصة تفوت .. وفي الجامعة كان يتعاقب الخطباء طالبين رأس فاروق .. هاتفين بسقوطه .. وكانت جبهة المعركة عريضة واسعة .. تشمل الحريات السياسية ، والاوضاع الاجتماعية ، والمشاكل الاقتصادية ، والمسألة الوطنية .. والفساد الملكي المتوج .. وامتدت موجات هذا المد الى الريف ، وبرزت حوادث التفاتيش والاصطدام بين الفلاحين والمالكين في الصفحات الاولى من الجرائد لأول مرة .. ولم يكن يمضي يوم الا ويدخل الى قاعة النيابة ، مخفورا بين جنديين ، منهم جديد .. وكان الاحرار يبدون في اقسام السجون ، وامام وكيل النيابة ، وفي قفص الاتهام ، ثم في ظلام السجون .. كانوا يبدون - في بعض العيون المظلمة العمياء - اقزاما مذنبين ، تمساء ضائعين ! ولكن هؤلاء الابرار من الكتاب والطلبة والفلاحين والعمال كانوا هم العمائقة حقا . الاحرار الشرفاء حقا . كانوا يخرقون القوانين التي وضعها الفساد القذر لحماية نفسه ، لكي يقرروا مبادئ اسمى ، وقوانين اعدل ، ومجتمعا اسعد . وكانوا يضحون من أجل ذلك كله بالراحة ، واللين ، والاحترام الزائف الذي يضيفه المجتمع على بعض حماة الجريمة ، الذين يعيشون على فتاتها !

وهنا .. يجب ان نقف سويا - ايها القاريء - ونتعلم درساً :

ان الحرية شيء ثمين حقا . وهي للتقدم وانتصار الشعب شرط اساسي . وانظر الى تلك الانتصارات الضخمة التي حققها الشعب في خلال سنتين من الحرية النسبية .

فضح الملك وقدم شركائه الى المحاكمة .. .
حطم كل محاولاته لفرض نظم رجعية جديدة .
عبا السخط بين الجماهير وحدد أهدافه في الملك الفاسد وبتطانة السوء وكل من يدور في فلكه من سياسيين .

وتوج الشعب هذه الانتصارات بإلغاء المعاهدة .. وبقرار حق شتابة في حمل السلاح ومحاربة الانجليز .. ودفع الحكومة الى حالة من شبه الحرب مع الاستعمار لأول مرة في تاريخنا الحديث .

ومع ذلك فقد كنا نقاتل - ايها القاريء - بحرية ناقصة .. تنال منها قوانين استعمارية عنيفة تقيد حريات الاجتماع وتكوين الجمعيات واصدار الصحف .

والدرس الذي يجب ان نتعلمه - ايها القاريء - من هذه الحقائق هو : ان

تطالب باصرار برفع القيود الباقية على حريتك
وان تؤكد دائما حقك في ان تعتنق الرأي الذي تراه صوابا . وان تعبر عن هذا الرأي بالكتابة والخطابة والجدل . وان تعمل على تطبيق رأيك بعقد الاجتماعات وتكوين الاحزاب والجمعيات ...

فهذا هو الطريق - اوجد الطريق - الى امام ..

السنة شهور السود

٢٦ يناير - ٢٦ يوليو ١٩٥٢
بالضبط والتصيق تلتحم الاجزاء البعثرة ،
والأزمة تلد الهمة
جمال الدين الافغانى

MIDO

مكتبتنا

www.mido.net

بيت الكتب



لماذا هو انجليزى ؟

كان الناس يعرفون دائما، بالاحساس والاستنتاج ، ان الملك السابق له.. . وسبب السيرة .. وانجليزى . ولكنه لم يتحطم تماما الا بعد ثلاثة احداث كبار ، اكدت هذه الصفات ، ووصفته بها علنا ، وفي وضوح كامل : قضية الاسلحة الفاسدة اثبتت انه يسرق .. ولو بدماء الضحايا . وماساة زواج فتحية من رياض غالى وتجريد نازلى من لقبها .. اثبتت جو الانحلال الذى يعيش فيه وينمو عليه .

تم جاءت طعناته للقضية الوطنية والكفاح ضد الانجليز .. قدمته بالصقة الثالثة الاخيرة .. وهى الخيانة .

وكان فاروق يجد قبل هذه الاحداث الثلاث من يزعم للناس انه امين ، صالح ، وطنى ، ولكن هذه الاحداث اخربت كل هذه الالسنه الكاذبة ، وافسحت للحقيقة الكبيرة مكانها الراسخ في قلوب الناس وعقولهم .

وقد راينا فيما سبق لصوصيته وانحلاله .. وعلينا ان نعرف الآن قصة خيانه . ولكن .. قبل ان نمضى في سرد القصة ، يجب ان نجيب على هذا السؤال: لماذا هو انجليزى ؟ ولماذا يخون ؟ .. هل يخون لمجرد ميل شخصى يجذبه الى الانجليز ، او اسباب عارضة دفعت به الى احضانهم .. ام ان هناك مصالح ضخمة تربط الملك بالاستعمار الانجليزى وتجعلها حليفين طبيعيين ؟ هى مصالح ضخمة عاتية . ولنبدأ الموضوع من اوله :

حين عرفت انجلترا طريق الاستعمار ، وبدأت تستعبد الشعوب لمصلحة صناعتها .. كانت امامها احدى وسيلتين لحكم هذه الشعوب : اما ان تحكمها مباشرة بواسطة حكام انجليز . واما ان تستصنع لها انصارا من ابناء المستعمرات ، يستعبدون شعوبهم لحسابها . مقابل نفع كبير .. وقد وجدت انجلترا مع الزمن ان الطريقة الثانية اجدى وانسب .. فهي مثلا حين تجعل فئة من المصريين يحكمون مصر لحسابها .. توفر نفقات ادارة انجليزية كبيرة ، وتقلل من احساس الشعب المصرى بالاستعمار .. لانه ينظر الى وجوه حاكميه فاذا بها مصرية .. فيسكت ويؤمن ويحسب نفسه مستقلا . وهو ان يكشف حقيقة هذه الوجوه الا بعد زمن طويل ، ووعى دقيق .

ولننظر كيف طبقت انجلترا هذه السياسة في مصر ، وفي جيران مصر ، من بلاد الشرق القريب .

كانت انجلترا كلما قررت استعمار شعب من الشعوب ، بحثت عن اسرة تحتضنها ، ورجل ترعاه ، لتصنع منه ملكا . وكانت تختار اسرة لها بعض القداسة والمكانة المرموقة في شعبها .. وكانت تعرف ان هذه الشعوب شعوب متدينة ، فهي تدخل اليها من هذه الناحية .. وهكذا اقامت انجلترا العروش الهاشمية في العراق والاردن . وفي السودان احتضنت

السيد عبد الرحمن المهدي - لأنه أيضا فيما يقال من سلالة النبي وابن
المهدي الكبير - وقبل أن تحتل ليبيا ، احتضنت السيد ادريس السنوسي
لنفس الأسباب

وهي بعد أن تقيم العرش ، وتجلس عليه الملك . . . وتشمع به بفضلها عليه
لا بد أن تجعل الملك والعرش في حالة من الاحتياج الدائم الى مساعدتها :
فاذا كان الملك في بلد فقير كالاردن او ليبيا اقامت شؤون الدولة المالية على
نحو يجعلها في حاجة الى مساعدة مالية من الخارج دائما ، ثم تبرعت هي
بهذه المساعدة المالية السنوية . وهكذا يجد الملك نفسه مهددا - اذا خالف
الانجليز - بالافلاس ! وقد شعرت دول الجامعة العربية اثناء حرب فلسطين
بسيطرة الانجليز القوية على الملك عبد الله ، وعرضت الدول العربية عليه
ان تقوم هي بدفع التقص السنوي في ميزانية الاردن الذي تدفعه انجلترا -
حوالي ٢ مليون جنيه - لتحرر سياسة الاردن من الاستعباد الانجليزي .
ولكن العرض خاب . ونفس الوضع خلقته انجلترا في مملكة ليبيا الجديدة !
اما اذا كان العرش في بلد غنية كمصر او السودان . فان انجلترا تعمل على
ان تجعل الملك - او الموعود بالملك - فيها مصلحة كبيرة . اذ تجعل الملك او
المرشح للملك اقطاعيا غنيا له مصالح ضخمة يخاف عليها من الشعب لو
تحرر ، فيركن الى حماية انجلترا له ، ولمصلحته . وهذا هو ما فعلته انجلترا
في السودان اذ منحت السيد عبد الرحمن المهدي جزيرة آبا ، وجعلته أغنى
اغنياء السودان . واذ جعلت فؤادا ثم فاروقا يفتشان الارض والضياع . .
حتى وصلت الى مئات الآلاف من الافدنة . وآية هذه الخطة ان فاروقا كان
يخاف خروج الانجليز دائما لان ذلك سيمصف بمصالحه . وآيته ان النظام
الاقطاعي في مصر لم يبدأ في التغير الا بعد ان خرج احد الحليفتين : وهو الملك
وفي الهند . . حيث تعذر على الانجليز اقامة عرش واحد . . خلقت عشرات
العروش في صورة المهرجات ، ومضت تقوى سلطاتهم وتنمي ثرواتهم ، وهم
يردون جميلها بوقوفهم في صفها ضد الشعب الهندي . فلما زال الاستعمار
الانجليزي ، كانت اول ضربات الاصلاح موجهة الى هولاء المهرجات والملوك
الصغار بالذات . . . وانت - أيها القاريء - تذكر قصة حيدر اباد ، الذي
كان يكثر المال ويضع الجواهر في الزكائب ، وتذكر زحف نهرو عليه ، وتجريده
من ماله ، وتوجيهه لخير الشعب !
تلك هي . الخطة « الانجليزية العامة في الاستعمار . وتلك هي المصالح
الضخمة التي تربط بها حكام البلاد بمجملتها . وهذه الخطة تختلف بالطبع
في تفاصيلها من بلد الى آخر باختلاف الظروف . وعلينا الان ان نعرف -
بشيء من الدقة - كيف مضت هذه الخطة في مصر
لم تدخل انجلترا مصر وفي يمينها عرش جديد . ولكنها جاءت لتخفي

هرشا يوشك على الانهيار . فقد ذهب توفيق الى الاسكندرية فرارا من الثورة الشعبية التي تزعمها عرابي . وخفت انجلترا الى تجدته وتثبيت هرشه الذي كادت تكتسحه التيارات الشعبية . وقصة الاحتلال الانجليزي بعد ذلك معروفة

وكانت انجلترا تحرص على ان يجلس على عرش مصر رجل موال لها ، ولا يعرف سيدا غيرها . فحين شعرت ان الخديو عباس هواد مع تركيا عزلته ووضعت مكانه السلطان حسين كامل . وحين اراد امراء البيت المالكة الاحتجاج على عزل عباس هددتهم بان تجلس اغان خان على عرش مصر وكان على الامراء ان يختاروا بين العرش والاستقلال . فاختاروا العرش طمعا . وبعد حسين كامل جاء فؤاد

وكان فؤاد حين جلس على عرش مصر افقر امراء البيت المالكة بلا استثناء . وعرفت انجلترا كيف تضعه في اول الطريق الموصل الى الثراء . وعمد فؤاد الى جمع الاطيان بوسائل رهيبة . يساعده زبانية مشهورون ، كانوا نواة « الخاصة الملكية » فيما بعد

ولم تقنع انجلترا بان جعلت الملك هو الاقطاعي الوحيد في مصر . والا اصبح وحيدا ، ضعيفا بين شعبه . فعمدت الى تقويته وتعميق جذوره بخلق طبقة اقطاعية تحيط به وتسندة ، وتربطها بالاستعمار الانجليزي نفس الرابطة . ومضت تكون طبقة « اصحاب المصالح الحقيقية » كما عرفت فيما بعد . وكان اللورد كرومر هو اول من أطلق هذا الاسم عليها . أطلقه في احد تقاريره قائلا ما معناه : ان المهيجين الوطنيين من امثال مصطفى كامل هم الذين يعارضون الاحتلال البريطاني ، وهؤلاء لا ينبغي ان يعتد بهم . اما « اصحاب المصالح الحقيقية » فانهم يؤيدون الاحتلال

خلق الانجليز طبقة « اصحاب المصالح الحقيقية » عن طريق تسهيلات اقتناء الارض ، ومشروعات الري التي زادت من انتاج هذه الارض زيادة كبيرة ، وشراء القطن لحساب مصانعها من هؤلاء الملاك بأسعار مرتفعة . وعن طريق تعليم ابناء هذه الطبقة في انجلترا ثم توليتهم الوظائف الادارية الكبيرة في الاقاليم ، ووظائف السكرتيرين والمساعدين للمستشارين الانجليز في الوزارات .

ومن هذه الطبقة تكون حزب الامة قبل الحرب العالمية الاولى من محمود سليمان باشا وحسن عبد الرازق باشا وعبد الخالق ثروت باشا وغيرهم . . . لناواة حركة مصطفى كامل . ومن نواة حزب الامة ، تكون حزب الاحرار الدستوريين في سنة ١٩٢٣ . . لناواة حركة سعد زغلول

وتتم الحلقة . . . اذا لاحظنا ارتباط مصلحة الاجرار الدستوريين والاحزاب التي حالفتهم بمصلحة فؤاد ثم فاروق . . فهم الذين اوقفوا الدستور والقوة وعطلوه بشتى الصور . وهم الذين وقفوا - كما ستري - المواقف السلبية .

الحياة في منتصف الطريق

كان مصطفى النحاس يصعد منبر مجلس النواب ليعلن إلغاء المعاهدة، وهو يعرف أن الإقالة أصبحت حقيقة مقررة، وأن المسألة مسألة وقت فحسب، وكان قد بنى حسابيه هذا على معرفته الطويلة بسياسة الملك المرتبطة بالانجليز وناكد من صحة حسابيه حين ذهب إلى فاروق ليحصل على توقيعه على مراسيم الإلغاء... فحاول أن يتهرب، ويؤجل الإلغاء بأي ثمن. وكانت تصل إلى النحاس أيضا بعض تفاصيل مقابلات الملك لبعض الزعماء والشخصيات، وأنه كان يقول لزواره صراحة أن إلغاء المعاهدة ومحاولة اخراج الانجليز بهذا الشكل خطأ.

وحاولت الحكومة الوفدية جهدها أن تمضي بمعركة القنال... في جو بالغ القلق مشحون بالاحتمالات... بين معارضة متقدمة عنيفة تتعجل الخطوات وتطلب المزيد، وتنهم الوزارة بالتردد والتعاس... ومعارضة أخرى مختلفة - تتكون من حزبي السعديين والاحرار وبعض المستقلين المتعفين - تأخذ على الحكومة «تهورها» وتخوف الناس من الخراب المحتمل، وتتربص بالحكومة الدوائر. وهناك السفارة الانجليزية تحبك الدسائس والمؤامرات... والملك يبحث عن مخرج من هذه الورطة!...

وكانت الوزارة تصحو مع الصباح فتجد صحفا تهاجمها لانها لا تمنح الفدائيين مساعدات كافية، ولانها لا تقابل الانجليز بالشدة اللازمة... وصحفا تهاجمها بحجة انها تقود البلاد الى الخراب، وهذه الصحف المهاجمة تبث روح الهزيمة بين الناس بما تنشره من تهديدات الانجليز، ومظاهر قوتهم، واحتمالات الفشل.

أما الحقيقة التي يجب ان يقال، فهي ان الوزارة حاولت ان تؤدي واجبها... اذا واصلنا ظروفها تلك الحرجة، ومخاطر الطريق، والضرورة التي كانت تدعوها الى الحذر من الخيانة المتريصة بها في القصر... بل وفي بعض أعضاء الوزارة انفسهم ضد هذه السياسة... كما أعلن حامد زكي عن نفسه اخيرا!! فبعد ان تركت الوزارة كل ادوات الدعاية تهاجم الانجليز، وتنمي طاقة الكراهية للاستعمار الى حد لم يسبق له مثيل منذ ثورة سنة ١٩١٩... وتقلت الاحساس المباشر بقبضة الانجليز من مدن القنال الى جميع انحاء القطر، وشجعت كتاب التحرير باقصى وسائل التشجيع الادبي والمادي، حتى لقد كان ميكروفون الاذاعة ينتقل الى معسكراتهم في القنال يروي قصصهم وينقل احاديثهم لمواطنيهم... نقول... بعد ذلك كله، وقبل ان تقع كارثة

حريق القاهرة ، بدأت الوزارة تمد الفدائيين بالسلاح ، وتشجع ضباط الجيش والبوليس على التطوع .. وقد سحبت سفيرها من لندن وهمت بقطع العلاقات السياسية .. فلم يبق بينها وبين حالة الحرب الفعلية الا شعرة واحدة !

وتنعر الملك بان الخطر على كيانه جارف .. ولم تخف عليه الآثار الخطيرة التي تترتب على ترك المصريين يحصلون على حريتهم بقوة السلاح . واتصل الانجليز بالملك - او « بوكيلهم في مصر » كما كان يسميه السفير البريطاني رالف ستيفنسون ! - ورسمت الخطة .

وكانت اول خطوات الخيانة - السافرة - ان أعلن الملك في اسبوع واحد تعيين حافظ عفيفي رئيسا للديوان الملكي ، وعبد الفتاح عمر مستشارا له للسياسة الخارجية ، والياس اندراوس مستشارا للشئون الاقتصادية .. وادرك المواطنون من شمال الوادي الى جنوبه ، بل ادرك الاحرار في العالم العربي كله - مغزى الخيانة ! ففي مصر انطلقت المظاهرات هاتفة ضد الملك بأقبي ماتيجحه لها الالفاظ ، مطالبة برأس حافظ عفيفي ، منادية بسقوط « عفيفي » و « حافظ » عفيفي ! .. وفي الخرطوم تظاهر طلبة المدارس ضد رئيس الديوان . وارسل احد زعماء الاحزاب السودانية ممن يحملون رتبة البكوية من مصر ، ارسلا برقية الى الملك يعلن تنازله عن رتبة البكوية احتجاجا على خيانة الملك للقضية الوطنية . وفي بغداد كتبت الجريدة الحرة « صدى الاهالي » تهاجم هذا التعيين وتشرح معناه !! .. وكانت هذه الغضب الساملة في محالها تماما . وقد دلت على وعى عميق .

فاما الياس اندراوس فقد عرفنا منبته ، واولياء نعمته ، وحقيقة وظيفته ..

واما عبد الفتاح عمرو فهو تلميذ احمد حسين البكر . وهو الذي وصفه طه حسين ادق وصف حين قال انه يصلح سفيرا لانجلترا في مصر اكثر مما يصلح سفيرا لمصر في انجلترا ! وهذا صحيح .. لان عمرو عاش طيلة عمره في انجلترا . فهو يعرف عنها اكثر مما يعرف عن مصر . وهو خليق ان يمثلها اكثر من ان يمثل مصر . وحين تقرر عزله من منصبه رفض العودة الى مصر .. وقرر ان يستوطن في وطنه الحقيقي .. انجلترا !!

واما حافظ عفيفي .. فحديثه طويل ! وقد نار الناس على تعيينه بسبب الحديث الشهير الذي ادلى به للاستاذ كامل الشناوي ونشرته « الاهرام » ودافع فيه عن معاهدة ١٩٣٦ وطالب بالارتباط بانجلترا الى اقصى حد .. وكان هذا الحديث والحكومة على وشك الغاء المعاهدة ! نار الناس عليه بسبب هذا الحديث . ولكن تاريخه اشنع من ذلك بكثير .



(من بين الائمة المصرية وسام يسمى ربطه الساق)
وسام ربطه الساق الذي يحمله احد المصريين :

ولعله بين جميع السياسيين الذين عرفتهم مصر أشدهم رحمة وأكثرهم إنجليزية . وإذا كان المجال لا يتسع لتشريح حافظ عفيفي . فإنه يكفي أن نعرف عنه هذه الحقائق البسيطة :



حافظ عفيفي

✳️ فهو السياسي الذي اشترك في أكبر عدد من مرات تعطيل الدستور أو الفائه . بينما نجد على ماهر اشترك في تعطيل الدستور مرتين واسماعيل صدقي مرتين ومحمد محمود مرة واحدة . . نجد أن حافظ عفيفي اشترك في تعطيل الدستور ثلاث مرات : مع محمد محمود سنة ١٩٢٨ . ومع صدقي سنة ١٩٣٠ . ومع الهلالي سنة ١٩٥٢ . فلم يفته شرف المساهمة في تعطيل الدستور الا مرة واحدة ، مع زيور ، سنة ١٩٢٤

✳️ ولم يكن دوره في هذه الانقلابات مجرد المساهمة الداخلية ، بل كانت مهمته أن يكون مندوب الانقلاب عند الانجليز . . فقد جعله محمد محمود في سنة ١٩٢٨ وزيرا للخارجية وحلقة اتصال بدار المندوب السامي . ولم يكف صدقي سنة ١٩٣٠ بذلك ، بل نقله من الوزارة الى وظيفة وزير مفوض في إنجلترا « ليند » انقلاب صدقي هناك !

✳️ وكما انه صاحب الرقم القياسي في تعطيل الدستور . . . كذلك فانه صاحب الرقم القياسي بين جميع الساسة المصريين في مفاوضات الانجليز . . . فبينما نجد مصطفى النحاس فاض الانجليز خمس مرات . وصدقي خمس مرات . نجد أن حافظ عفيفي جلس الى مائدة المفاوضات ست مرات : مرة مع سعد وعدي سنة ١٩٢٤ ومرة مع محمد محمود سنة ١٩٢٨ ومرة مع صدقي سنة ١٩٣٠ ومرة مع النحاس سنة ١٩٢٦ ومرة أخرى مع صدقي سنة ١٩٤٦ ومرة أخيرة مع الهلالي سنة ١٩٥٢ !

✳️ وفي مفاوضات صدقي بين سنة ١٩٤٦ ، رفض جميع أعضاء هيئة المفاوضات من المستقلين مشروع صدقي يقضي ، واستقالوا استقالة مسببة بهذا السبب ، ما عدا واحدا فقط : هو حافظ عفيفي !! . . . خلاف السعديين والدستوريين طبعاً (هيكل وعبد الهادي والنقراشي)

✳️ وقد ألف في حياته كتاباً واحداً هو : الانجليز في بلادهم !! هذه هي معالم تاريخ هذا الرجل . . حافظ عفيفي . وهذا هو الرجل الذي

مكتبتنا

www.egyptianlib.com

بيت الكتب





المصري الفندى اتتم دوختوني : احارب الانجليز تقولولى حارب الفساد :
 احارب الفساد تقولولى حارب الانجليز :
 عن روز اليوسف ١٨ فبراير سنة ١٩٥٢

اختاره فاروق ليكون رئيسا لديوانه ، ومنفذا لسياسته ، والشعب مشتبك في معركة دامية مع الانجليز !

ولم يكن فاروق مستطيعا ان ينفذ بنفسه خطة الخيانة والغدر في هذه الظروف .. فهي مهمة صعبة ، لا ينهض بها هذا الفاسق ، الجاهل ، الذي يعيش في عالم من الانحلال والقمار والصور القاضحة ، ويجالس حشالات هابطة المستوى لاتجيد الا حديث الدعارة مثل بوللى وبيترو وحلمى حسين ! ولم يكن بد من ان يختار رجلا ينفذ له الخطة المرسومة ، وكان حافظ عفيفى ذلك الرجل ...

وكانت الخطة التى رسمها فاروق والانجليز لطمع القضية الوطنية تستهدف أولا اخراج وزارة الوفد . وكانت خطة اخراج الوزارة تنلخص فى الاتى :

١ - تشجيع الحملة على مظاهر الفساد الداخلى فى الوفد ، والتشهير بالأخطاء والسرقات واستغلال النفوذ ، لجذب اهتمام الناس الى الوضع الداخلى من جهة ، ثقة الشعب فى الوزارة التى تجتاز به المعركة .

٢ - نشر الانبياء المختلفة او المبالغ فيها عن محاربة الوزارة للفدائيين والقبض عليهم وما الى ذلك .. لرعاية الثقة بين المقاتلين فى الجبهة والوزارة فى الداخل .

٣ - ان يقوم الانجليز باستفزازات وتحرشات عنيفة لاغرض من وراءها اكثر من تعريض الوزارة لهزات عنيفة . واثارة موجة السخط فى الداخل على نحو يودى الى الشغب ويتزايد به حتى يمكن اتهام الوزارة بتهمة عدم القدرة على الاحتفاظ بالامن وحراسة اموال وارواح الاجانب . فهدم الانجليز لكفر عبدة . وضربهم لمحافظة الاسماعيلية لم يكن لهما مبرر من ضرورة حربية او دفاعية . انما هى ضربات عنيفة كانت تهز الشعور العام فى الداخل ، وتطلق عقول المظاهرات وتهىء لحدوث اعتداءات وانتقامات فى الداخل تبرر تدخل الدول الاجنبية او اقالة الوزارة .

٤ - مشاورات متصلة للبحث عن الوزارة التى يمكن ان تخلف وزارة الوفد . ويجب ان تكون وزارة قادرة على التظاهر بالاستمرار فى مقاومة الانجليز ، تلافيا لثورة الراى العام من جهة ، وحتى يمكن تحويل التيار تدريجيا ، وفى هدوء .

٥ - البحث عن وسيلة للحد من الحريات العامة .. لان قتل القضية الوطنية لن يتيسر ابدا وهذه الاجتماعات تعقد ، والصحف تكتب ، والناس يقولون مايشاءون !

وتمت الخطة بحذافيرها .

فقد انتشر احساس غير ملائم بعدم قدرة الوزارة الوفدية على مواجهة

الموقف . ووصل الامر باحدى الهيئات - الحزب الاشتراكي - الى حد مناداة رئيسه احمد حسين باقالة الوزارة ، دون ان يفكر لحظة واحدة في الوزارة التي يمكن ان تخلفها ، وامكانية الاستمرار في المعركة ..

وانظر الاعتداء الوحشي على محافظة الاسماعيلية في استغزاز الناس واشعال غضبهم وتمرد جنود بلوكات النظام - ذلك التمرد الذي لم تتكشف الاصابع الخفية فيه بعد - وكان تضليل هذا الغضب سهلا نتيجة التوجيه الخاطيء الذي قامت به بعض الصحف ، موهمة الناس بان المعركة يمكن ان تكسب بالتخريب الداخلي والتحريض على ارواح الاجانب وممتلكاتهم . ولما انطلقت كل هذه العوامل وتفاعلت وسنحت الفرصة لعناصر الخيانة كلها ان تعمل على نطاق واسع : البوليس السياسي ، وعملاء الانجليز من نوع جماعة اخوان الحرية وغيرها .. اخذت هذه تعمل على تكميل المأساة .. وكانت قيادة الجيش الفاسدة كالاصابع في يد الملك ، فاستطاع ان يمنع الجيش من التدخل لحماية الامن .. حتى يعم الدمار بشكل جسيم يبرر الاجراءات التي ينوي الملك الاقدام عليها ... واحترقت القاهرة ! ..

وحين ذهب النحاس يطلب الموافقة على قطع العلاقات السياسية بانجلترا ، قيل له : تريث .. وتريث حتى احترقت القاهرة .. وطلب الملك اعلان الاحكام العرفية فوراً ، وكانت آخر اخطاء الوزارة ان وافقت على اعلانها وانطلق البوليس السياسي في دخان الحريق يقبض على جميع خصوم الملك ، وخصوم الفساد ، وخصوم الانجليز .. وقبل ان يتقنع الدخان كانت الوزارة قد اقيمت ، وكان البوليس السياسي مستمرا في عملية القبض ، فقبض على انصار الوزارة أنفسهم !

وفي اربع وعشرين ساعة .. اصبح الشهداء والابطال والفدائيون طريدي العدالة .. عدالة فاروق !

ومن يتولى الوزارة في هذه اللحظة الحرجة ؟ .. كان نجيب الهلالي معدا لهذا الدور منذ شهور . وخطوط السياسة التي سوف ينتهجها مرسومة له بدقة . ولكن مواجهة الوفد بالحرب مباشرة ، والوقوف في وجه التيار الوطني مرة واحدة ينطوي على خطورة بالغة . لذلك اتفق حافظ عفيفي والملك مع الهلالي على ان يتأخر دوره قليلا .. واتفق على ان يتولى الوزارة رجل يكون حسن السمعة عند الناس ، ويستطيع ان يجرى مع الجواد المندفع خطوات قبل ان يوقفه تماما .. فمن الرجل اذا ؟ .. على ماهر .

وكان على ماهر قد اعلن تأييده لالغاء المعاهدة . ورأس في مجلس الشيوخ لجنة اقرار تشريعات الالغاء . وسار في المظاهرة الصامتة التي نظمت حدادا

على شهداء القتال . ورشح ليرأس هيئة قومية تدير المعركة في القتال . .
فهو اذا يمكن ان يكون مقبولا عند الناس . وسوف يصدق الشعب حين يقول
فهو اذا يمكن ان يكون مقبولا عند الناس . وسوف يصدق الشعب حين يقول :
اننى عازم ايضا على اخراج الانجليز . . وسوف امهلهم اسابيع محدودة
والاحكام العرفية لن تبقى اكثر من شهرين . والبرلمان الذى الفى المعاهدة
سيبقى !!

وكان على ماهر مخلصا في هذا الكلام . وكان يعتقد ان الانجليز بعد ان
عرفوا ما يمكن ان يترتب على بقائهم في القتال لابد سيعيدون النظر في موقفهم .
وقد بدأت بوادر تراجعهم ايام معركة القتال بالوساطات التى كانوا يحركونها .
ورضى الوفد وايده . وحدد على ماهر موعدا لبدء مفاوضات سريعة قصيرة
مع السفير . . . وظن ان الامور تجرى الى غايتها .

ولكن القصر وجد ان على ماهر قد ادى مهمته . واستطاع ان ينفذ الصدمة
الاولى للقضية الوطنية بالبق طريقة ممكنة . وكانت خطته في الابقاء على البرلمان
الوفدى ، وتحديد اجل قصير للاحكام العرفية ، واجل آخر لانتهاء المفاوضات . .
كان معنى ذلك اما خروج الانجليز واما عودة الثورة الوطنية .

وفي يوم واحد . . وبعد شهر واحد من تأليف الوزارة . اعتذر السفير
البريطانى عن موعد بدء المفاوضات . واستقال وزيران من الوزارة - مرتضى
المراغى وزكى عبد المتعال - لان الرئيس لا يريد حل البرلمان الوفدى ومجاهرة
الوفد بالعداء والاستبـاك في معركة داخلية وهو يتـهـيا لمقابلة الانجليز . . وادرك
على ماهر عمق المؤامرة . . فقدم استقالته .

وذهب النحاس الى على ماهر يزوره ، ويقول له ساخرا : طيب انا طلعونى
ملشان حرامى ، وانت طلـعوك ليه يابطل ؟!

كان على ماهر حسن النية . ولكنه سوف يحتـمل امام التاريخ مسئولية
القاء الماء على النار الملتـهـبة في القتال . . . والطريق الى جهنم مفروش - ايها
القارىء - بالنوايا العلية !

وكانت مصر فعلا تسير في الطريق الى جهنم . . اذ الف نجيب الهلالي
وزارته .

الرجعية في صحوة الموت

عندما بدأ النحاس يؤلف وزارته في سنة ١٩٥٠ ، استدعى نجيب الهلالي قبل الجميع ، وعرض عليه أن يختار بين وزارة المعارف ووزارة المالية . وفوجيء النحاس بان الهلالي يرفض دخول الوزارة اطلاقا، وخرج النحاس الى الجماهير التي كانت محتشدة هائفة باستمرار امام بيته اثناء تأليف الوزارة ، وجذب الهلالي من ذراعه وقال للجماهير : قولوا له يقبل ! وصاحت الجماهير هائفة بالهلالي وزير المعارف ، ولكن الهلالي عاد الى داخل البيت ، واصر على الرفض . وبرر رفضه بأنه قرر اعتزال السياسة منذ زمن بعيد . ولم يصدق الحاضرون طبعاً . . وقال له النحاس كيف يكون معتزلاً السياسة وهو عضو في الوفد . . فقال الهلالي :
- الحقيقة انني اتخذت قراراً لن احيد عنه ابدا مهما كانت الظروف : هو ان لا ادخل قصر الملك ولا احلف يمين الاخلاص امامه . ولا اوقع على ورقة واحدة تحمل توقيعهم !

وادرک الحاضرون ان الهلالي مازال يعادي القصر منذ سنة ١٩٤٤ ، حين اوعز الي احمد النواب بتقديم استجواب عن ديون احمد حسين التي لم يدفعها للوزارة ، ورد الهلالي بأنه كوزير للمعارف سوف يتخذ اللازم لارغام رئيس الديوان على دفع هذه الديون . وعاد النحاس يحاول اقناع الهلالي بدخول الوزارة ، دون ان يبلغ من ذلك شيئا .



نجيب الهلالي

وليس صحيح ما قيل من انه رفض دخول الوزارة احتجاجا على فساد وزارة النحاس سنة ١٩٤٤ ، ولو كان ذلك حقا لخرج مع مكرم عبيد ، ولما نهض بأكبر العباء في الدفاع عن وزارة الوفد ضد اتهامات الكتاب الاسود . ومع ذلك فهذا الرجل كتب عليه ان يكون آخر وزراء الملك السابق . وان يسجل عنه التاريخ انه صاحب آخر محاولة لتوطيد فساد فاروق ، والتمكين لظلمه ، والتطوع لارادته فما الذي اصابه ؟

ليس الهلالي هو موضوع هذا الكتاب وهو لا يعنيننا هنا الا بقدر ما كان آلة في يد فاروق ، واداة لتزيين فساد . ويكفى ان نقول انه قضى السنة السابقة على توليه الوزارة في اتصالات مريبة مع رجال القصر الذي اقسام ان لا يدخله . ومقابلات مع المسؤولين الانجليز الذين مروا بمصر مثل مستر ستوكس وزير الدولة البريطاني في حكومة العمال . وكانت هذه المقابلة - مثل غيرها - تبدو غير مفهومة : والهلالي ليس رئيس حزب ، وليس رئيسا سابقا للوزارة . . . ولم يعرف ان بينه وبين وزراء الانجليز « استلطاف » سابق او ود قديم . . . الا اذا كان آتلي ورفاقه قد بلغهم صيته في ابتكار النكتة ، فارسلوا رسولا من عندهم لينقل اليهم آخر مبكراته .

فالذي يهمنا هو ان الهلالي ، كان السياسي التعيس الذي اختير لكي يلعب الدور الاساسي في هذه المأساة . وانه لم يؤلف الوزارة بعد التحاس مباشرة الا لحكمة بليغة : هي ان لا يتلقى صدمة الانقلاب الاولى التي قد لا يتحملها . . . فاتفق مع حافظ عفيفي على تقديم على ماهر . . . لينهض بدور « رأس الحربة » . . .

وبهت الناس وهم يقرأون في الصباح خطاب تشكيل الوزارة . . . وكان الهلالي بارعا فزعم - كاذبا - ان الدستور سيحترم ، وان الاهداف الوطنية قريبة المنال . . . ليمهد بذلك لخدعته الكبرى : التطهير ومحاربة الفساد . . . والحكمة الماثورة تقول : ان العبرة ليست بالسيف . . . بل باليد التي تمسكه . . . فان السيف قد يكون في يد اداة لغاية نبيلة ، وقد يكون في اخرى اداة لارتكاب جريمة .

كذلك التطهير . . . انه سلاح لا غبار عليه . . . وامل لا يغيب عن خاطر شريف . ولكن العبرة باليد التي تنفذه . وقد بدا التطهير في يد الهلالي اكدوبة ضخمة ، وسخرية مريرة . لان الهلالي نفسه كان في يد الملك . وكان الناس يعرفون جيدا ان الملك هو الفساد الاكبر . . . وان جميع صور الفساد اهون كثيرا من فساد فاروق ، والحاشية ، والتابعين

وكان طبعيا ان لا يظهر للهلالي شيئا . . . وان يخرج من الوزارة بعد ثلاثة شهور . . . فاذا بكل دعاوى التطهير تتلخص في عشر ملفات خالية على مكتب وزير العدل ، مكتوب على غلافها رؤوس موضوعات ، وتحمل كلمة « تطهير ! » اما اهداف الهلالي الحقيقية فقد تحققت . . . ويجب ان نقرر ذلك انصافا للرجل الذي قيل انه فشل .

كان المطلوب من الهلالي هو :

١ - ان ينسى النابض فضية الجلاء والانجليز ، وكل الاشياء التي تشور لها الدماء .

٢ - أن يعطل الدستور ويلغى كل الضمانات المكفولة فيه أطول مدة مستطاعة
٣ - أن يؤدب اعداء النظام بشتى الطرق ، وأن يفرض الدل على الراى العام
حتى لا يرفع رأسه فى وجه الملك والانجليز مرة أخرى ، قبل وقت
طويل ... طويل .

وقد نجح الهلالى فى ذلك كله نجاحا باهرا .. واليكم «كشف» النجاح :
اولا - نجح الهلالى - باسم الملك - فى وضع القضية الوطنية على الرف .
وقد سلك الى هذه الغاية مسالك كثيرة . فقد اغرق البلاد عامدا فى سلسلة
مهاترات داخلية انست الناس انفسهم . وابتكر من المظالم والمفاسد والمساخر
والاستبداد ما حجب عن اذهان الناس مظالم الانجليز واستبدادهم ، وحرم
على الاذاعة والصحف ان يتحدث عن الانجليز بشر . بل لقد منع على الصحف
ان تنشر شيئا عن قضايا الشعوب الأخرى المكافحة ضد الاستعمار : ففى
تونس مثلا وقعت أحداث جسام لم تنشر منها الصحف شيئا .. لان حديث
الاستعمار ، وثورة شعب تونس عليه قد تذكر المصريين باستعمارهم ،
وثورتهم عليه . وكان زعماء تونس الهاربين الى مصر يعقدون المؤتمرات
الصحفية فى القاهرة ، ويهاجمون الاستعمار الفرنسى ويطالبون بتحقيق مطالب
الشعب التونسى . فتمنع الرقابة اى اشارة الى المؤتمر .

بل لقد همت وزارة الهلالى بمنع الوزيرين التونسيين الهاربين من قبضة
الفرنسيين من دخول القاهرة .. لولا تدخل الجامعة العربية واعلانها ان
الوزيرين فى ضيافتها !
واعندى الانجليز على سلطنة لحج وقذفوها بالقنابل ، وهرب السلطان ..
فمنعت الوزارة الصحف المصرية من الاشارة الى هذه الاحداث .. حتى
لا تسوء سمعة الانجليز ..

وكان زعماء العرب المراكشيين والتونسيين وغيرهم فى القاهرة يهزون
رؤوسهم اسى ، ويندمون على لجوئهم الى مصر ، وكان زعيم منهم يقول . ان
الحكومة المصرية لاتدافع عن الاستعمار الانجليزى فى مصر فقط ، بل تدافع
عن كل انواع الاستعمار فى جميع البلاد !

ثانيا - نجح الهلالى - باسم الملك - فى تعطيل الدستور واهدار كافة
الضمانات الموجودة فيه . وان كنا نلاحظ انه نجح هنا « بالغش » من
زيور باشا ! فقد عطل زيور الدستور واوقف الحياة النيابية سنة ١٩٢٥
بدعوى انه يصدد تعديل قانون الانتخاب تعديلا يضمن تمثيل راى الامة تمثيلا
صحيحا . وكانت هذه هى الدعوى التى استند اليها الهلالى ايضا فى
تعطيله الدستور .

والغريب ان الرقابة المفروضة كانت تحرم على الصحف ان تشير الى ان الدستور معطل . او ان الحياة النيابية موقوفة . بل كان عليها اذا شاءت ان تتحدث عن الدستور ان تقول ان الدستور محترم ، وان الهلالي يؤمن بالحياة النيابية ايمانا لاحد له ! .. وكان الهلالي لا يتحرج من ان يقف يوم عيد الدستور في الناس خطيبا ، يشيد بالدستور ، وبالمملك الدستوري !! ..

ثالثا - نجح الهلالي - باسم الملك - في اضطهاد الناس واذلالهم . وان كان ينازعه في شرف هذا النجاح وزير داخلية السراي . . احمد مرتضى المراغي . فقد تمسك ببذعة حظر التجول . وصباح الجنود في العابرين : قف . . من انت ! ومع انه كان واضحا ان هذا الحظر لامعنى له . . فلم يشأ المراغي - باسم الملك - ان يلغيه مرة واحدة . . بل اخذ يقلل ساعاته . . من السادسة الى التاسعة . . ثم الى العاشرة . . ثم الى الثانية عشرة . . حتى لم يبق الحظر الا اربع ساعات فقط . ولم تكن الثورة التي يخافون منها ستتشب في هذه الساعات بالذات ولكن ابقاء الحظر كان لاشعار الناس بان السلطة المطلقة في يد الملك لها ان تفعل بحياتهم ما تشاء . . وليظل الجنود في الشوارع شاكي السلاح !

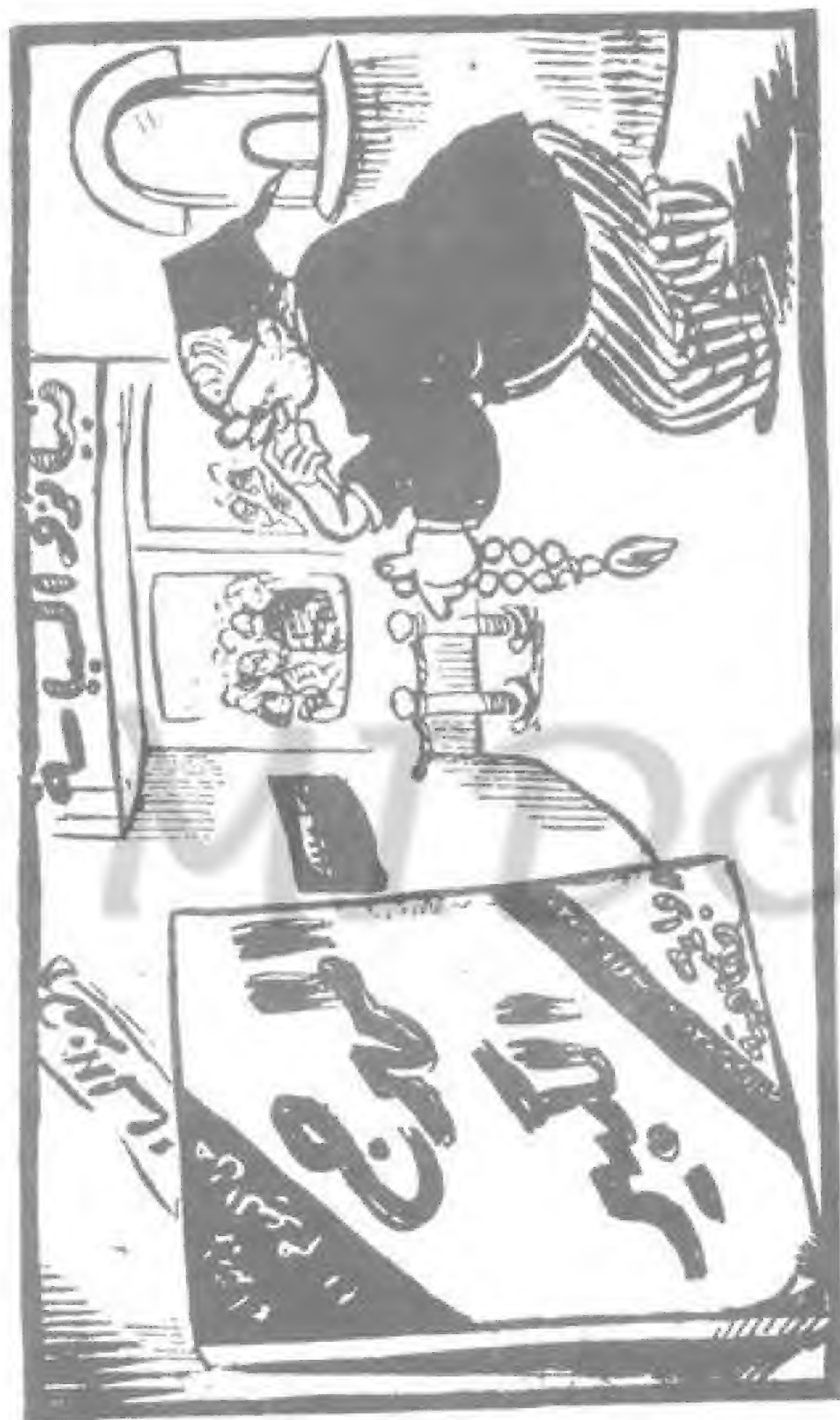
وفتحت الوزارة ابواب المعتقلات . وحددت اقامة سراج الدين وعبدالفتاح حسن . وكان ذنب المعتقلين انهم هاجموا الملك وشهروا بالفساد علنا . فكان لابد من تلقينهم درسا في احترام الملك ، وتوفير الفساد ! .

ولما ترايدت المعارضة المكتومة مطالبة بالافراج عن المعتقلين . . صرح وزير الداخلية المراغي - او وزير الدعاية زعلوك لست ادري - صرح بان عدد المعتقلين لا يزيد عن ٤٤ معتقلا . وكان سيف الرقابة مسلطا على الاقلام ، فلم يستطع احد ان يقول الوزير : انت كاذب ! فان عددهم ٢٨٦ ! .

وقد تصادف يوم صدور هذا التصريح الرسمي الكاذب ، ان كان الاستاذ سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة يزور بعض المعتقلين في هاكسيب . وقال له المعتقلون : انظر . . انا مثاب ! وعجب الرجل ، الذي لم يكن يتصور ان الوزراء يكذبون حقا ، وبهذه الجراءة !

ولكن الظلام كان دامسا ، فأصبح الوزير يستطيع ان يكذب دون ان يرى الناس وجهه ! .

وكان الاحرار الذين بقوا خارج الاسوار يجتمعون ويخطون . . يقول قائل ان موجة اغتيالات لابد ستبدا . . ويقول ثان بل الخلاص في الفجار شعبي بعد هذا الضغط الطويل ، وينلقى ثالث - في البريد - نشرة بتوقيع « الضباط الاحرار » فيقول ان يريق الخلاص في اطراف البنادق ، واسنة الحراب .



رواية الاسبوع
 المصرى افندى يا ترى مين اللى يمثل الدور الاول ؟
 عن روز اليوسف ٢٨ يناير سنة ١٩٥٢

وكان للاحرار - خارج الاسوار - نشاطهم المكنوم ، وشعرهم الممنوع ،
ومصرخاتهم المخلوقة ، وادبهم السرى لسجل صرخة منها .. كتبها الصحفي
الشاعر اسماعيل الحبروك ، في اعقاب الحريق :

سأنام حتى لا ارى وطنى يباع ويشترى
ولمن يبيع ومن يبيع ؟ انجلترا لانجلترا !!

سأنام حينما يارفاق كى لا ارى شعبا يفاق
لعناق قاتله العزيز وشرب نخب « الاتفاق »
جزاركم يلهو بكم وبكفه دمكم مراق

سأنام كالطير الجريح كى لا ارى شعبى الذبيح
قد قيدوه وهددوه وقربوه من الضريح
حكموا عليه وكمموه فلا ين ولا يصيح

سأنام عن سوق الرقيق كى لا أحس ولا افيق
فارض المفاوضة التى بدأت على ضوء « الحريق »
وارى بلادى كالعريقة جاء بتقدها غريق

سأنام عن عهد القتال حلم تحقق فى القتال
اضحى الجهاد جريمة فلتسجدوا للاحتلال !!
من مات فر من الاذى ومن الهوان والاعتقال

سأنام قبل العاشرة وتنام مثلى القاهرة
نمنا وظلت بعدنا عين « المفاوض » ناهرة
وضعوا النصوص وجهزوا نعشا لعصر الثائرة

سأنام ، كلا لن انام وكل من حولى ليام
سأسير اصرخ فى الدجى متحديا هذا الظلام

ويقال قف .. من انت ؟
برصاصهم صنعوا السلام
او صيحة اخرى ، للشاعر مامون الشناوى توجه فيها بالخطاب لجنود
الجيش ... الذين ارسلتهم القيادات الفاسدة الى الشوارع ... جاء فيها :
قال لى الحارس قف من انت ؟ .. فى صوت ممدو
والسلاح الفاسد المنهوك قد صوب نحوى
وانتصاف الليل تنعاه النواقيس فتعوى
وانا فى قبضة الظلماء .. قد قيدت خطبوى

قلت للحارس قل من انت يا حارس قبل
انت يا مسكين مغلوب على امرك .. مثلى
هب حكامى ، وقوادى ، واعبدائى .. لقتلى
وغدا ينفجر المرجل .. فالمرجل يغلى !

هذه الطلقة .. سددها الى من ارسلوك
لا لاعدائك .. بل للاهل هم قد رسلوك
قم وسددها ، واطلقها ، على من جنسدوك
لا على السارى .. فقد يرمى بيمينك اخوك !

للذى تحرمه .. الراحة والحلم العطر
ولك الفاقة ، والاملاق ، والعيش القذر !
انت ان تبصره - يا حارس - كنت المنسحر
انت ان تخذله - يا حارس - كنت المنتصر !

بت يا مخدوع فى البرد وفى عصف الرياح
حارسا جلادك العاتى من القتل المباح
اترى يبقى طويلا .. جالسا فوق الرماح ؟
ان يطول الليل .. بل لابد ان ياتى الصباح !

لحساب الظلم والاذلال من غير مقابل
انت مجلود ، ومقنول ، وجلاد مقائل
غضببة من عزمك الجبار ، تمحو كل باطل
ليسود الخير ، والحق ، مع الشعب المناضل !

وقد تحققت أمنية الشاعر .. وغضب « الجندي » غضبه ولم يستطع
« الجلال » ان يجلس - طويلا فوق الرماح !

وقد بلغ الهلالي - لحساب الملك - قمة النجاح ، ووضع اقدامه الملوثة
بطين القصر على عنق الدستور الصريع ، حتى اختفى ذلك المبدأ الخطير الذي
يقوم عليه كيان الدولة كلها .. الا وهو مبدأ فصل السلطات وجعلها ثلاثا :
سلطة تشريعية ، وسلطة تنفيذية ، وسلطة قضائية !
فقد جمعت الوزارة - لحساب الملك - بين ايديها هذه السلطات الثلاث
جميعا : فهي سلطة تنفيذية بحكم وضعها الاصلى ، وهي سلطة تشريعية
تصدر التشريعات الشاذة صباح مساء بغير حساب .. وهي سلطة قضائية
لأنها تصدر احكاما باعتقال هذا واطلاق ذاك ، ولأنها لا تنفذ الاحكام التي
تصدرها السلطات القضائية كمجلس الدولة .. فاذا ضاقت بهذه الاحكام
اصدرت تشريعا يمنع مجلس الدولة من مناقشة تصرفاتها الخارجية عن
القانون .

وهكذا اصبح الهلالي حاكما مطلقا بغير حزب ولا دستور ولا قضاء ولا قانون
والهلالي العوبة في يد الملك . فالملك اذا هو الحاكم المطلق بغير حزب ولا
دستور ولا قضاء ولا قانون . ومن اجل ذلك كتب الملك السابق اليه قبل
نزوله عن العرش يومين يقبل استقالته ، ويشكر له « ولاءه واخلاصه »
قلعه يكون - كالعهد به - على الولاء والاخلاص مقيم !!
ولا يملك الانسان نفسه من الانسى ، حين يتأمل هذا الصرح الظالم غير
المشروع الذي وقف على قمته الطاغية .. فيجد ان الذين اقاماه رجلا من
رجال القانون والتشريع : نجيب الهلالي الذي بنى مجده على انه رجل قانون .
وكامل مرسي عميد كلية الحقوق ، والمستشار بمحكمة النقض ، والرئيس
الاول لمجلس الدولة

ما معنى القانون عند هذين الرجلين ، وما هي حرمة ؟ . هل اتفقا حياتهما
في دراسة القانون وتدريسه لكي يصبح شيئا له قداسة عندهما وله حرمة . ام
كان ذلك لكي ينبغا في انتهاك القوانين ، والاتواء بها ، ووضعها مطية طيعة
لحاكم فاسق جاهل مستبد .. يعمل ضد شعبه - وشعبهما - على
طول الخط ؟ ..

وماذا افاد الهلالي وكامل مرسي وغيرهما من هذه « الخدمة » ؟ ..
انا نفهم الخيانة ، والزلفى ، وكل شيء من هذا القبيل .. اذا صدر من
رجل ناقة امعة يريد ان يصل او يشتهر ، او يثرى . اما من رجال صنعوا
مجدهم بايديهم .. وارتفعوا بجدهم واجتهادهم .. فهذا غير المفهوم ..



الاستثناء الذي اقره الجميع !! عن روز اليوسف ٧ يوليو سنة ١٩٥٢

ووجد الملك الذى قبض على مصر بمخالب جارحة .. عليها اسماء الهلالى
وحافظ عفيفى ومرضى المراضى .. وجد زعماء يؤيدون كل هذا الظلام ..
وحزبين - السعديين والاحرار الدستوريين - يؤيدان كل هذه المقاسد ..
لسبب صغير بسيط : هو امل كاذب فى الحكم !
فلماذا لا يظننى الملك ؟ لماذا لا يقف على خراب مصر ضاحكا صاخبا منتصرا
وبين يديه زبانية يقيدون له الثوار ، وينكلون بالاحرار ، ويقولون له : لامولى
مسواك ! ...
لماذا لا يؤمن الملك بان اى قوة لا يمكن أن تقف فى طريقه، ولماذا لا يقول حين
تجيئه ابناء تمرد الضباط : انهم حفنة من « العيال » سوف اربيهم جميعا ؟!

MIDO



المصري الفندى : امتى ربنا جيتوب على من لعب القمار
عن روز اليوسف ٧ يوليو سنة ١٩٥٢

أزمة الجيش

يستطيع الحاكم ان يقيم لنفسه عرشا من الخراب .. ولكنه لا يستطيع ان يجلس عليه !

وقد انطبقت هذه الحكمة على فاروق الى اقصى حد .. فبعد هذه السموات من الخطايا ، لم يعد العرش يستند الى محبة الناس ، او نصوص الدستور ، او قواعد العدالة .. بل أصبح لانسندة الا القوة المسلحة التي في يده ، والتي يستطيع ان يوجهها الى صدور الناس اذا مافكروا في التحرك . وكان واضحا ان كل فرد في الشعب يكرهه ، وان كل جهة لديها اسباب للنقمة عليه . حتى لم يعد بقاء الملك مستندا الى شيء الا الى قوة الجيش . وكان الاحرار يترقبون الساعة التي يتخلى فيها الجيش عن حمايته ، ليقطع . وكان فاروق احمق مما توقعوا .. فلم يجعل الجيش يتخلى عنه فقط ، بل يقف ضده ، ويخلعه .

والذي يكشف عن مدى حماقته ، انه كان يعرف شيئا عن تمرد الجيش واحتمال انقضاضه عليه .. حتى ذهب يؤلف فرقة سودانية من رجال الاحراش .. كالفرقة السويسرية التي ظن لويس السادس عشر انها سوف تحميه من مواطنيه الفرنسيين !!

وكان هذا الانسان الدنيء ، ومن حوله من الاوساب - يحكم حياتهم الخالية من معنى الكرامة - كانوا يحسبون ان كل شيء يمكن ان يشترى بالمال ..

فحاول ان يشترى الجيش بالميزايا والترقيات .. بدلا من ان يكتسبه بالعدل والسلوك النظيف ، والقادة الاشرف .

وبدأت بوادر السخط تظهر منذ كانت حرب فلسطين ثم قضية الجيش .

واصبح هذا السخطا سافرا صريحا مسجلا ، حين بدأت تخرج الى حيز الوجود منشورات « الضباط الاحرار » .

ولكن الحاكمين بامرهم كانوا لا يدركون قيمة « الكلمة المطبوعة » وكيف تتحول

مع الزمن الى اعمال ، وتحولات كبرى ، وانفجارات .. فقالوا : انها عيب اطفال .

ولم يكن حسين سرى عامر هو سبب



حسين سرى

السخط وسبب الحركة .. ولكنه فقط السبب المباشر .. او العامل الذي تبلور فيه السخط ، كما يحدث في جميع الحركات .
وكان الملك يريد ان يضع على رأس الجيش هذا اللص ، الفاسد ، والمتهم في ارتكاب جريمة اغتيال دنيئة ، على قارعة الطريق ، وكان عذره ان هذه الأثم كلها لحساب سيده . اراد الملك ان يضع هذا اللص على رأس الجيش مضحيا بحيدر ، عبده القديم ..

وظهرت الاقتراحات في صفوف الحاشية من الخدم والحلاقين : ان يرقى حسين سرى عامر كبيرا للياوران ، ثم يعين قائدا عاما بعد طرد حيدر . او ان يطرد حيدر ويرقى حسين فريد قائدا عاما ويصبح حسين سرى عامر رئيسا لهيئة اركان حرب الجيش .. او يصبح وزيرا للحربية .. ويرأس حيدر نفسه .. والجميع ! ..

وكان الجيش قد صمم على طرد هذا الرجل من صفوفه ، ومقاطعته كما يقطع المريض ، او الوباء ..

واجتمع الضباط في ناديهم ينتخبون مجلس الادارة فانخبوا « الضباط الاحرار » .. ووضعوا على رأسهم خصم حسين سرى عامر الرئيس : محمد نجيب .. ورفضوا انتخاب مندوب عن سلاح الحدود الملكي .. من اجل رئيسه الملوث .. ووقفوا دقيقتين حدادا على عبد القادر منه ، تشهيرا بجريمة حسين سرى عامر !

وفار سرى عامر .. ثم نارت الحاشية .. فشار الملك كالمركان .. واقسم بكل ما في طغيانه من اندفاع انه سوف « يدوس » هؤلاء الضباط . وحاول حيدر ان يكون رجلا ، وان يتصنع ، فصاحوا في وجهه ، واعلنوه بأنه مفسدول ! .. وكان حسين سرى قد الف الوزارة .. واراد ان يعين نجيبا وزيرا للحربية واراد الملك سرى عامر ، وقال انه لن يسمح لقصة عرابي بان تتكرر ! .. وتأزم الموقف .

ودخل حافظ عفيفي يوما على رئيس الوزراء ، يقدم اليه مذكرة مكتوبة بالقلم الاحمر بها ما يأتي :

« يعتبر حيدر مفسدولا من منصبه اذا لم يعمل الاثني في خمسة ايام :

اولا - حل مجلس ادارة نادي ضباط الجيش

ثانيا - نقل ١٢ ضابطا (هم أعضاء المجلس) ..

وبروي محمد هاشم ان حسين سرى سأل حافظ عفيفي :

- هل انت كاتب هذه الورقة ؟

- لا

- هل كتبها الملك ؟

— لا —

— اذن .. من الذى كتبها ؟

— اظن انه الشماشرجى عزيز

— هل تعرف الضباط الاثنى عشر ؟

— لا .. لكن من اعطانى الورقة قال ان حيدر يعرفهم !! .

هكذا كان حافظ عفيفى ، رئيس الديوان الخطير ، الذى يقبل الوزارات ويتصرف فى مصائر البلاد .. هكذا كان حافظ عفيفى يذهب كالخادم الذليل بحمل ورقة كتبها «شماشرجى» .. لينفذ اوامرها .. دون ان يناقش فى التفاصيل .. او يعرف على الاقل من المطلوب فصلهم !! .



محمد حيدر

واستدعى حسين سرى الفريق الكبير حيدر ، وطلب منه ان يدرس هذا الطلب ثم يعيده برأيه .. وكان حيدر فزعا على المنصب الذى سيطر ، متلهفا على العودة الى حظيرة الرضاء السامى .. فأسرع يحل مجلس ادارة النادي .. ولما نهره حسين سرى على ذلك لم يجد دفاعا عن سلوكه الا قوله .

— انا كنت حائرت يا افندم !! .

واستقال حسين سرى حتى لا يتحمل مسئولية تصرفات الملك التى ينقذها دون ان يقيم وزنا لرأى رئيس الوزراء .

واسرع الهلالى يقبل الوزارة — لاهثا — بعد ان قضى الاسبوعين اللذين عاشت فيهما وزارة سرى ، يحاول ان يلبس ثياب المتعففين !! .. وكان معنى قبول الهلالى للوزارة ، بعد هذه الازمة ، انه سوف ينفذ ما رفض سرى تنفيذه . وأنه سيخضع لرغبات الملك الى آخر حد .. او بالاحرى الى غير حد . وتحقق هذا الظن حين نظر الناس الى مقعد وزير الحربية الذى نارت حوله الازمة ، وتطاير الشرر ، فوجدوا الهلالى قد اجلس عليه : اسماعيل شمرين .

وفي الصباح التالى ، التاريخى ، ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، سمع الناس فى الراديو صوتا غريبا يقرأ عليهم بيان القيادة العامة الاول ... وخرج الناس من بيوتهم الى المدينة ، وقد أصبح لها حاكم جديد ! ...

وكان البيان قد اعلن ان هدف الجيش احترام الدستور ، وختم باللجوء الى ظل الدستور . فشمع الناس ان الحركة ليست لحساب الجيش فقط ،

بل ولحسابهم ايضا .. وانفجرت موجة التأييد تكتسح كل شيء ، وتمهد للعمل القادم العظيم !!
وليس هذا المجال بمجال تاريخ حركة الجيش .. ولكننا نمضي مع تطوراتها السياسية .. فنجد حافظ عفيفي يحاول أن يذهب الى القصر « ليتحف » سيده بمشورة جديدة فيمنعه الجيش . ثم نجد الهلالي وحافظ عفيفي والوزراء مجتمعين في بولكلي قد اخذهم الروع ، ويحاول رئيس الديوان أن يتصل بسيده في التليفون فيرد عليه محمد حسن ، الخادم الخاص .. ويقول حافظ عفيفي انه يريد أن يتصل بالملك .. فيرفض محمد حسن ! ويطلب من رئيس الديوان أن يقول له ما يريد ليقوم هو بنقله الى الملك ! ...
ويحاول أن تفهم بعد ذلك - ايها القارئ - ايهما رئيس الديوان وايهما الخادم الخاص : حافظ عفيفي أم محمد حسن !!
وألف على ماهر الوزارة بناء على طلب الجيش .. وكان هذا هو الطلب الاول ...

وطلب الجيش من علي ماهر أن يبلغ الملك المطلب الثاني : طرد رجال الحاشية .. الياس اندراوس ، كريم ثابت ، حلمي حسين ، حسن عاكف ، محمد حسن

ونجح الجيش تماما في اخفاء غرضه الاساسي من الحركة . وذلك بالرغم من المحاولات الهائلة التي بذلت لمعرفة الاهداف النهائية .. حتى لقد ذهب بعض الجواسيس بقرحون على اللواء نجيب خلع فاروق .. ليحبسوا النبض ... فتظاهر الجيش بأن هذا عمل خطير ، لم يدخل له في حساب ...



اللواء محمد نجيب

وذهب على ماهر الى الاسكندرية ليحصل على موافقة الملك على الطلب الثاني ... وخلفه تحركت قوة من الجيش .. بدعوى الاستعداد ، واشمعار الانجليز بأنهم لا يقبلون أي تدخل .. وفي اليوم التالي ذهب محمد نجيب الى الاسكندرية .

وفي صباح ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ... رأى سكان الكورنيش مع بزوغ الصبح خطا طويلا من الدبابات يزول الطريق ذاهبا الى قصر رأس التين ... في نفس اللحظة التي رأى فيها جيران

القصور الملكية في عابدين والقبة والمنتزه حصارا قويا تتصل حلقاته حول القصور

ووقعت غلطة بسيطة ، كان لها دور باهر في النتيجة الباهرة فقد كان المفروض ان تتقدم الدبابات الى قصر رأس التين حتى تقف عند مداخل الميدان وان يقف المشاة وراءها استعدادا

ولكن المشاة تقدمت الدبابات خطأ ، واقتربت جدا من قصر رأس التين .. وراى جنود الحرس الملكى من الهجانة هذا الزحف القادم ... وأسرعوا يتخذون موقف « الاستعداد » امام مدافع الفيكرز التى اقيمت منذ بدأت الحركة في حديقة القصر ...

وفي نفس اللحظة كان اللواء محمد نجيب يستعد للذهاب الى ماهر ، يقدم له الانذار الاخير بطلب عزل الملك
وبدأت النهاية ...

MIDO

مكتبة

WWW.MIDOLIBRARY.COM ٢١٧

النخلة

آه لو اتعظ الناس في نهارهم بالمغيب ،
وفي ليلهم بوحشة السكون !
تتيسون



كان فاروق - حين جاءته اول انباء الانقلاب - في قصر المنتزة . ولم تكن قوة الحرس الموجودة في القصر تزيد على ٣٠٠ جندي وضابط . . . وكانت اول اوامر فاروق بعد الحركة ان امر جنود الحرس الحربي باتخاذ موقف الاستعداد على ابواب القصر الخارجية ، في حين وقف بوليس القصور الملكية عند الابواب الداخلية للحرملك . الذي بات فيه الملك ، والاسرة ، والحاشية ولم يطمئن فاروق الى هذا المقام ، فانتهر اول فرصة وانتقل مع اسرته وحاشيته الى قصر راس التين . فهو هناك يجاور قشلاق الحرس الذي توجد فيه القوة الرئيسية - حوالي ٨٠٠ جندي - ويجاور الميناء ، واليخت ، والبحرية الملكية ! . .

ومع ذلك فقد كان فاروق يعتقد ان العاصفة الرئيسية مرت بقبوله التخلي عن افراد الحاشية وطردها من القصر - وقد كذب على الجيش ولم يطرده بوللى بالذات . وظن ان الباقي لن يزيد على بعض طلبات اخرى . . . اهون . وظل فاروق على هذا الاطمئنان حتى الساعة السابعة وعشر دقائق من صباح السبت ٢٦ يوليو . . اذ تقدم مشاة الجيش من اسوار القصر ، ومعهم عربتان من حمالات البرن المدرعة .

ورأى أحد ضباط الياوران الطابور الزاحف من احدى الجهات ، فأطلق من مسدسه طلقة في الهواء ، لتحذير من الاقتراب ، ومن ناحية الميناء ، اطلق جنود الهجانة بعض دفعات من مدافع المفكرز على القوة الزاحفة ، التي ردت بالمثل

وارتفع صياح مدعور من جناح الحرملك ، مصدره الوصيفات و « الكلفوات » (١) . وأسرع فاروق - وكان منذ الحركة يستيقظ في ساعة مبكرة جدا - اسرع يأمر الاميرالاي أحمد كامل قائد بوليس القصور الملكية بان يتصل بقشلاق الحرس ويكلف أحد الضباط بان يتوجه الى الجيش لايقاف الضرب .

وخرج من قشلاق الحرس يوزباشي يحمل علما ابيض متوجها الى قائد قوة الجيش التي تحاصر القصر وتقل له هذه الرغبة . . . وقال قائد قوة الجيش انه يسره جدا ان لا يقع أي قتال بين مصريين

(١) الكلفوات عبارة عن أنسات تركيات . يختارهن القصر وهن صغيرات السن من اللقيطات من ملاجيء تركيا ! . . وفي مصر يربين تربية خاصة لكي يصبحن رفيقات وخادمات خصوصيات للملكة والاميرات . وكان عدد الكلفوات الموجودات في قصر راس التين يوم التنازل ستة .

وعاد فاروق بعد قليل يسأل الاميرالاي أحمد كامل : الجيش اوقف الضرب
فقال احمد كامل : ايوه يا افندم
وكان فاروق لا يتصور أن المسألة متصلة بعزله ، فقال لاحمد كامل : هما
طالبين ايه تانى ؟ .. ما انا قلت اللي عايزين يعملوه .. يعملوه ...
ثم استدعى اللواء عبد الله النجومي وكلفه ان يخرج ليتساءل عن سبب
الحصار ، وخارج اللواء النجومي ، ولكن قوة الجيش اسرته ، وارسلته مخفورا
الى معسكر مصطفى باشا .

وكان القصر قد اتصل بعلى ماهر وبالسفير الأمريكى ...
وجاء على ماهر اولاً .. وكان الملك واقفاً في شرفة داخلية فأسرع اليه .
وسأل فاروق في ذعر عن الحالة ، فطمأنه على ماهر على حياته . وقال انه
ذاهب الان الى بولكى حيث يلتقى باللواء محمد نجيب . وسوف يحيط الملك
علما بكل شيء .

وخارج على ماهر ... وفي بولكى دخل عليه اللواء محمد نجيب يحيط به
ضابطان . وقدم - في هيئة عسكرية - ورقة هي اخطر وثيقة عرفتھا مصر
منذ سنوات طويلة .

وبالرغم من أن الانذار كان مفاجأة لعلى ماهر ، الا أنه لم يكن ابعد مما كان
يتصور . وسأل : هل عملتم حساب كل شيء ؟

فرد محمد نجيب : نعم .. وقد فات وقت المناقشة في هذا الطلب !
وناقش على ماهر قليلاً في صيغة الانذار ، ثم مضى الى القصر ...
ودخل على ماهر الى حجرة في السلاملك المطل على الميناء كان فاروق
ينتظره فيها .. ووجد على ماهر ان فاروق مايزال في حالة قلق شديد ..
فقال له : يا مولاي .. الشعب ثائر .. والجيش متحفز .. وانا شايف ان
جلالك تضحي وتتنازل عن العرش فتتحاشي اى احتكاك ، وتضمن العرش
لابنك .

وفكر فاروق لحظة . ولم يقب الموقف عن باله . ولم يسمح له ذعره ،
ويأسه ، وتحلل شخصيته بأى مساومة أو مقاومة ، فقال بعد لحظات : طيب
ثم طلب أن يصحب معه ولى عهده ، فوعده على ماهر بذلك ...

وأخرج على ماهر من جيبه الانذار الموجه من الجيش ليطلع عليه ...
وقراه فاروق وهو يرتجف ، وقال مصعوقاً : لكن دى لهجة عنيفة قوى ..
وما تصحش في موقف زى ده ...

فقال على ماهر : انه لم يحمل اليه الانذار الاول ، وانه بذل جهده في اقناع
الجيش بتخفيف الصيغة حتى جاءت على هذا النحو
واذعن فاروق مرة أخرى . وقال : لازم الانذار الاول كان فظيع جداً ..
اما الانذار الذى قراه الملك ، فكان يقول :

الملك . وقال فاروق للأميرالاي أحمد كامل :
- رد أنت على لسانى .. قول أولا عبد المنعم .. ده راجل طيب ووالدى
أوصانى عليه . وشريف صبرى علشان خالى ، ولو ان علاقاتنا كانت مش
ولابد . وبغدين اسماعيل شيرين .. ده جوز أختى وأنا احبه .. ولو انى
اعتقد انهم مش حيوا فقوا عليه
وانتهت المكالمة التليفونية

وسأل فاروق عن حلمى حسين .. فقليل له انه فى قشلاق الحرس
وكان حلمى حسين قد أعد عدته للهرب الى المملكة العربية السعودية .
وجاء تلك الليلة مصادفة ليبيت فى قشلاق الحرس ، فوقع فى المصيدة
وقال فاروق : ده تسلموه للجيش ...

وذهب يوزباشى من الموجودين الى القشلاق فأحضره خطا الى الحجرة
التى يجلس فيها فاروق ... وصاح فاروق : مين قال لك تجيبه هنا ...
وكان حلمى حسين يبكى ويتوسل : خدنى معاك يامولاي .. خدنى معاك .
دول حيقنلونى ...

وتجاهل فاروق توسلاته ، وقال للضابط الذى جاء به : سلمه للجيش
وخرج به ضابطان ، يجرانه ويسندانه ، وهو يكاد أن يقع مغشيا عليه ،
حتى تسلمه الجيش

وفى جو القاعة الكئيبة ، والضباط يقفون متباعدين ، مطرقى الرؤوس ،
جاء من يعلن وصول سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة ، ويحمل وثيقة
التنازل ...

وقاد الاميرالاي أحمد كامل الاسناد سليمان حافظ الى قاعة كبيرة ...
ثم مضى ليخبر الملك .. وبعد قليل جاء الملك .. وصافح سليمان حافظ .
وأخرج سليمان حافظ وثيقة النزول عن العرش وقدمها اليه . وقرا
فاروق فيها بسرعة :

« نحن فاروق الاول ملك مصر والسودان
لما كنا نتطلب الخير دائما لامتنا ونبتغى سعادتها ورقياها
ولما كنا نرغب رغبة اكيدة فى تجنب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه
الظروف الدقيقة . ونزولا على ارادة الشعب

قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الامير أحمد فؤاد
وأصدرنا امرنا هذا الى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا
رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه

صدر بقصر راس التين فى ٤ ذى القعدة سنة ١٣٧١ - ٢٦ يوليه سنة
١٩٥٢ »

ولم يرتج هذا الذى لم يعرف الا ارادته لعبارة «نزولا على ارادة الشعب»

وكانه اراد ان يدمغ آخر وثيقة لحكمه بارادته التي لم يقف في وجهها شيء ، فقال سليمان حافظ : هذا مفهوم ولا يحتاج الى اضافة

وغير فاروق رايه فجأة.. وقال لبوالى : بلاش يا «بلبل» . دقيقة من عمرك فقال الملك : اذا كان مفهوما كما تقول فلا مانع اذا من أن أضيف العبارة . فقال سليمان حافظ انه لا يملك ان يتصرف بالتغيير في عبارة الوثيقة .. وأمسك الملك بالقلم ، ووقع في ذيل الوثيقة كالمعتاد ... ولكن التوقيع جاء مضطربا ، فقال : الامضاء واضح ؟

قال سليمان حافظ : نعم

قال الملك أحسن امضى ثانى فوق ... علشان يجى الامضاء غير مضطرب! كان وكأنه لا يريد ان يترك القلم ... وحين تركه ، كان قد فقد عرشه ، ولم يعد ملكا !

وأبدى الملك السابق بعض الرغبات .. ان يأخذ معه بوالى ، وأن تحفظ أمواله لاولاده ، فوعد سليمان حافظ بنقل هذه الرغبات الى رئيس الوزراء وخرج ...

ولم يبق الملك السابق لوحده طويلا، اذ عاد - أو عاد اليه - ضباط الحرس الموجودون... وقد وجدوه يبكى وجسده الضخم يهتز كله. وبكى الضباط وصاح فيهم الملك السابق : انتوا بتعيطوا ليه ؟ .. خلاص كفاية .. وحاول الضباط ان يسكتوا . وصدق الملك السابق في النافذة برهة ، ثم قال وهو يشير الى المدينة : انتوا فاكرين ان « الطينة » دى مش عزيزة على ؟ ...

وتقدم الاميرالاي أحمد أبو النصر قائد الحرس وقال للملك السابق : يامولاي ... احنا كنا عارفين حاجات كثير عن الحالة .. لكن ما كناش بنقدر نوصلك .. وللأسف ما كناش الواحد بيقدر يؤدى واجبه أكثر من ضابط ...

فقاطعه الملك السابق : بلاش الكلام ده دلوقت يا أبو النصر .. أنا عرفت كل حاجة ، لكن متأخر صحيح واستطرد الاميرالاي : يامولاي .. احنا لنا رجاء اننا نسلم بوالى للجيش زى ما سلمنا حلمى حسين ...

ورفض الملك السابق قائلا ان بوالى عزيز عليه ، وقد خدمه كثيرا . فقال له أحد الضباط : لكن يامولاي المفروض أن بوالى طلع من السراى . ويبقى الموقف ايه لو الجيش فتش المحروسة ووجده فيها ... وأصر الملك السابق على أن يصحب بوالى ...

وذهب أحد الضباط الى الحرمك واقترح على الملكة ناريمان أن تحاول اقناع الملك السابق بترك بوالى ... وذهبت اليه الملكة ، فما أن رآها حتى

قال في صوت جاف : انت جايه تعملى ايه ؟...
 فعادت من حيث اتت ، دون ان تنطق بكلمة ، وهى تكتم بكاءها ...
 واسرع احد الضباط الى الحجرة التى يجلس فيها بوللى وصاح فيه :
 يا اخى انكسف .. الراجل جوه مش عايز ياخذك ومكسوف يقول لك ...
 ادخل وقول له انك مش حنسا فر معاه ...
 فرفض بوللى وقال انه سيسافر معه
 وذهب الضابط مع بوللى الى الحجرة الموجود بها الملك السابق . وانتحى
 الملك السابق مع بوللى جانبا فى الحجرة برهة ، ثم قال الملك : يا جماعة ..
 بوللى جاي معايا .. ويقول انهم اذا ضبطوه حيزرب نفسه بالرصاص .
 فرد الضابط : يامولانا ... آدى مسدس ، وقدامه ٣٠٠ حجرة يضرب
 نفسه فى اى حجرة منها ...
 وغير فاروق رايه فجأة . وقال لبوللى : بلاش يا بوللى . دقيقة من عمرك
 احسن ...
 وخرج احد الضباط به من القصر ، وسلمه الى الجيش ...
 وعادت الهواجس الى الملك السابق من جديد ... وكان يترك الضباط
 ورجال السراى الباقين ليمشى وحده فى ردهات القصر ثم يعود اليهم .
 وقال لهم مرة :
 - اعمل ايه فى البنات ؟ دى مشكلة .. وخصوصا فريال اللى على وش
 جواز ... دول حبيعبوا سواء سافروا معايا او بقوا فى مصر ..
 واقترح عليه احد الحاضرين ان تبقى فاديه مع امها ، وان ياخذ الاميرتين
 فريال وفوزية
 وامر باحضارهن من الحرملك . ولما دخلن قال فاروق لفريال :
 - يا « فيري » انا شفت ان فاديه حستنى هنا .. وانت وفوزية ايه
 وايكم ؟...
 وبكت فريال ، وقالت له : انت لازم مش بتحبنا ، علشان ما قلتش
 Decision (قرار)
 واغرورقت عينا الملك السابق مرة ثانية ، وقال انه سياخذهن جميعا .
 ومضت ساعات العصر ثقيلة بطيئة ... لم يخل فيها الملك السابق الى
 جناحه الخاص الا قليلا ... اما اكثر الوقت فقضاه سائرا على قدميه فى
 ردهات القصر ، او واقفا عند هذه النافذة ، او تحت هذه الصورة ...
 وراى الحقائق الكثيرة تحمل الى المحروسة فقال : ايه الشنط دى كلها ؟
 فقيل له : انها طعام للرحلة ..
 واستطرد : انا مش عاوز عفش كثير ... خدوا لى بدلتين .. « خفاف »
 بس ...

وكان عدد الحقائق التي حملتها السفينة ٢٢ حقيبة فقط . وليس ٢٠٠ كما قالت الصحف

وجاءت الساعة الخامسة والنصف ...

وعلى رصيف رأس التين كانت قد وقفت قوة من الحرس على هيئة قسره قول شرف . وكان هناك على ماهر ، وجيفرسون كافري السفير الامريكى ونزلت الملكة ناريمان والاميرات الصغيرات ، وذهبن الى اليخت مباشرة . وبعد قليل ظهر الملك السابق يلبس بذلة بحرية ... كان في جسده الضخم البدن ، والمأساة التي خلفه ، يبدو كأنه أسطورة مربعة ... وهبط سلم القصر وهو ينظر حوله نظرات زائفة ... وسار امام قرقول الشرف . ويرق الحرس ينزل من الصاري ، ثم تقدم اليه ضابط يحمل البندقية ، فأخذه الملك السابق ووضعها مطويا على ذراعه ...

وما اعجب الدورة .. فهذا الملك الذي تربى اميرا ، وليس له صديق الا الخدم ... مرت به السنون ، وساد البلد ستة عشر عاما ... وهو يسافر وليس له صديق الا نفس الخدم : ثلاثة البانيون ، وبيئرو الحلاق ، وكافاتيس ... وعلى الرصيف وقف يودعه نفس الرجل القصير ... الذي استقبله منذ ستة عشر عاما ...

وكان على ماهر يبكي بشدة . واقترب كافري من الملك السابق وقال له :
Goodluck Your Majesty (حظ سعيد يا صاحب الجلالة)

وكررها مرة ثانية ... ثم تأخر وهو يجهش بالبكاء ... وقال الحاضرون انه كان كمن مات له ولد !! ...

ونظر الملك في ساعته فوجد بينها وبين السادسة دقيقتين ، فقال لعلى ماهر :

- نجيب ما جاش ... وانا لازم امشى بقى ...

ومشى ...

مشى الى القارب البخارى بخطوات بطيئة جدا ... ثقيلة جدا .. كمن أفاق من حلم وبعد أن نزل في القارب ، استدار ، وقال في صوت محشرج غطى عليه صوت المحرك :

- سلموا لى على عساكر الحرس والضباط إالى ما شفتهم مش ! ...
ووصل اللواء محمد نجيب . فقال له على ماهر : ده مشى خلاص ولكنه أصر على ان يودعه ... واحضر له قارب ركبه ، وصعد الى المحروسة ، وكان الملك السابق واقفا عند رأس السلم .. وتصافح الغريمان وكان الواقع المائل أمام عيني الملك السابق أقسى من أن يتحملة . فأثارته عصا في يد ضابط يقف الى جوار نجيب ، وطلب من الضابط ان ينكسها

وسكت الضابط فلم يجب . ولم ينكسها . ومر الملك السابق بهذا الواقع الجديد ، كأنه لا يلاحظه .
ثم نزل نجيب عائدا الى الشاطئ ...
وتحركت المحروسة الى عرض البحر ، والشمس تغرب ...
وقال الذين سافروا معه : انه دخل مباشرة الى حجرته ... واخذيكي بكاء حارا ، طويلا ، مسموعا ... ندما على خطايا وآثام ، لا تغسلها مياه البحر ، ولا يطمسها ظلال الليل ، الذي أطبق على الركب !
٢٦ أغسطس ١٩٥٢

أحمد بهاء الدين

MIDO

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٤٩٢ / ٩٩

I . S . B . N 977 - 01 - 6510 - 7